

الرحلة الناصرية

بالديار الفرنساوية

تاليف

الفاضل النحرير. الكاتب الشهير. وارث المجد العلمي المتسلسل من كبير لكبير. الاديب المتحلي من الكمالات بكثير. السيد محمد بن الخوجه

رئيس قسم المحاسبة بالدولة التونسية

واستاذ الدروس العالية بمدرسة

الآداب والترجمة للعربية

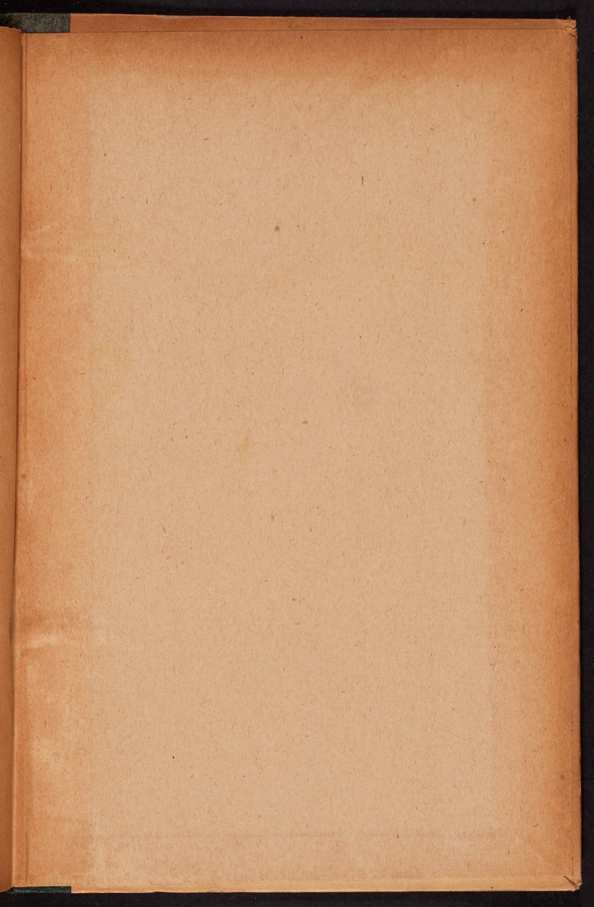
بلغه الله كل امنية

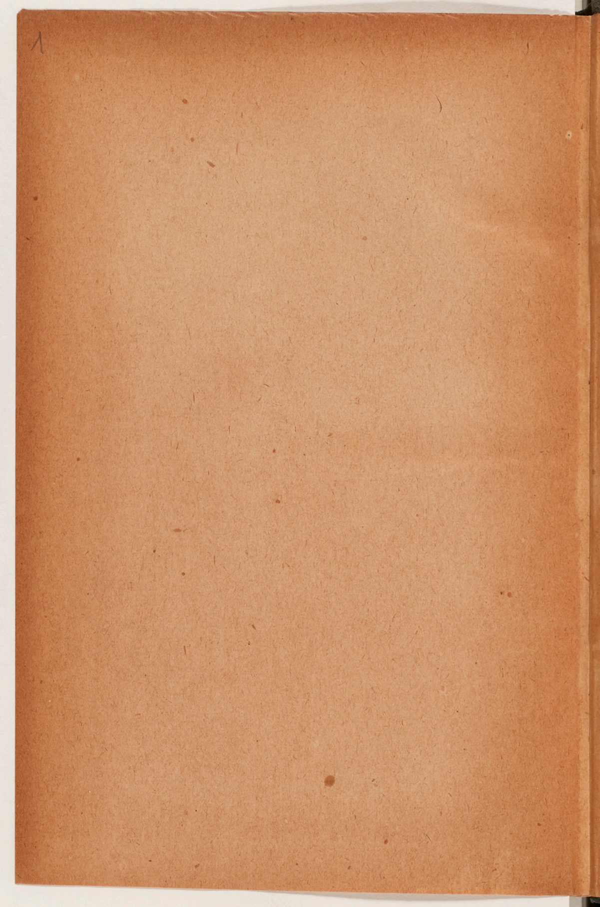


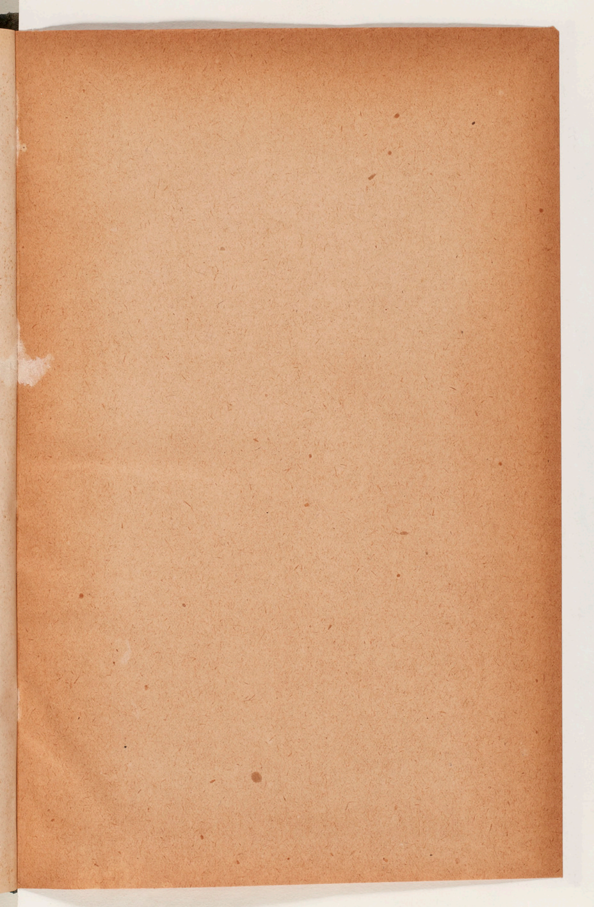
(طبع بالمطبعة الرسمية العربية بتونس)

١٣٣١

١٩١٣







صحيفة	فهرس الرحلة الناصرية بالديار الفرنساوية
٩٦	وصول المقام الملوكي لمرسى طولون
٩٩	اخبار اليوم الاول من وصول الحضرة العلية ونزولها بباريس وفيه كلام مستفيض عن الاحتفال بسموها وعن مبادلتها الزيارة مع فخامة رئيس الجمهورية وعن المادبة الرئيسية وعبارة الخطب الرسمية التي وقعت بتلك المناسبة الخ الخ
١١٩	اخبار اليوم الثاني من رحلة سموه بباريس وفيه كلام مستفيض عن زيارة سموه لدار السكة وعن ثروة الدولة الفرنساوية وعن زيارة المقام الملوكي لبستان النباتات ولمتحف الحيوان ومدرسته وعن مادبة وزير الحرب وعن زيارة سموه للمجلس البلدي الخ الخ
١٢٩	اخبار اليوم الثالث من رحلة سموه بباريس وفيه كلام مستفيض عن الاحتفال بعيد ١٤ يوليه وحضور مقامه العالي بميدان استعراض الجيوش وتاريخ نشاة هذا العيد وحضور المقام السامي بفطور قواد الجيوش بالقطر الرئيسي وبالمؤانسة التي اقامها فخامته ببساتين القصر عشي يوم ١٤ يوليه الخ
١٤٢	اخبار اليوم الرابع من رحلة سموه بباريس وفيه كلام مستفيض على زيارة الحضرة العلية لقصور فرساليا ومتاحفها التاريخية وبساتينها وتناولها الطعام بمائدة والي المدينة وحضورها رواية شمشون ودليلة بملهى الاوبرا وختام

صحيفة	فهرس الرحلة الناصرية بالديار الفرنساوية

صحيفة	فهرس الرحلة الناصرية بالديار الفرنساوية

فهرس الرحلة الناصرية بالديار الفرنساوية	صحيفة

عبارة الختام



فهرس الرسوم والذوات والجموع والمعالم والمعاهد والابنية الواردة في الرحلة الناصرية بالديار الفرنساوية

صحيفة	فهرس الرسوم والذوات والجموع والمعالم والمعاهد والابنية الواردة في الرحلة الناصرية بالديار الفرنساوية
١٢٢	المتحف الحيواني ببستان النباتات
١٢٤	خروج الموكب الملوكي من المتحف الحيواني
١٢٦	قدوم الحضرة العلية لزيارة المجلس البلدي
١٢٦	الموكب الرئيسي الملوكي عند زيارة المجلس البلدي بباريس
١٢٨	خروج وزراء الحضرة العلية من زيارة المجلس البلدي
١٢٨	جناب الوزير مسيو روا والقنصل مسيو كوتي امام المجلس البلدي
١٢٨	رجوع الركاب الملوكي الرئيسي من المجلس البلدي
١٢٩	الموكب الملوكي الرئيسي متوجه لاستعراض الجيوش يوم ١٤ يوليه
١٣٢	الاميران سيدي المنصف باي وسيدي الهاشمي باي متوجهان لموكب ١٤ يوليه
١٣٤	تختوان الشرف بالموكب المذكور
١٣٦	رجوع الموكب من استعراض الجيش
١٤٢	الموكب الملوكي بقصور فرساليا
١٥٨	توجه الحضرة العلية للفطور بالوزارة الخارجية
١٦٠	رسم صاحب الفخامة مسيو بوانكاري رئيس الجمهورية الحالي
١٦٢	الحضرة العلية عند خروجها من متحف اللوفر
١٦٤	قاعة الاستقبال بسراية كريون
١٦٦	قاعة النسور بها
١٦٨	برطال السراية المذكورة

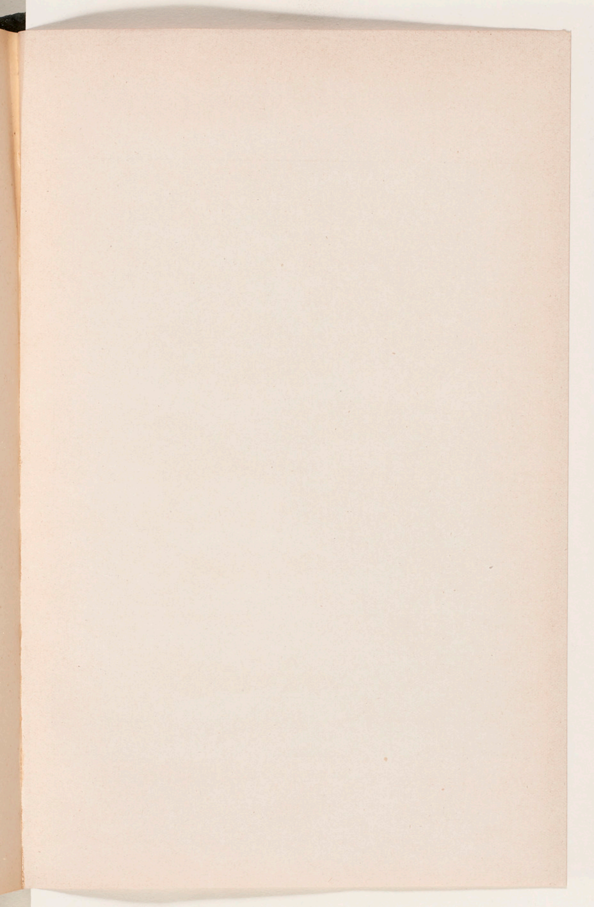
صحيفة	فهرس الرسوم والذوات والجموع والمعالم والمعاهد والابنية الواردة في الرحلة الناصرية بالديار الفرنساوية

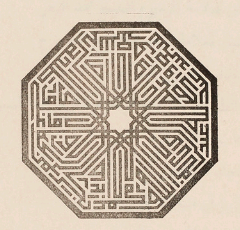
صحيفة	فهرس الرسوم والذوات والجموع والمعالم والمعاهد والابنية الواردة في الرحلة الناصرية بالديار الفرنساوية
١٩٨	الحضرة العلية وءال البيت الحسيني بالمرسى
٢٠٠	جموع المستقبلين بيطاح القصر الملوكي بالمرسى
٢٠٢	طاقم الموسيقى الملكية بالمرسى
٢٠٤	الحضرة العلية وامراء العائلة الملكية بسراية باردو
٢٣٢	رسم امير اللواء السيد صالح بودربالة رئيس العسة المصونة
٢٣٢	رسم الامير الاي السيد مصطفى دنقزلي شيخ المدينة

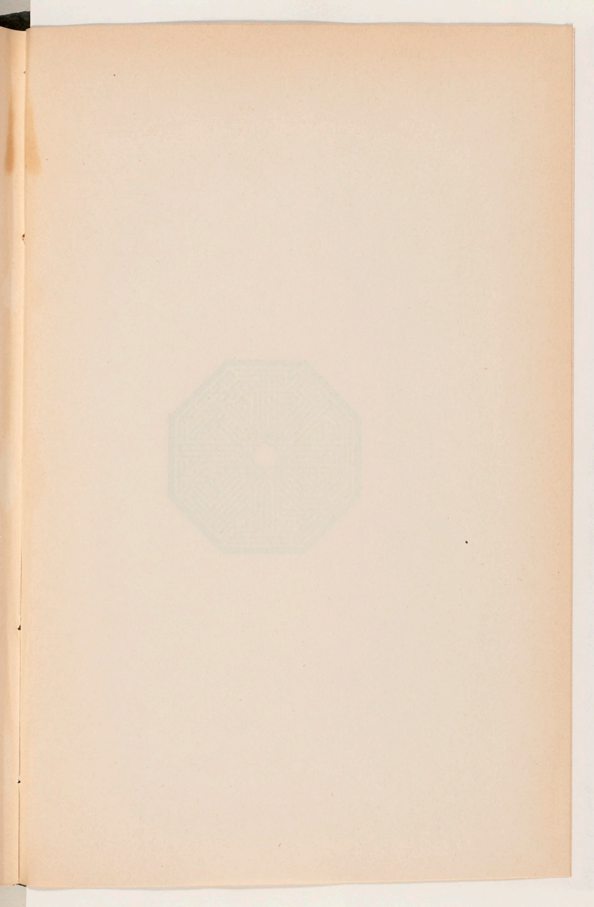
[انتهى]



صاحب السمو الملوكي ولي النعم سيدنا ومولانا محمد النـاصر باشا باي ابقاه الله







امهات الرحلة الناصرية

ديوان العبر لولي الدين ابن خلدون
تاريخ الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف
الذيل الطويل لوالد المؤلف
الكناش الكبير له
حسن البيان للعلامة المرحوم الشيخ محمد النيفر
صفوة الاعتبار للعلامة المرحوم الشيخ محمد بيرم
الحلل السندسية للوزير السراج
مسامرات الظريف للمؤرخ المرحوم الشيخ محمد السنوسي
الاستطلاعات الباريسية له
تحفة الانجاد للمؤلف
سلوك الابريز في مسالك باريز له
الرزنامة التونسية له
الرحلة الفليارية له
حضارة الاسلام للمدور
كشف المخبا عن فنون اروبا لاحمد فارس
كتاب المؤنس للمؤرخ الشيخ ابن ابي دينار
التاريخ الباشي للوزير حمودة بن عبد العزيز
الخلاصة النقية للمؤرخ المرحوم الشيخ الباجي المسعودي

الجغرافية التاريخية للسيد البشير صفر

رحلة الشيخ رفاعة

تاريخ تونس للوزير دستورنيل مستشار السفارة سابقا بتونس

رموز بايات تونس لمسيو هوڨون مدير الفلاحة كان بتونس

مخاطبات بايات تونس مع ملوك فرنسا للمؤرخ بلانتي

تاريخ تونس للمعلم لوط مدير المعارف بالمغرب الاقصى

مجموع ابحاث مؤتمر المستشرقين بالجزائر

مجموع ابحاث مؤتمر افريقيا الشمالية بباريس

مجلة المشيخة القرطجنية بتونس

جريدة الزهرة التونسية

جرائد باريس اليومية

ما شاهدناه بالذات وسمعناه من الثقات

﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾



تقديم الرحلة للحضرة العلية

الى حيث القت الجلالة قيادها . وانهت العظمة ارتيادها . واركضت المكام جيادها . الملاذ الاحمى . والجناب الاسمى . الحسام الامضى . والمقام الارضى . ولي نعمتنا المعظم الارفع . والكهف الامنع . سيدنا ومولانا محمد الناصر باشا باي . صاحب المملكة التونسية . ابد الله دولته . وايد شوكته . ولا زال عالي الكعب . مكنوفا بعناية الرب . اما بعد اداء فروض الطاعة والولا . الى ذلك المقام الاعلى . فان اسلافي برد الله مضاجعهم غرسوا في قلوب اعقابهم . واعقاب اعقابهم . شجرة التعلق باذيال البيت الحسيني الرفيع العماد . ادامه الله الى الاباد . وءابـاد الاباد . وقد نشات سلالتهم مفطورة على التفاني في خدمة ساداتنا بالفرض والرد الامراء الحسينيين ابقى الله بوجودكم ملكهم . ولا بدد سلكهم . ومن العناية الربانية . والمواهب الصمدانية . ان كان عبد نعمتكم . الناشي في ظل دولتكم . من المتشرفين بالانتساب لسدتكم السنية . والمتسابقين لخدمة حضرتكم العلية . نعم ان معاليك ايها الملك الكريم . اشهر من ان يقوم بها لسان القلم على منبر البلاغة خطيبا . او يترنم بها على افنان المهارق فيخال في شدوه عند ليبا . فباي عبارة اثني على مكارمك ومن بحرها تقتنص الجواهر . وباي لسان اترجم عن انوارك ومن اشعة ضيائها تستمد الانجم الزواهر . لا جرم ان قلمي يختلج كلما رام الافصاح عما يكنه الصدر نحو سموكم من شعائر الامتنان

والولاء والاخلاص المفترضة على كل فرد من افراد رعاياك المطيعين. المنزلين من سدتكم الملكية منزلة البنين. لولا ان سموكم ادام الله بقاءه. وضاعف في درجات السعادة ارتقاءه. ولا برح عزه تطلع في فلك المفاخر كواكبه. مسطرة على وجنات الدهر محاسنه وعجائبه. قد عود عبيد نعمته بالجميل. مع الاشراف عليهم بعين لا تحيد عن الحق ولا تميل. لذلك اتجاسر على التقدم لباب تعطفك. وساحة فضلك وكرمك. بخلاصة من نتايج بضاعتي المزجاة. الا وهي الرحلة الناصرية جميلة المقصد والصفات. ومقدمة السلامة في اليوم وفي الغداة. لانها احتوت على سياسة ما اشرفها واسماها. واجلها واعلاها. ثمرة همة تقف الهمم دون مداها. وتستقر في الغيوث مساقط نداها. فلا ينكر النور من مطلعه. ولا الفضل اذا صدر من موضعه. ولا الجود على الغمام الهتان. ولا الفواضل من منبع العدل والاحسان. ويسرني ان اراني مغازلا لنعمتكم التي لم تزل تمتد على البلاد ظلالها. وتتجدد بتجدد عوائد الله الجميلة معكم بكرها وءاصالها. فان لي ولسلفي نسبة من حضرتكم واي نسبة تخفق علينا اعلام فخرها. ويتنسم من اردان حالنا عاطر نشرها. وترتع ءامالنا في كنف حمايتها وتحت جناح سترها. لذلك ارجو من الله ذي الجلال الكريم. ان يجعل صنيعي هذا من الاعمال النافعة في نظر مقامكم الفخيم. وان يخلد مفاخركم على صفحات الدهر. وان يحلي بجواهر شيمكم جبين العصر. والسلام من ملتمس رضاء الحضرة العلية عبد نعمتها المخلص فقير ربه محمد بن الخوجه كان الله له

وكتب في موفى ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣١

الرحلة الناصرية

بالديار الفرنساوية

تاليف

الفاضل النحرير. الكاتب الشهير. وارث المجد العلمي
المتسلسل من كبير لكبير. الاديب المتحلي من
الكمالات بكثير. السيد محمد بن الخوجه
رئيس قسم المحاسبة بالدولة التونسية
واستاذ الدروس العالية بمدرسة
الاداب والترجمة للعربية
بلغه الله كل امنية



(طبع بالمطبعة الرسمية العربية بتونس)

١٣٣١
١٩١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وءاله وصحبه وسلم وشرف وكرم

حمدا وشكرا لمن جعل في مطاوي الاسفار . ءايات العظة والاعتبار . واستجلاء جمال الكون وما وشته يد العلم من بدايع الاسطار . وامر في كتابه الحكيم . بالسير في الارض من غير تخصيص اقليم . وقد ظهرت عنايته سبحانه بهذا الشان . فيسر وسائل السفر الى حد تقارب فيه المكان . وتم تعارف بني الانسان . وحصلت الغاية المقصودة التي لم تكن إلّا خيالا في الاذهان . وانكشفت المصالح العمومية والخصوصية التي قد يسفر عنها السفر . وعليها تتوقف سعادة البشر . من البدو والحضر

وصلاة وسلاما على سيدنا محمد نور الكائنات . القائل (سافروا تصحوا وتغنموا حسبما رواه الثقات . وعلى آله وصحبه الناسجين على منواله . الآخذين باقواله وافعاله . وتابعيهم باحسان

وو راء هذا اقول ان خدمة التاريخ التونسي مما شغفني حبا . وصيرني باقتناص اوابده وتقييد شوارده صبا . كيف لا وذلك من حب الوطن وهو من الايمان . وعنوان الوفاء والمروءة كما قرره الحكماء في كل زمان . لذلك لا ازال التمس المناسبات عسى ان انظم في سلك التاليف جوهرة من جواهره . واخلد في بطون الكتب نادرة من نوادره . فكم اكتحلت باثمد السهر وزججت في فيافيه يعملات الفكر . حرصا على هذا الموضوع الجليل . وكشفا للنقاب عن محياه الجميل . خصوصا ما يتعلق بانباء الدولة التي اورثتها العناية الالاهية ملك هذه البلاد . واناطت لرعايتها مصالح العباد . فاستقرت الايالة في قرار سياستها المكين . وكرع الناس من مناهل عدلها المعين . وهي الدولة الحسينية خلد الله ملكها العالي . وزين بمحاسن آثارها جباه الليالي

ويجب ان تكون عنايتي بهذا الغرض متوافره . وبواعثي ذاتية لاداء هذه الواجبات المتكاثره . فان ولاء وطاعة البيت الحسيني الكريم . تراث ورثته عن اسلافي من قديم . وسيط بلحمي ودمي . واعرب عنه في كل مقام لساني وقلمي

وقد اغتنمت اجدر الفرص بالاغتنام . وجريت على قاعدة رعي الذمام . بمناسبة الرحلة التي البست التاريخ جمالا . واكسبته تيها ودلالا . وكانت حلقة ذهبية في سلسلة الاخبار التونسيه . وعلما حريريا في مطارف تواريخها السندسيه

ذلك ان امير العصر . وبهجة الدهر . وملك البلاد . وحسنة الله على العباد . سيدنا ومولانا

محمد الناصر باشا باي

ابقاه الله تعلى استدعت حضرته السامية الدولة الجمهورية الفرنساوية لزيارة ديارها . وتسريح العقل والطرف في جمال مدنيتها وبدايع آثارها . خصوصا عاصمتها الكبرى التي فازت بمزيد التبريز . وهي مدينة باريز . على معنى رد الزيارة المشروعة في قوانين الموده . واحكام روابط الحماية التي لا يزيدها مر الليالي إلّا جـده . فكانت رحلة مكللة بكل معنى من معاني الابتهاج . حيث حصلت من مقدماتها اليقينية نتيجة بديعة الانتاج . وبرهنت على كرم الامة الفرنسويه . وحسن عواطف الدولة الجمهوريه . نحو بلاد انتظمت في سلك حمايتها . وآوت الى كهف عظمتها . واعتصمت بحبل قوتها . فان ما لاقاه الجناب العالي من التجلة والاحترام . والمبرة والاكرام . تحفى في تحريره الاقلام . وتعجز عن تصوره الافهام .

هذا ما دعاني الى ان اشفع الرحله الفليارية . بالرحلة الناصريه . وان اجمع خلاصة تلك الحوادث الرائقه . والاحتفالات الشائقه . في كتاب يمثل تلك المناظر الجميله . والاخبار اللذيذة في اللباس العربي . والاسلوب المضري وان استطرد الحديث بذكر المناسبات التاريخيه . والملح الادبيه . تكثيرا للفائدة واجماعا لافكار القراء . بعيون الانباء

وقد جاء بحمد الله موضوعا . لا مقطوعا مضمونه ولا ممنوعا . يروق للمؤرخ استطلاعه . وتحمد عند الاديب طرائقه واوضاعه . ولست اقدمه للقراء بشرط البراءة من كل عيب . اذ الكمال المطلق خصيص بعالم الغيب . ومنه سبحانه نستمد الاعانة والتوفيق . الى اقوم طريق

تصدير الرحلة الناصرية

بترجمة الحضرة العلية

لما كانت هذه الرحلة الناصرية قاصرة على تاريخ البيت الحسيني من جهة علائق المملكة بالامة الفرنساوية وعلى حديث الرحلة الملوكية من حيث زيارة الحضرة العلية لباريس ناسب ان نصدرها على معنى اليمن والتبرك بترجمة من نسبت اليه لتكون اخبارها جامعة ومحيطة احاطة تامة بالمقام الملوكي الناصري من يوم انعم الله بولادته وظهوره في الوجود الى يومنا الموجود ولاجل ذلك نقول

هو سيدنا ومولانا محمد الناصر باشا باي بن محمد باي بن حسين باي بن محمود باي بن محمد الرشيد باي بن حسين باي بن علي موسس بيت الملك الحسيني السني في سنة ١١١٧ وهو خامس عشر ملك من بيتهم الشريف ورث الملك عن اسلافه بالفرض والرد اتباعا لقاعدتهم المشروعة القاضية بجعل التعاقب في كرسي الولاية لاسن الموجودين من آل حسين بن علي وهو ثالث ملك حسيني تلقى التقليد من يد الدولة الفرنساوية

وقد ولد ابقاه الله بسراية المرسى في ٢٨ شوال ١٢٧١ وتفاءل والده به خيرا لان طلوع هلاله كان عقب صعود ذلك الوالد على عرش الملك في ١٦ رمضان من العام المذكور

ولما ترعرع وتفطن وكل به ابوه على عادتهم من يعامه الكتابة والقراءة من الحفاظ فظهرت نجابته واقباله على التعلم وهو لم يزل في سن الطفولية وبعد ان حفظ ما تيسر من القرآن الكريم قرا مبادي العلوم واخذ من كل

فن احسنه واستكمل نصابه في التحصيل بمخالطة بعض العلماء الراسخين فكانوا يعكفون اليه ويملون من جواهرهم عليه

ومن اخص المتشرفين بصحبته نذكر العلامة الشيخ محمد بيرم دفين مصر والعلامة المفتي الشيخ محمد بن احمد بن الخوجه والنابغة صاحبنا الشيخ محمد السنوسي رحمهم الله

ولما امتلات من الادب حياضه وازدهت بازهاره رياضه ادرك سموه بفكرته الثاقبة ان تعلم اللغات هو مفتاح صناديق اسرار التمدن العصري لذلك تحركت همته الشماء من سنة ١٢٩٢ لمزاولة اللغة الفرنساوية حيث كانت هي اللغة العمومية ولسان الامة الموالية منذ القديم للاقوام الاسلامية وبالاخص لاهالي المملكة التونسية فكان يتلقى دروسه فيها على المستعرب سوليه معلم تلك اللغة بالمدرسة الصادقية وهذا المعلم هو الذي حبب اليه مزاولة التاريخ والجغرافيا والفنون الرياضية فكان سموه في آن واحد فقيها اديبا كاتبا حاسبا صاحب معلومات واسعة بمواقع البلدان واخبار الزمان وسياسة الملل واحاديث الدول وكانت هاته الكمالات التي يغبطه من اجلها ملوك الاسلام من آثار فطرته الطيبة وقريحته الوقادة لذلك اثمر غرسها وتضوع في الارجاء عرفها وفاح عطر نسيمها بظهور درر محامده وتجليها للعيان في اسمى مظاهر العفة والنخوة والشهامة وعزة النفس مع ما اودعه الله في ذاته الشريفة من لين العريكة وطلاقة المحيا وكرم السجايا ومحامد الخلق وحب الخير لبلاده وبنيها ومن هذا القبيل حثه على نشر المعارف بين الطبقات وبث آلاء التمدن الموافق لمزاج واخلاق امته على معنى التوفيق بين محاسن الحضارة العصرية واحكام الشريعة

الاسلامية وفي هذا الباب كان اسموه من قوة العارضة وعلو المدارك ما اعجب به فحول العلماء من بقية السلف كمولانا المقدس الشيخ محمود بن الخوجة شيخ الاسلام والمقدس الشيخ عمر بن الشيخ المفتي المالكي رحمهما الله

وكان سموه في شبابه معدودا في طليعة ابناء البيت الحسيني لاشتهاره بالاوصاف الحميدة والمزايا العديدة مع حسن السيرة وصفاء السريرة ولتمسكه بالعدالة واصالة الراي والامانة يحفظ للمروءة زمامها و يرعى للهمم ذمامها وهذه النعوت العالية هي التي كان سموه متجملا بها عند ما الت اليه ولاية عهد الملك الحسيني في ٥ ربيع الاول سنة ١٣٢٠ على اثر وفاة المرحوم مولانا علي باي

هذا ولما كان جوهر الحماية وحفظ نظاماتها الاساسية هو مدار الهيأة الحاكمة والركن الركين لحكومة البلاد المحمية وكان هذا التدبير السديد كافلا لجميع تلك النظامات التونسية اصبح تعلق سموه من يوم ارتقائه لولاية العهد ومساعدته لمشروع الحماية من مظاهر الرشد واصالة الراي المترجمة عن براعة فائقة في افانين السياسة العصرية ولاغرو فان حاجة البلاد الى مرشد عظيم يوضح لبنيها محجة التقدم ومطايا الاصلاح اكيدة لاغنى عنها للامة التونسية التي هي في حاجة للاستكمال وفي افتقار لمجاراة الامم المتمدنة المحرزة على صنوف السعادة والعمران وهي درجة لا تدرك إلّا بممارسة انصار الترقي ومخالطة اساطين الحضارة وانتهاج سياسة جامعة للتوفيق بين المصالح المتقابلة والمنافع المتبادلة وبين السلوك بهذا القطر المحروس في مراقي النهضة والتمدن الصحيح مع المحافظة على شعار

الملك الحسيني وناموسه بحفظ نظاماته الاساسية واحترام شعائره المالية وهذه السياسة القويمة هي التي ساعدت عليها الدولة الحامية واخلص الولاء اليها امراء المملكة التونسية

هذا وكان صعود مولانا العلي لعرش اسلافه الاكرمين في التاسع عشر من شهر ربيع الانور سنة ١٣١٤ ومعلوم ان سلفه المرحوم التحق بربه ليلة ذلك اليوم فلما آل امر الولاية لسموه زاره بسرايته بجبل المنار جناب معتمد السفارة الفخيمة وبعد ان قدم لسموه مراسم التعزية رسم تحت انظاره برنامج موكب التقليد على معنى تنصيب سموه على العرش الحسيني وقبوله للمبائعة من الخاصة والكافة وفي تلك الاثناء اتخذ المرحوم امير الامراء الشيخ محمد العزيز بوعتور الوزير الاكبر التاهبات والتدبيرات اللازمة لانجاز ذلك فحضر بسراية باردو المعمور حيث موكب التنصيب حسب العادة المالوفة وعلى راس الساعة الثالثة من زوال ذلك اليوم قدم سمو الامير مصحوبا بجناب المعتمد السفاري في موكب عسكري بهيج ولما وصل ركابه لسراية باردو اطلقت المدافع من الحصون والقلاع وادت الفرق العسكرية الفرنساوية والتونسية التي حشدت هنالك مراسم التحية وعزفت الموسيقى بالسلام الحسيني وقامت ضجة هتاف وفرح كادت ان تصم اليها الاسماع وحينئذ ارتقى سموه والمعتمد مدرج السرايا والتحق بهما آل البيت الحسيني والوزراء وقناصل الدول والجنرالات ورؤساء الادارات واهل المجلس الشرعي والمتوظفون والعلماء والاعيان من سائر الطبقات وتقدم الموكب في اجلى مظاهر الهيبة والاحترام نحو الصحن الكبير ومنه عبر سموه واعيان الحاضرين لبيت البلور وفي الحال انتظم موكب التقليد واليك صورة ذلك :

تقدم جناب البارون دانتوار معتمد السفارة واستدنى سموه الملوكي من الدست الحسيني فاستوى ايده الله قائما امامه يحفه آل بيته ووزراءه واذاك خاطبه جناب المعتمد المذكور بالنطق الاتي بصوت جهوري سمعه كافة الناس وقوفا وباذن واعية وابصار شاخصة وكانما على رؤوسهم الطير

خطبة تنصيب سموه على تخت الملك

يا مولاي المعظم

بناء على مغيب جناب الوزير المقيم العام قد كلفت بان اترجم لحضرتكم العلية عن شعائر الاسف الشديد الذي الم بالدولة الجمهورية لوفاة سيدي محمد الهادي باي وقد كان سموه كوالده الجليل اصدق مساعد للحكومة الفرنساوية هذا وقد مر ربع قرن على ما بين الامة الحامية وتونس من الارتباط المحكم تحققت اثناوه سعادة الايالة ونمت خيراتها وكذلك سيكون ملك سموكم موسوما بالسعد والعمران - وبالنسج على منوال اسلافكم في التعلق بفرنسا سيتم بمساعدة حضرتكم مشروع العدالة والتمدن والتقدم المناسب الذي قاموا به والذي هو عنوان الامارة في نظركم العالي

واني اقلد حضرتكم الولاية في هذا الجمع المشهود باسم الدولة الفرنسوية والتمس من سموكم ان تقبلوا تهنئاتي الذاتية وفي هذا المقام يروق لي ان اوكد لمقامكم ان حضرتكم العلية سيكون لها في جناب الوزير المقيم العام خير مساعد على القيام بالولاية الجليلة التي آل امرها اليكم لحسن حظ المملكة التونسية

ولما ختم جناب المعتمد خطابه اجابته الحضرة العلية بالخطاب الاتي

جواب الحضرة العلية

يا جناب المعتمد السفيري

لقد تاثرت تاثيرا حسنا من الاحساسات التي اعرب لنا جنابكم عنها بالنيابة عن الدولة الفخيمة الفرنسوية وارغب منكم ان تبلغوا لها عني تشكراتي الخاصة وان تتحققوا لها وثوقي بفرسا حسبما هو غير خفي على علم جنابكم وساقتفي بصدق نية وحسن طوية اعمال المرحومين ابن عمنا وعمنا واستعين الله في بلوغ المرام في ذلك وارجوه سبحانه وتعلى ان يوفقني الى تسديد مقاصدي مع الاستعانة المستمرة بعمدة الدولة الجمهورية الفخيمة على ما فيه نمو الخير والسعادة والتقدم المادي والادبي للايالة التونسية اه

وباثر ذلك استوى مولانا على عرش اسلافه الاكرمين فقدم له جناب المعتمد روساء دولة الحماية فتشرفوا فردا فردا بالافصاح عن تهانيهم ودعوا لسموه بالعز والسعادة واجابهم سموه معربا عن سروره بالتعرف بهم واذاك تم موكب تنصيب حضرته العلية وانتقل سموها الشريف مصحوبة بجناب المعتمد والوزراء لقاعة الاستقبال الكبرى لتلقي مراسم الهناء والبيعة العامة فاستوى سموه قائما امام كرسي الملك ووقف ليمينه جناب البارون دتنوار معتمد السفارة وليساره الشيخ محمد العزيز بوعتور الوزير الاكبر وخلفه آل البيت الحسيني واستوى رجال الديوان على سمطين ذات اليمين وذات الشمال واذاك تقدم للتهنئة قناصل الدول وتكلموا بلسان عميدهم جناب البارون ده باري قنصل جنرال المانيا فادى جنابه لسموه نيابة عن نفسه وعن بقية رفقائه عبارات التعزية عن سلفه الفقيد ثم قدم له باسم الجميع

عبارات التهاني المشفوعة بشعائر الاحترام والدعاء بالعز والسعادة فشكرهم مولانا عن تلك الاحساسات وصافحهم مصافحة كريمة ثم تلقى سموه مراسم التهنئة من مجلس الشورى فالمحكمة الفرنساوية فالجنرال قائد جيش الاحتلال واركان حربه فالكتابة العامة والادارات التابعة لها فالاشغال العامة وتوابعها فادارة المعارف فادارة المال وتوابعها فادارة البوسطة والتلغراف فادارة الفلاحة والتجارة والاستعمار فالمجلس البلدي بالحاضرة تونس وبه تم قبول الهناء وجلس المقام الملوكي على الكرسي الحسيني لقبول البيعة من الخاصة والعامة وحينئذ جلس المعتمد السفاري على يمين الكرسي واستوى آل البيت والوزراء ورجال الديوان وقوفا واذاك شرعت الحضرة العلية في قبول مراسم البيعة فتقدم الباش شاطر ونطق بصيغة المبايعة المعهودة باللسان التركي حسب العادة القديمة في مثل هذا الاحتفال ادت ما تضمنته من معاني العبرة والاجلال والابتهال للملك المتعال والدعاء ببقاء المولى الامير الجليل على كر الغداة ومر الاصيل وكانت الموسيقى تصدح اذاك بنغمات السرور والوجوه تتلالا بالفرح والحبور فافتتح جناب الوزير الاكبر رسم المبايعة بلثم الراحة الكريمة وتلاه جناب وزير القلم فصاحب الطابع فالضباط على اختلاف الدرجات فرؤساء الاقسام والاقلام فالكتبة فالمترجمون فبقية المامورين من كافة الطبقات الاهلية

ثم ان الحضرة العلية تلقت مراسم الهناء والمبايعة من مشيخة العلم بجامع الزيتونة يتقدمهم السادة اهل المجلس الشرعي فالايمة فالسادة الاشراف فاعيان اهالي الحرمين الشريفين فوفود الاعيان من وجهاء الاهالي وكانوا في عدد الالوف فصبايحية وحوانب الاوجاق فاعيان الجزائرين

فبنو مزاب فالورقلية فمجلس الاحبار فاعيان الطائفة الاسرائيلية وبهم انتهى الموكب بالتمام

واذاك وردت على سموه رسالة تلغرافية من فخامة رئيس الجمهورية نصها

« قد هالني خبر الحزن الذي الم بالبيت الحسيني ولذلك نقدم لحضرتكم العلية مراسم التعزية الخالصة ونوكد لسموكم معاضدة الدولة الجمهورية كما نعتمد على مساعدتكم الخالصة لانجاز مشروع الحماية النافع » اه

وبعد ذلك بقليل اهدى فخامته لسموه جوقة الشرف من الصنف الاكبر اشعارا بما للدولة الحامية من الثقة والاعتماد على حضرته العلية ولقد تسابق علماء القطر وادباؤه لتقديم عرائض المديح وقصائد التهاني وكتبوا في ذلك ما يربو على سفر ضخيم وكانت الحاضرة التونسية ايام ولايته لابسة ثوب الزينة وبطاحها غاصة بجموع الوافدين للتهنئة من المدن والبلدان وعروش الجهات وكلما جاء وفد إلّا وتشرف بالمثول بين يدي المقام الملوكي بسراية باردو حتى كاد ان يستغرق ذلك بقية العام كله

واستمر سموه من يوم ولايته السعيدة حتى الآن على تعضيد مشروع الاصلاح ومساعدة الدولة الحامية على نشر آلاء التمدن بانحاء البلاد المحمية الى غير ذلك مما هو حاضر بالاذهان ومشاهد للعيان

ولقد اصبح لسموه المكانة المكينة بقلوب الامة الفرنساوية لان حضرته العلية اخلصت الولاء للدولة الجمهورية وقدرت سياستها المثلى حق قدرها ناهيك ان جنابه العالي اقام لها اخيرا شاهدا على وثوقه وامانه بها اذ جعل نجليه الاصغرين الاسعدين في كفالة تربيتها حيث وجههما لاتمام تعليمهما

18

بمدرسة لافليش الحربية ولقد كان لصنيعه هذا هزة ابتهاج وانشراح بالمحافل العليا الفرنساوية لان عمله ابقاه الله جاء مويدا لما هو متعلق بالاذهان من حبه في العلم وحثه على التربية الصحيحة والوثوق بالامة الفرنساوية ولنا اليقين بان رعايا سموه وابناء طاعته سيرون في القريب العاجل من ذينك الشبلين الكريمين ما سيكون للعيون قرة وللقلوب مسرة

واذا رايت من الهلال نموه   ايقنت ان سيصير بدرا كاملا

اما ترجمة الحضرة العلية ومنزلتها في نظر ارباب الاقلام بباريس فقد اداها صاحب جريدة « الغولوا » الشهيرة بعبارات نقتبس منها الفقرات الاتية قال بعد مقدمة طويلة في كيفية مواكب الحضرة العلية وفي اقتبالها لزيارة فخامة رئيس الجمهورية بتونس

ان لسموه زوجة واحدة وهي مشهورة بالتهذيب الفايق وله اربعة من البنين الذكور وست من البنات ووالد سموه هو المرحوم محمد باي وهو من احباب الدولة الفرنساوية وليس لسموه استرابة في الاصلاحات التي حققتها الحماية ببلاده بل هو صاحب شغف بالمخترعات الفرنساوية كما انه صاحب فطرة سليمة وتهذيب فايق وعلم صحيح وذكاء بائن وطلاء شرقي جميل مزدوج بافخر الاوصاف الاروباوية

ويقضي سموه اوقات فراغه في التفسح وفي الاعتناء بشئون عسته الملكية المتجملة بلبوس شبيهة بكساوي عساكر الزواف عدا العمامة فان عساكر سموه يلبسون شاشية تعلوها الطغراء الحسينية وسرايته بالمرسى عبارة عن بناء ضخيم على الشكل القديم وبها طاقم موسيقى تلعب الحانا

شتى وهو صاحب ثروة واسعة وجرايته تبلغ الى مليون وثمانين الف فرنك في العام

ولسموه سراية اخرى بحرية ذات موقع جميل بجبل المنار معدة لايام القيض وله بالقرب منها محلات فسيحة على الشاطي ومنها يركب للنزهة بباخرته السريعة حوالي خليج تونس ومنه يظهر ان سموه صاحب حركة ونشاط يدل عليه عمران اسطبله بالخيول العربية الثمينة

ويحق علينا في هذه الساعة التي تعمل فيها فرنسا لتوسيع ممالكها الاسلامية بافريقيا الشمالية ان نعرب نحن ابناء فرنسا عن ودادنا لهذا الملك الذي هو ثالث امير تونسي تولى الملك في عهد الحماية الفرنساوية لانه كسلفه مخلص نحو مشروع التمدن الذي ستكون من اجله مملكة تونس قدوة لسلطنة المغرب الاقصى اه

كذلك ترجمت لسموه اكثر الجرائد الفرنساوية باجمل عبارات التعظيم والتفخيم مما سيراه الناظر بالقسم الثاني من هذه الرحلة ومن ذلك نبذة وقفت عليها بجريدة لانترانسجان تبرهن عن التاثر الحسن الذي حصل لسموه اثناء رحلته بالديار الفرنساوية وعبارة ذلك

قال ـ قد ساعفني الحظ هذا الصباح على زيارة جناب سيدي الطيب الجلولي وزير الحضرة العلية وقد رخص لي جنابه بان انقل لقراء جريدة « لانترانسجان » التصريحات التي اخذتها عليه وهي هذه

ان حضرة سيدي محمد الناصر باي سيبقى متحفظا بخلده على اجمل ذكر من زيارته لفرنسا وان سموه الذي زار اليوم باريس للمرة الاولى قد اعجب خصوصا بجمال عاصمة بلادكم وبوفرة عمرانها واحتباك انهاجها

وشوارعها اما المنظر الذي كان تاثيره اقوى لدى سموه فهو بلا شك استعراض الجيش يوم ١٤ يوليه وفي هذا المقام كان متبوعي الاعظم يقول لي البارحة ان اقبال واستعداد عساكركم من اعجب ما رات عيناه

على ان ذلك المنظر المؤثر لا ينسينا زيارتنا اول امس لمضمار الطيران ببلد بوك فان الحضرة العلية كان تقدم لها مشاهدة شيء من ذلك على بعد ايام زيارة فخامة رئيس الجمهورية للمملكة التونسية اما الان فان سموه شاهد طيران خمسة عشر طيارة صعدت في آن واحد لديه حتى انه قال حالة اعجابه بجسارة اوليك الطيارين « قد صرت الآن عالما بان هؤلاء الرجال هم الذين جعلوا فرنسا صاحبة السيادة في الجو كما في الارض »

ثم قال الوزير ـ وهل من سبيل لا تخاذ وسائل كافية لوقاية اوليك الشجعان من النكبات لان الاخبار تنقل كل يوم هلاك الكثيرين منهم ؟

قال الراوي ـ ثم ان الوزير أخذ يحادثني على نغمة حديث ملكه مفصحا بشدة عن ابتهاجه لتودد رجال الدولة الجمهورية وتلطف كل الذوات الذين اجتمع بهم فرايت اذاك ان استطلع فكره في امر آخر فقلت له

هل يسمح جنابك بسؤاله عن حالة فكر السكان بتونس بعد الحكم في نازلة الهرج على بعض التونسيين ؟

فاجابني قائلا من دون استغراب لهذا التخلص السريع

نوكد لكم ان فكرهم اليوم كفكرهم قبل وان الهرج الذي حصل في العام الفارط انما وقع بمساعي جماعة من المجرمين معروفين لدى البوليس اما عموم الاهالي فانهم لم يشاركوا في ذاك قط ولاجل ذلك لم تحصل اية معارضة عند اتخاذ وسائل زجرية نحو الاثمين ولم يرفع

احد صوته لانتقاد الحكم الصادر في ذلك بكل عـدالة وانصاف وما عليك إلّا سؤال كافة السواحيين الذين جاءوا لتونس وسيكون جوابهم لكم معربا عن حسن القرا الذي عاينوه من التونسيين ومما يكدر هؤلاء عـدم التمييز بينهم وبين المتهافتين ثم اعـلم ان التونسيين يحبون فرنسا كثيرا ومشاركتهم للفرنساويين في الاعمال ذات نتايج خصيبة اه

القسم الاول من الرحلة

وهو تاريخ العـلائق بين فرنسا وتونس

اعلم ان اقصى ما عثرت عليه في التاريخ بعـد عناء البحث الطويل في الليـل الكحيل من روابط الالفة وعلائق التعارف بين تـونس وفرنسا في القرون الاولى هـ. وما كان في دولة الامبراطور شارلمان حبيب الخليفة هارون الرشيد قال في تاريخ تونس للمعلم لوط عنـد كلامه على دولة ابراهيم بن الاغلب صاحب افريقيه والقيروان على عهد الخليفة هارون الرشيد « وقد توثقت العلائق بين ابراهيم وشارلمان امبراطور البلاد الغربية فرضي ابراهيم حسب مرغوب شارلمان حبيبه القوي اذ وعد بان يعيد على النصرانية جثث كثير من الشهداء ـ كذ ـ سميا شلو القديس سبريان وقد حصل للسفراء الموفودين من طرف شارلمان للقيام بتلك المامورية وبتبليغ سلام الامبراطور للامير الاغلبي من الحظوة بالقيروان ما حفظه التاريخ ثم ان ابراهيم اوفـد بعد ذلك سفارة مشكلة من اكابر اهـل الحل والعقد بدولته لزيارة شارلمان وكان يومئـذ مقيما بمدينة بافي من اعمال ايطاليا

(سنة ٨٠١ للمسيح الموافق لعام ١٨٥ من التاريخ الهجري وكانت ثمرة السلامة الود الجامع بين الاميرين توسيع علائق بين تونس والضفة الشمالية من البحر المتوسط (اي فرنسا) لانه بالرغم عن حسن موقع السواحل التونسية لم يكن العرب وهم رعاة واصحاب مزارع من اهل البحارة فكانوا يخافون من اتخاذ البحر طريقا لهم وكان لخصب البلاد على عهد ابراهيم ابن الاغلب يد عاملة بسرعة في توسيع نطاق المشروعات الاقتصادية التي ساعفت على اسعاد دولة بني الاغلب » اهبحروفه

هذا ولما كان الشيء بالشيء يذكر رايت من تمام الافادة ان نبسط القول في هذا الموضوع على معنى التعريف باسلوب القبول الذي كان يلاقي به الامبراطور شارلمان سفراء الدول الاسلامية على عهد الخليفة هارون الرشيد قال في كتاب حضارة الاسلام في دار السلام يصف مجلس هذا الامبراطور وكيفية اقتباله لسفارة اوفدها اليه هارون مع هدية سياتي تفصيلها قريبا وكان الامبراطور يومئذ في ضيافة البابا بمدينة رومة

قال ـ ولما اقبلنا على رومة ابلغ الرسول الانبرذور خبر قدومي (اي السفير) من لدن الرشيد فسير الي امراء دولته واهل حاشيته وبطانته فساروا بي الى حيث هو مقيم في دار الباب (اي البابا)وهو قصر بل قصور قد جمعت بين الضخامة والاحكام وعنى البابون من خلفاء بطرس كبير الحواريين في تجميلها وتزوينها حتى صيروها نزهة جمعت الجمال والحسن. وكنت حين جاوزبي الامراء مقاصرها الى مجلس الامبرذور قد رايت على جدرانها صور ملوك وائمة وعباد قد طحنتهم رحى المنون من املاك العصور الخالية فلما دخلت عليه وجدته جالسا على منصة من فوقها قبة عليها كتابة بالرومية وهي

مجللة بالذهب وعلى راسه تاج مرصع باللؤلؤ والياقوت والزبرجد وفي يده قضيب الملك وعليه حلة من الوشى كاعظم ما يكون من حلل الملوك وبين يديه حرس قد وقفوا بالسيوف المشهرة والحراب والاعمدة وبينهم جماعة من العلوج واشراف العساكر وطائفة من الجثالقة والرهبان المقدمين قد لبسوا الوشى الذي يقيمون به الصلاة في اعيادهم ومواسمهم ولكن كالذي لم نره فيمن يجاورنا منهم في المشرق حسنا يغشى الابصار بريقه ولمعانه

فلما مثلت بين يديه قمت بما وجب علي من الاجلال له وبلغته سلام الرشيد على لسان المترجم فكلمني بترفع الملوك الذين توقع جلالتهم مهابة في قلوب الوافدين عليهم ولكن من غير ان يكون في نفسه جبروت وشكر للرشيد مودته واثنى عليه ثناء جميلا وكان الامراء والرهبان يمدون الي اعناقهم ويحدقون بي ابصارهم كانهم لم يروا من قبلي مشرقيا على دين الرسول صلى الله عليه وسلم. ثم اشرت الى الترجمان ان يذكر له هدية الرشيد وانه يطرف بها جلالته لارتباط المودة بينهما فشكرني على ذلك مرة ثانية ثم استدناني منه وامرني بالجلوس واخذ يسالني عن رحلتي اليه عطفا ما اليه بعد الترفع الذي استقبلني به فكنت اجيبه بما تقتضيه الرسوم من حمد الله على ما آتاه من الملك العظيم والثناء عليه فيما اوجد لرعيته من اسباب الخير والراحة. ثم سالني عن الدولة في المشرق وانه يروم ان يكون الدهر للرشيد في صفاء

ثم قال « وكان في لطائف الخليفة الى الامبراطور فيل عظيم ابيض كان عند المهدي رحمه الله ارسله له بعض ملوك الهند واقمشة فاخرة من

الوشي المنسوج بالذهب وبسط ديباج من طبرستان واعطار من اليمن والحجاز ومسك وصندل واعواد ند من الهند وسرادق عظيم مجلل بانواع الحرير وكلاليبه من الذهب الملبس بالوشي ومزولة (منقالة) كبيرة تدل على الاوقات في ليل ونهار وهي من عمل صناع بغداد وشطرنج بديع الحسن قد اتخذت ادواته من العاج المنقوش صنعه نقاش من النصارى اسمه يوسف الباهلي ورسم اسمه على الاداة التي تمثل الشاه وهي من الحسن بحيث ان الناظر اليها يكبر صناعتها وقد مثلت فيلا يلف خرطومه على فارس وعلى راسه جندي قد اخذ بزمامه ومن حوله ثمانية فرسان يراد بهم الرمز الى البيادق الثمانية الذين يناضلون عن الشاه وعلى ظهره هودج من خزف بانواع الرسوم قد استوى فيه ملك على راسه تاج بمثل تيجان ملوك حمير » انتهى محل الحاجة

قلت وقد جاء وصف هاته المزولة التي هي من ضمن هدية الخليفة هارون الرشيد للانبراطور شرلمان في كتاب كشف المخبا عن فنون اروبا قال « وكانت اي المزولة بدعا في ذلك العصر حتى انها اورثت رجال الديوان حيرة وذهولا والظاهر انها كانت من الالات التي يديرها الماء وكان لها اثنى عشر بابا صغيرا تنقسم بها الساعات فكلما مضت ساعة انفتح باب وخرج منه كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس فيطن بعدد الساعات وتبقى الابواب مفتوحة وحينئذ تخرج صور اثنى عشر فارسا على خيل وتدور على صفحة الساعة » اه ثم قال « بودي لو اعرف اسم الساعة في ذلك العصر فاني انكر هذه اللفظة واهل الغرب يقولون منكالة وهي انكر » اه قلت وانا بودي لو اعرف من اين جاء لفظ منقالة الركيك ومتى دخل عندنا في

الاصطلاح التونسي ولقد شددت البحث لاكشف عن سره فلم اوفق اليه اللهم إلّا ان يقال انها محرفة عن كلمة اساسها « النقل » في اللغة العربية ومعلوم ان الزمن ينتقل بنا عند كل نسمة بل هو اسرع من رد الطرف او ان يقال انها محرفة عن لفظ « منكنه » التركية كما زعمه المستشرق ، باربي دة مينار) مدير مدرسة الالسن الشرقية في قاموسه الذي وضعه في هذه اللغة او هي ماخوذة من اصل واحد مع لعب المنقلة المعروف وبينهما من الشبه ما لا يخفى وإلّا فاللغة العربية في الاتساع ما عهدت ولابد للعاقل وان يعتقد ان المنقالة كان لها اسم خاص بها في شباب دولة الاسلام

ومهما كان من الامر فالعرب نبغوا في المخترعات قبل ان تفيق اروبا من سباتها العميق يدلك عليه حديث المزولة التي قدمنا لك ذكرها ولعل القاري يرتاح اكثر من ذلك اذا افدناه وان احد المهندسين المسلمين كان صنع لصاحب جزيرة مالطة واسمه القايد يحي صورة لمعرفة اوقات النهار بالصنج وكانت سوق الادب يومئذ نافقة بمالطة فقال ابو القاسم بن رمضان من شعرائها لعبد الله بن السمط الاديب المالطي اجز الله هذا المصراع

جـارية ترمي الصنج بهـا النفـوس تبتـهج

فقال عبد الله

كان من احكمهـا الى السماء قد عرج

فطـالع الافلاك عن سر البروج والدرج

قلت والامير ابراهيم ابن الاغلب صاحب الامبراطور شارلمان هو موسس الدولة الاغلبية في سنة ١٨٤ وقد اولاه الخليفة هارون الرشيد امر افريقيا والقيروان على شروط ودامت دولتهم مائة سنة واثني عشرة سنة

وكان انقراضها بانقراض ملك ابي مضر زيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم واستفحال امر العبيديين من الشيعة في سنة ٢٩١ قال ابن خلدون « وغلب (اي زيادة الله) على اللذات واللهو ومعاشرة المضحكين والصفاعين (اي الكذابين) واهمل امور الملك الخ » قلنا لا غرابة حينئذ في سقوط ملكه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا وزيادة الله هذا هو حادي عشر امير من بني الاغلب فهو غير زيادة الله بن ابراهيم ثالث امير اغلبي وهذا الاخير في الذكر هو الذي امر القاضي اسد بن الفرات على الجيش الفاتح لجزيرة صقلية فلينتبه القاري وكان من استفحال العقيدة الشيعية والعبث بالشعائر السنية بقيام الدولة العبيدية ما قصه علينا التاريخ وطفحت به الدواوين التونسية

قال في حسن البيان لصاحبنا العلامة الماسوف عليه بالقلب واللسان المرحوم الشيخ محمد النيفر « وكانوا (اي الاغالبة) يكتبون على القصور والمواجل والقناطر والمساجد اسماءهم نقشا في الحجارة الى ان كانت دولة عبيد الله الشيعي فامر بازالة ذلك لئلا يبقى ذكر بماثرة لغيرهم بتطاول السنين » اه وقد نقلت هذه العبارة عنه ولساني يترحم له لانه كان من العلماء العاملين وفي نظري ان موته عند اجله المحتوم كانت خسارة على اهل العلم لانه كان امينا في انقاله ثبتا في مروياته واقواله ويؤيد ما رواه هذا الفقيد النقوش الحجرية الموجودة الى يومنا هذا الناطقة بما كان للاغالبة من العمارة بجامع الزيتونة كالتي على واجهة صحن باب البهو حيث يرى الناظر بعد قوله « مما امر بعمله » بياضا مسحت كتابته يد اثيمة عبيدية

وبمحل البياض كان بلا شك ولا ريب اسم صاحب التاسيس والله يرث الارض ومن عليها

هذا ولم ار في العصور الخالية دولة اكثر تسامحا وتلطفا من عصر بني حفص فان مخاطبتهم وعلائقهم مع غير المسلمين من اهل اروبا كانت تترجم عن عريضة واسعة وعلم باحوال الاقوام المعاصرة لهم فكانوا يكتبون في مخاطباتهم للاروباويين عبارات التمجيد والتفخيم الى ما دون التزلف ولدينا الآن مجلد قديم كان طبع بمدينة فيرينسه من اعمال ايطاليا في مبادي اختراع الطباعة العربية احتوى على عدة مراسلات من سلاطين بني حفص واعيان تونس وتجارهم خاطبوا بها ملوك واعيان وشيوخ مدينة بيش ممن كان لهم بهم صلة وعلاقة اثناء المائة السادسة فما بعد وكل تلك المخاطبات ناطقة بما للتونسيين اذاك من التسامح واللين في الخطاب على عكس ما لبعض المتاخرين ممن عرفنا فانهم كادوا ان يزنوا بالمثقال احرف التحليات التي يصدرون بها مخاطباتهم لغير المسلمين وان هم يفيضون القول في بسط رغائبهم ومتمنياتهم ناهيك انهم لم ينفصلوا حتى اليوم في هل يجوز السلام منهم في مخاطباتهم على الاروباويين او لا يجوز الى غير ذلك من الاذواق التي ربما راى فيها بعض النبهاء من المستعربين والمستشرقين دلالة على الجمود والخمود ولننقل لك كتابا حفصيا من صفحات ذلك المجلد ليكون حجة على صدق ما تقدم وما بعد العيان بيان

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وءاله وسلم تسليما

كتاب امان وتاكيد احسان امر بكتبه عبد الرحمن ابن سيدنا ابي حفص ابن سيدنا الخليفة الامام امير المومنين الى جماعة تجار نصارى بيش (هي

مدينة بيزه الطليانية) هداهم الله وامن سربهم واعذب شربهم وآنس وحشتهم وسكن نافرهم واحمد مواردهم ومصادرهم واجراهم على ما تعودوه من احسان سيدنا الخليفة الامام امير المومنين ايدهم الله بوثيق عهدهم ومعهود رفقتهم ومعروف عدلهم وجميل مذهبهم في معاهديهم اجراء تاما عاما حائزا لفوائده آخذا بعوائده مقتديا بمقاصده بالغا فيه الى الغاية التي توكد لطالبه الثقة به والاستنامة له والسكون اليه بحول الله فليصلوا الى بلاد افريقية حاطها الله محمولين على سنن الرعاية والعناية محوطين بكانف الكفاية والحماية ملحوظين بهذا المنزع الاوزع والمقصد الارشد والمذهب الاصوب ان شاء الله وحيث حلوا من معاقلها وسواحلها وبرها وبحرها في مسالك تجارتهم وترددهم بها ومتصرفاتهم لا يعترضهم في شيء منها معترض ولا ينغضب لهم هذا الحبل المتين ولا ينغرض ان شاء الله تعلى لا رب غيره ولا معبود سواه وبالله التوفيق اه

هذا وكان لبني حفص علائق مطردة مع ملوك فرنسا وكانت الايام بينهم كما قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر

او كما قال الآخر

والدهر طورا بعز يقضي وطورا بهون

وقد فصلنا في الرحلة الفليارية حديث ما جرى بين السلطان محمد المستنصر بالله والملك سان لويس الذي قدم من فرنسا سنة ٦٦٨ لغزو تونس ايام الحروب الصليبية فلما مات سان لويس في عامه بقرطجنة وتفشى الوباء بمعسكره وكانت جنوده هي المتغلبة ركن ابنه فليب الجسور

لمصالحة المسلمين لانه رام الرجوع لبلاده حيث دالت نوبة الملك اليه عوض ابيه فصالح السلطان الحفصي على شروط توقفنا للوقوف على رسم فطوغرافي من سجلها الاصلي المحفوظ بيد الدولة الفرنساوية واليك عبارته بالحرف الواحد ونلفت اليه نظر القاري لانه لم يتقدم نشره قط بتاريخ تونسي والفضل في وقوعه بين ايدينا راجع لمشيخة قرطجنة العلمية

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه وسلم تسليما

هذا ما اتفقوا (كذ) عليه وعقدوه على يد الشيخ الاجل الاكرم ابو زيان محمد بن عبد القوي * الملك الاجل المعظم المختار فليب بنعمة الله تعالى ملك افرنسه ابن الملك الاجل الاقدس لويس والملك الاجل المعظم جارل بنعمة الله تعالى ملك صقلية والملك الاجل المعظم تيباط ملك نفاره امدهم الله تعالى بتوفيقه والخليفة الامام المويد المنصور امير المومنين ابو عبد الله محمد ابن الامرا الراشدين ايدهم الله بنصره وامدهم بمعونته ورضي عنهم وابقى للمسلمين بركاتهم على شروط ياتي ذكرها وهي ان يكون جميع من يتردد من المسلمين الذين من بلاد امير المومنين ومما هو تحت طاعته ومما ينضاف الى طاعته الى بلد من بلاد الملوك المذكورين والاقماط والزعماء او الى جزيرة من الجزاير المعروفة بهم او ما هو تحت طاعتهم او ما ينضاف الى طاعتهم في امان الله تعلى لا يعترض احد منهم في نفس ولا مال كثير او قليل وان يكفوا عادية كل من يخرج من بلادهم ومما هو تحت طاعتهم وما ينضاف الى طاعتهم ن مسطحات وقطع وشياطي وغيرها من ساير الاجفان كبيرها او صغيرها لضرر او تعد على شي من بلاد امير المومنين ومما ينضاف الى

طاعته وما بينهما من جميع البلاد والجزاير والسواحل والمراسي او على احد
من سكانها فمتى اصيب احد من المسلمين المذكورين في نفس او مال
قليل او كثير فعليهم جبر ذلك على المسلمين ورده سواء كان المسلمون واردين
على البلاد المذكورة او صادرين عنها وعلى انهم لا يمدون احدا يريد ضرر
بلد من بلاد امير المومنين ولا ما ينضاف اليها ولا احد من اهلها وعلى انه متى
انكسر لاحد من المسلمين المذكورين جفن او جفن للنصارى وفيه احد
من المسلمين المذكورين في مرسى من مراسي بلادهم وفيما يكون تحت
طاعتهم فعلى كل واحد منهم حفظ ما يصل من ذلك الى بر طاعتهم من
المسلمين او من اموالهم ورد جميع ذلك الى المسلمين وعلى ان يكون جميع
من يحل من مراكب المسلمين والنصارى من غير البلاد المذكورة ومما ينضاف
الى طاعة المسلمين في مرسى من مراسي امير المومنين في امن مثل امن اهل
البلاد المذكورة ما داموا في المرسى المذكور او مقلعين واردين او صادرين
وعلى ان يكون جميع من يصل من تجار اهل بلاد الملوك المذكورين وجميع
النصارى الذين هم اصدقاوهم في امن الله تعالى في انفسهم واموالهم على
المعهود المتعارف فيما لهم وعليهم من بيوعهم واشريتهم محفوظين في ترددهم
واقامتهم ما داموا متقبلين على تجارتهم محافظين على ربوط هذا الصلح
ويكون لهم من الشروط مثل ما اشترط على الملوك المذكورين سوا حرف
بحرف وعلى ان يكون رهبان النصارى او قسوسهم سكانا في بلاد امير
المومنين وهو يعطيهم موضعا يعمرون فيه دياره وبيوت الصلاة ومواضع
لدفن موتاهم والرهبان والقسوس المذكورون يعظون ويصلون مجهرا في
كنايسهم ويخدمون الله بما يلزم شريعتهم وبما هم معودون في بلدهم وعلى

ان جميع التجار الذين في بلد امير المومنين من بلاد الملوك المذكورين
وغيرها من النصارى يكونون على عوايدهم في جميع امورهم ويرد لهم كل شي
اخذ لهم وكل شي لهم عند الناس وعلى الناس وعلى ان الملوك المذكورين لا يقبلوا
في بلادهم من يكون عدوا لامير المومنين ولا ينجدوا لمن يتحرك لضرر او
لتعد على شي من بلاده وعلى ان من حصل من الاسرى بيد المسلمين او بيد
الملوك المذكورين وبقي حيا فيرد كل اسير الى اهل دينه وعلى ان يقلع
الملوك المذكورون وجميع من اليهم وفي محلتهم من اهل طاعتهم ومن
غيرهم من كل من تحرك بحركتهم او وصل في صرختهم او معونتهم او يصل
بعدهم مثل الملك ادورد او غيره كائنا من كان ولا يبقى في بر المسلمين احد إلّا
ان بقى لهم اثقال او بعض ناس فيكونوا في موضع معين لهم من جهة امير
المومنين ويكونوا محفوظين منه الى حين رجوع المراكب اليهم وعلى ان
مدة انعقاد هذا الصلح بين امير المومنين والملوك المذكورين وغيرهم من
الاقماط والزعماء الى تمام خمسة عشر عاما شمسية اولها شهر نونبر المتصل
باكتوبر الموافق لشهر التاريخ وعلى ان يعطى لهم مايتا الف اوقية ذهبا
وعشر الاف اوقية كل اوقية منها يقبض عنها من الفضة ما قدره خمسون
درهما من دراهمهم في الوزن والطيب يعجل لهم منها نصف العدد
محضرا والنصف الثاني مقسط بين عامين شمسيين من تاريخه نصف المقسط
يقبض آخر كل عام من العامين المذكورين والذين يبقون في بر امير
المومنين بعد سفر الملوك واجنادهم على ما ذكرنا يكونون محفوظين من جهة
امير المومنين وان تعرض لهم عارض في انفسهم واموالهم فعلى امير المومنين
رد ذلك اليهم والانبرور الاجل بادوين صاحب قسطنطينة والكمت الاجل

25

الفوس (الفونص) كمت طلوزه والكمت الاجل كي كمت دافلندر والكمت الاجل هري (هنري) لمت لوسنبرك (لكسنبورغ) وجميع من حضر من الاقماط والزعما والفرسان داخلون في ذلك كله ولازم لهم ذلك شهد على جميع من ذكر في الاعلا المشهدين بما فيه بعد تقريره عليهم وفهمهم جميع ما نسب الى كل واحد منهم بمحضر جميعهم وليعطي امير المومنين على المال المتبقى ضمانا من تجار النصارى للملوك المذكورين وان كل من يكون عدوا للملوك والاقماط المذكورين يصرف ويخرج من بلاد امير المومنين ولا يعاد يقبل وشهد ايضا من حضر من القسوس والرهبان والاساقفة بجميع ذلك وامير المومنين ايده الله تعلى وولده المبارك الاسعد والشيخ الاجل ابو زيان بن عبد القوي وعدوا على دينهم وامانتهم بتمام ذلك بتاريخ الخامس لربيع الآخر عام تسعة وستين وستمائة ويضاف الى هذا العقد ان يودي الى الملك الاجل جارل بنعمة الله ملك صقلية عن الخمسة اعوام الماضية المتصل آخرها بهذا التاريخ ما كان يؤدي للانبرور سوا ويؤدي للملك الاجل المذكور من اليوم رجاى في كل عام ما كان يؤدي للانبرور مثنيا والحمد لله تعلى شهد بانعقاد الصلح وصحته وثبوته عبد الحميد بن ابي البركات بن عمران بن ابي الدنيا الصدفي وعلي بن ابراهيم بن ابي عمرو التميمي وابو القسم بن ابي بكر اليمني ـ انتهى بحروفه

هذا وقد جاء في مقدمة الرحلة الفليارية ان الدولة الفرنساوية ما انفكت متواصلة العناية بارض قرطجنه التي مات بها سان لويس حتى انها اقامت هنالك كنيسة تخليدا لاسم هذا الملك وغاية ما كنت اعلم ان ذلك كان في ايام المرحوم حسين باي وقد وقفت بعد نشر الرحلة الفليارية على

امر تلك الكنيسة وصورة ذلك ان الدولة الفرنساوية اثر استيلائها على الجزاير عقدت مع المرحوم حسين بن محمود باي معاهدة جديدة في توسيع نفوذها بالديار التونسية وهذه المعاهدة المحررة بتاريخ اليوم الثاني عشر من صفر سنة ١٢٤٦ تضمنت شرطا سريا راى المتعاقدان اذاك من المصلحة السياسية ان لا يشاع ويذاع امره بين الناس الان تغير الزمان بزوال الموانع التي كانت قضت بعدم افشاء ذلك السر المكتوم في ذلك الوقت المعلوم سمحت لصاحب « كتاب مخاطبات بايات تونس مع ملوك فرنسا » بنشر كامل عبارة المعاهدة المذكورة والفصل السري التابع لها وها انا ذا ناقل عنه نص ذلك الشرط السري وهو هذا « الحمد لله وحده واليه يرجع الامر كله وبعد فقد منحنا منحا موبدا لجلالة ملك فرنسا قطعة ارض كائنة بالمعلقة بما فيه الكفاية لاقامة معبد ديني تشريفا للملك لويس التاسع بالمحل الذي قضى فيه هذا الملك نحبه والتزمنا في حقنا وحق رعايانا باحترام هذا المعبد الذي يقصد به سلطان فرنسا تخليد ذكر من نسب اليه الذي هو مفخر اسلافه ملوك فرنسا والسلام من الفقير الى ربه عبده حسين باشا باي وفقه الله آمين » اه

هذا ولما طوى الزمان دولة بني حفص بعد ان تربعت على كرسي الملك بتونس من سنة ٦٠٣ الى سنة ٩٨١ وهذه السنة هي سنة الفتح العثماني الذي اعقبه انتصاب دولة الدايات واشهرهم يوسف داي صاحب المآثر الحميدة التي منها جامعه بالبشامقية وورثه الداي اسطا مراد الذي سيرى القاري كلاما بشانه في القسم الثاني من هذه الرحلة خلال الخطب التي القيت بمناسبة زيارة الحضرة العلية للمجلس البلدي بباريس وهو الامر الذي حملني على استقصاء حديث هذا الرجل من جهة مشاريعه وعلايقه مع الدولة الفرنساوية

قال في الحلل السندسية للوزير السراج ان الداي اسطا مراد كان
يملك اسطولا لا يقل عـدد سفنه عن تسعمائة وسمعنا من لسان حفيـده
الوجيه الاثير السري ابي الحسن علي اسطا مراد وقد انعم عليه المقام الملوكي
بوسام الكمندور من نيشان الافتخار بعد رجوعه من فرنسا ان جده الداي
المذكور تجمع لديه من غزواته اكثر من عشرين الف اسير والعهدة
عليه ولا يبعد انه نقل ذلك عن الخلاصة النقية لانه جاء فيها ما يؤيد هذه
الروايه بزيادة انه كانت له بدار نزهته بالمحمـدية اربعة وعشرون جارية
من العلوج قلت لا شك ان اهل العقول حائرون في ترضية امرأة واحدة
فكيف بهم لو جاروا الداي اسطا مراد سيما في هـذا الزمان الذي لو نادوا
فيه على امرأة لجاءتهم ثلاثمائة والحاصل ان التواريخ العربية والفرنساوية
جاءت بما يؤيد سمعة هـذا القائد البحري العظيم ويشهد بحسن سياسته
ناهيك انه ادرك في تلك العصـور المظلمة التي هي ايام فتن ومحن ان
تونس كانت في حاجة لمجاملة الامة الفرنساوية ولقد اداني البحث والتنقيب
للكشف عن نص مكتوب صـدر من الداي المذكور للدولة الفرنساوية وهو
المكتوب نفسه الذي جاءت ضمنه العبارة التي سيراها القاري في خطاب والي
مقاطعة السين بين يـدي الحضرة العلية في باريس وذلك المكتوب صدر
منه والملك يومئذ بفرنسا هو لويس الرابع عشر وكان له به علاقة وصحبة حتى
انه اهداه بتلك المناسبة خيولا عربية وصناديق من التمر وقال في مكتوبه
المذكور ما عبارته « انه قد تاصل مني حب الامة الفرنساوية منذ عرفت
نفسي فكيف بي وانا اليوم صاحب الامر والنهي بتونس لا جرم ان ذلك مما
يحملني اكثر من قبل على انجاز مواعيدي نحوكم اذ لا شيء اعلق بفؤادي

من دوام الالفة معكم على بساط السلام والاحترام ومرغوبي الاشد هو امناح الحرية لجماعة المسلمين الذين وقعوا في قيد الاسر عندكم » اه

ويكفي في اقامة الدليل على شهرة هذا الداي وفضله ان ننقل للقاري نص العبارة المزبورة بالنقش على الحجارة الموجودة فوق واجهة ضريحه بتونس وهي الابيات الآتية بحروفها

هذا مقام حفه الاسعاد ◦ فيه استقر القابدان مراد

داي العساكر ذو المعالي من له ◦ خضع العزيز وذلت الآساد

كان الجهاد شعاره ودثاره ◦ حتى توفى وهو نعم الزاد

قهر العداة حياته لم يلهه ◦ عن حربهم مال ولا اولاد

كانت به الخضراء تونس نزهة ◦ ايامها بوجوده اعياد

لما تولى الامر والنهي اكتسب ◦ حلل الجمال وامها القصاد

وكانت وفاته رحمه الله سنة الف وخمسين للهجرة وهي السنة التي تولى بعده فيها الداي احمد خوجه بحيث ان مدة الداي اسطا مراد كانت واقعة بين دولة هذا الداي وايام يوسف داي الذي وزيره الحاج علي ثابت صاحب الميضاة المعروفة التي كانت بسوق الترك والتي وقع نقلها لنحو عشرة اعام فارطة عن التاريخ لبستان الخضراء بعناية المجلس البلدي بتونس والكاتب العام مسيو بادو فهذه الميضاة التي هي عبارة عن اثر تاريخي من دولة الدايات لم تزل ناطقة حتى الآن بما كان لذلك الوزير من الايادي البيضاء في خدمة هذه البلاد وما على المستطلع والملع باخبار الماضين إلّا مراجعة اللوح المنقوش عليه تاريخ تلك الميضاة وهو لم يزل موجود العين بها ولله الامر من قبل ومن بعد

وكان ختـام دولة الدايات وتغلب منصب البـاي على منصب الداي بسقوط دولة ابراهيم الشريف في سنة ١١١٧ وقيام دولة البايات الموجودين بظهور هلال الملك الحسيني خلد الله بقاءه مدا الدوران وفيهم يقـول المرحوم الشاعر الكبير الشيخ محمد بن الخوجه المفتي الحنفي المتوفى سنة ١٣٢٣

آل الحسين جبال عز راسيات طـود يقـام اذا ثبـير اخـرا
شم الانوف كريمة احسابهم تلقاهم الروض العطير الازهرا
اباء هـذا القطر مفزع اهله فودادهم في القلب اوثق العرى

اما اصلهم فقد اختلف فيه لان شهرتهم جعلتهم محل نزاع بين الكثيرين من المورخين فالاتراك يقولون ان اصل حسين بن علي من جزيرة كريد والفرنساويون يزعمون انه نشا بجزيرة كرسيكة وهذا التنازع كثيرا ما رايت مثله بالتاريخ فان مورخي كل امة يريدون تدعيم تاريخ جنسهم بعظماء الرجال على معنى نسبتهم لامتهم كما فعلوا عند تحرير نسب المجاهد الشهير والقايد الكبير محمد علي باشا جد خديوي مصر والغازي عثمان باشا بطل بليفنا بل ولقد رايت اخيرا ما ادهشني من ادعاء بعض المورخين الطليانيين وان عبد الله التعايشي وزير عثمان دقنه السوداني الذي كانت له يد عاملة ايام الحركة المهدوية بالسودان من اصل طلياني وها هم اولاء يزعمون اليوم ان المجاهد انور بك صاحب الصولة والجولة بطرابلس الغرب من اصل بولوني روسي وانما اعتنق الاسلام لغاية في النفس على حد قولهم لامر ما جدع قصير انفه وسواء صحت تلك الروايات او كذبت فان الاسلام ملة سمحاء تجب مـا قبلهـا وفي الحديث الشريف كلكم لآدم وآدم من تراب

ولنرجع لحديث علايق حسين بن علي بالدولة الفرنساوية فنقول ان ايامه كانت متداخلة في دولتي لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر وكان له معهما روابط وعلايق كثيرة لان حكمه دام طويلا الى ان اغتصبه منه حفيده الباشا علي بن محمد وكانت الوصلة بين حسين بن علي ولويس الخامس عشر اكثر منها بلويس الرابع عشر ففي ايام لويس الخامس عشر افتدت فرنسا من الباي الاسرى الذي كانوا بتونس وحكم الباي على اهل القرصنة بانهم اذا تطاولت يدهم بعد ذلك لاخذ مراكب الفرنسيس المتجولة في البحر المتوسط يكون جزاءهم الموت حتما لذلك لم نر فيمن ادركنا من الدخيلين في الاسلام الباقية اعقابهم لعهدنا الحاضر بالبلاد التونسية إلّا اناسا من غير الجنس الفرنساوي ومن شواهد تمكين العلايق بين فرنسا وتونس يومئذ عقد معاهدة صلح ومحبة بينهما لمائة عام وها انا ذا ننقل كتابا من الملك لويس الخامس عشر خاطب به حسين بن علي في الدلالة على ذلك ونص ما به الحاجة منه « ان الرسالة التي كاتبتموني بها في ١٦ يونيه الفارط قد ابلغها الي رسولاكم احمد خوجه ومحمد شاوش وباشارة عمنا الدوك دورليان الذي هو الوصي علينا (لان الملك كان يومئذ صغيرا تحت الحجر) كلفنا مجلس بحريتنا بالاشتغال والاعتناء بمطالبكم وحيث ان صنيعنا هذا نحوكم سيكون باعثا لانشراح خاطركم كذلك نعتمد نحن على عنايتكم بمصالحنا محافظة على روابط الالفة بين رعايا الجانبين وفي الختام ندعو لكم ايها السيد العظيم المبجل بالسعادة وبلوغ المراد اه وكان الباي حسين بن علي يبالغ في تعظيم ملوك فرنسا فكان يصدر خطاباته اليهم بما مثاله « فخر الملوك العظماء من الملة العيسوية المختار من خيار

سلاطين الامم المسيحية واسطة عقد الاقوام النصرانية صاحب العظمة والشرف الممدوح بالفرض والرد الخ » ويا حبذا لو امكنني الوقوف على الاصل العربي من هذه الجملة التي هي مجرد ترجمة عن نص فرنساوي مترجم عن النص الاصلي العربي ومنه يظهر للقاري خطارة المسالة لان الترجمة الصحيحة من لغة لاخرى في نفسها عسيرة فما بالك بها اذا تكررت ترجمتها من هذه اللغة لتلك ومن تلك لهذه لا جرم ان ذلك ليس في طوع احد بلغ ما بلغ اقتداره في فهم اسرار اللغات ولا ينبئك مثل خبير

وقد عثرت في الكتاب الذي نقلت عنه هذه النبذة ان الباي حسين ابن علي كان له جيش لا يقل عن اربعين الف وهو الذي استعمله في تشريد اعراب جبل وسلات الذين التفوا حول حفيده الباشا علي بن محمد ولكنها لم تغنه نقيرا لان هذا الباشا تغلب على عمه واغتصب منه الملك فكانت تلك الايام على المملكة ايام فتن ومحن لم تنته إلّا بعد قتل الباشا علي في سنة ١١٦٩

وقد ارخ شاعره ابو عبد الله محمد الورغي مقتله بالابيات الاتية

مضت دولة الباشا علي كانه من الدهر يوما في الولاية ما عاشا

اتته المنايا وهو في عظم قوة وجيش قوي مثله قط ما جاشا

وصار دفينا بعد ما كان دافنا فقلت وقد ارختها دفن الباشا

وفيه يقول مذ كان متربعا على دست الامارة

هو العز في سمر القنا والقواضب وإلّا فما تغني صدور المراتب

وسيان اغنام الرجال وصيدها اذا لم يميز فضلها بالتجارب

ومن زاحم الاخطار احمد غبها فاما لنصر او لدفع المعاتب
ولو كان احراز الفضائل هينا لساد بمحض القول من لم يضارب
ومن عرف الايام قص غريبها وفي قصص الباشا عيون الغرائب
هو الملك الداعي الى الحق وحده وان كثرت اهل الدعاوي الكواذب

الى غير ذلك من عبارات التفخيم والتضخيم التي جاءت ضمن هذه القصيدة الرنانة الطويلة الذيل ولا شك انها مما زادت اذاك في كبرياء الممدوح وتماديه على الايقاع باشياع عمه وذويه ناهيك انه اضطر ابني عمه محمد وعلي للفرار من الديار التونسية والالتحاق بالجزاير حيث اقاما الى اليوم الذي انتهزا فيه الفرصة لاسترجاع ملك ابيهما بمساعدة حسين باي قسنطينة وذلك بعد ان تكبدا لوعة الفراق وظنا انه لا معاد الى يوم التلاق ولدينا ديوان لطيف نظمه محمد بن حسين باي حال اقامته بعاصمة الجزاير تضمن اكثره الترثي لحال صاحبه فمن ذلك قوله ضمن شكاية طويلة

اشكو بما لاقيت للرحمان والدمع منفض من الاجفان
والقلب قد شدت عليه ضلوعه بعد الشدائد كالاسيف الفاني
والنفس قد ضعفت لعظم مصابها بتراكم الاهوال والاشجان
والعقل من افكاره في حيرة متزلزل الجنبات والاركان

ومن ذلك قوله في قصيدة اخرى مشيرا لظلم ابن عمه الباشا علي وولده يونس

فخذلي بثاري من عدوي فانه كفور ظلوم في معاصيه موبق
علي علا رمحا ويونس صارما هما واليا الاشرار والفرخ اسبق
بغوا واعتدوا في الارض ظلما ومنكرا فقوم ثمود من مناهلهم سقوا

29

فخذهم الاهي عاجلا غير ءاجل فسجنهم للخلق منهم تشفق
ورد علينا ملكنا فعيوننا تدر اسى انسانها كاد يغرق
اغثنا بجاه المصطفى خير مرسل نبي اتى بالمعجزات مصدق

ويا بعد ما بين المشرق والمغرب فالورغي يمدح ومحمد باي يقدح وهكذا شان الزمان في كل عصر واوان لولا ان التاريخ جاء بحكم قاس على دولة الباشا لانه نعتها بالظلم والاعتساف والقصور في السياسة الخارجية فضلا عن الداخلية من امتهان العلماء ووضع سيف الظلم في رقاب المسلمين واما سياسة الباشا مع اروبا فانها كانت سياسة عنف وتهور ناهيك انه قطع العلايق مع فرنسا وصادر متاجرها بمساعدة اهل اللصوصية البحرية لان قنصلها امتنع من خلع نعاله عند الدخول عليه وذلك اقصى ما كان في طاقته عمله معها لانه كان يهابها دون سواها من الدول قال المورخ بلانتي الفرنساوي ان هذا الباشا استحضر يوما جمعا من القناصل فلما مثلوا بين يديه امر بوضع قنصل هولانده في غل من حديد وبسجن قنصل السويد في الداموس وليتدبر القاري ما في ذلك من السياسة الخرقاء التي قضى نوع منها على بلاد الجزاير اذ كل يعلم ان فرنسا لم تغز تلك البلاد إلّا بداعية الانتقام والاخذ بالثار من حسين داي الذي اداه العنف والتهور لقرع قنصلها بمنشة ذباب على انها كانت من ذهب مرصع ومن نكايا الاقدار ان كان التهور الذي ارتكبه الداي حتى جعله كالباحث عن حتفه بظلفه من اجل منازعة مالية بين تجار فرنساويين ويهوديين جزائريين احدهما اسمه بوشناق والاخر بقري ولكن مع ما كان عليه الباشا علي بن محمد باي من السياسة العوجاء وقفت له على حسنات منها انه

اشترى ارضا بمالطة وقفها مقبرة لاموات المسلمين ومنهـا تلاوته لصحيح البخاري فقد رايت على بعض نسخه الموقوفة على خزائن جامع الزيتونة انه انهاها قراءة ومقابلة في رمضان سنة كذا ولم نتذكر الآن في اي عام كان ذلك ومنها شرحه لتسهيل محمد بن مالك قال في مسامرات الظريف ان الناس اعتكفوا على قراءته بجامع الزيتونة مدة دولته وفيه يقول ابو الحسن علي البارع

لله شرح للامـير موضح ... لم يتصف بصعوبة التلويح
سهل التناول بالخفاء مصرح ... قد فاق في التسهيل والتصريح
فاذا افتقرت الى كتاب موضح ... فكتابه المغني عن التوضيح

والخلاصة ان حديث دولة هذا الباشا طويل وليس هنا محل بسطه باكثر مما اجملنـا بل على الراغب في الوقوف على اخبـار تلك العصور بالتفصيل ان يطالع التاريخ الباشي للشيخ حموده بن عبـد العزيز وكتاب المشرع الملكي في سلطنة اولاد علي تركي للصغير الباجي واسمه محمد الصغير ابن محمد بن يوسف بن علي التركي الحنفي وتوفى ودفن بباجة في حدود سنة ١٢٠٠ وهذا التاريخ الذي كاد ان لا يعرف لدى الخاصة فضلا عن العامة لندارة نسخه المخطوطة باليد وعدم طبع اصله العربي وان هو ترجم وطبع بالفرنساوى لم نر تريخا تونسيا ناطقـا بصدق صاحبه اكثر منه لان محرره كتب على نفسه نقل الحوادث على علاتها وحسب ما رات عينـاه بدون وضع اي قياس او استنتـاج نعم ان استخلاص القياسات التي هي فلسفة التاريخ امر مفيد جدا ولكن ذلك فنا كاد ان لا يكون له مسمى في سلسة المورخين التونسيين ولقد عرضت هذا النظر ذات يوم على المرحوم

الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور فشاطرني فيه وقال ان ذلك هو الامر الذي منع الكثيرين من الكتاب عن تحقيق عدة ظنون تاريخية كانوا يرومون بحثها وعرضها على محك العقل والنقد ولا ينبوك مثل خبير

هذا ولما تم الامر لمحمد باي واخيه علي باي باسترجاع ملك ابيهما من يد مغتصبه ابن عمهما الباشا علي بن محمد باي عادت المياه لمجاريها فصعد لكرسي الملك اكبرهما محمد ثم علي وكان محبوبا في رعيته وصاحب سياسة سلمية اذ وثق روابط السلام مع الدولة الفرنساوية بعد ما اعتراها من الفتور وعلي هذا هو اول باي ضرب سكة الذهب بتونس وسماها المحبوب من صرف اربعة ريالات ونصف فضة بسكة ذلك الوقت ولم ينقش عليها اسمه وفيما اعلم ان اول باي ضرب اسمه على السكة التونسية هو المرحوم محمد بن حسين بن محمد باي وكان المقدار الذي ضربه من الذهب لا يتجاوز ستين الف ريال اي نحو ستة وثلاثين الف فرنك من سكة زماننا هذا وحيث كان الشيء بالشيء يذكر نقول في هذا المقام اني كنت وقفت على مقدار ما امكن حصره من الذهب المسكوك الذى ضرب على توالي السنين في دولتي محمد باي واخيه محمد الصادق باي اي مدا ثلاثين سنة تقريبا فكان دون الستين مليونا من الريالات ولما اجرت دولة الحماية اصلاحها الاخير للسكة التونسية ورفعت شانها من درجة الريال الى الفرنك ضربت الدولة التونسية يومئذ في عام واحد بدار السكة بباريس عشرين مليونا من الفرنكات ذهبا ثم من ذلك الوقت الى عامنا الغابر ضربت ثلاثين مليونا اخرى بما يدل على الثروة القوية التي اصبحت عليها البلاد التونسية منذ دخولها في كنف تلك الحماية المنيعة

هذا وبوفاة علي باي في سنة ١١٩٦ ورثه في ملكه ابنه حمودة وكان ملكا صالحا صاحب تدبير وحذق وسياسة وكان معاصرا للامبراطور نابليون بونبارط وله معه روابط ودادية وثيقة وكان نابليون يستنجبه ويرى فيه رجلا عاقلا عالما باحوال زمانه لذلك لم يتهجم قط على المملكة التونسية ولم يخطر بباله مصادرة حمودة باشا بداعية الانتقام منه عند تعكر تلك العلائق بينهما في اوايل القرن الثالث عشر للهجرة بل ان نابليون فهم سلامة ضمير الباي وان اشهى شيء اليه هو تجديد روابط الالفة والمعاشرة بين القطرين وحسم ذلك الجفا والفتور العارض وفي هذا المعنى كاتبه قائلا ضمن خطاب وجهه له في ٥ دجنبر سنة ١٨٠١

« اني عليم بان ملوك تونس امتازوا بين ملوك البربر بمحبة فرنسا وانكم تاسفون كثيرا لما حصل من تكدير صفو كاس السلام معنا وهذا الشعور هو الذي حملني بامان على ارجاع قنصلنا دفواز لطرفكم وقد اصحبته بمكتوب مني اليكم فوضت له فيه القيام بمهمة توثيق العلائق والمعاشرة السعيدة بيننا وهذا الخطاب ستجدون فيه فرصة ثمينة لاحياء رابطة المودة مع امة عظيمة (فرنسا) لها من مظاهر النصر والفخر المؤيدين لاحبابها بمقدار ما لها من الشدة الرهيبة على الاعادي »

قلنا وهذه المودة الوثيقة التي اشار لها بونبارط في مكتوبه اقتفيت اثرها في سلم الايام فوجدت ما يدل على صحتها ورسوخها من يوم تربع ءال حسين بن علي باي على كرسي الايالة بحيث ان علائق البايات الاقدمين بفرنسا لم تكن باقل ودا من علائق اعقابهم بها وكانت كما لم تزل شواهد الود متواصلة بين الجانبين سواء ذلك بالافصاح عنها مشافهة في كل

مناسبة دعت لذلك او بطريق الهدايا الفاخرة المجددة لعهود المحبة بين الطرفين ولقد وقفت على تقييد صحيح تضمن بالتفصيل ما احتوت عليه هدية ارسلها بونبارط في سنة ١٧٩٦ (١٢١١ للهجرة) لحمودة باشا واليك ذلك

١ للباي ـ عقد ذهب مرصع بالحجارة الكريمة وساعة (نقالة) بالمنبه مرصعة مع سلسلتها وشركة جوهر ذات سمطين .

٢ ولوزيره الاكبر ـ سلسلة مرصعة وقفطان حرير طرز بالذهب وفضلة ملف احمر واخرى ازرق

٣ ولصاحب الطابع ـ سلسلة مرصعة وساعة بالمنبه بسلسلتها وفضلة ملف قرمزي واخرى قسطلي

٤ وللكاتب باللغة التركية ـ سلسلة وساعة ذهب

٥ وللكاتب بالعربية ـ مثل ذلك

٦ وللترجمان ـ فضلة ملف ازرق

٧ وللوزير مصطفى خوجه ـ سلسلة وساعة مرصعة

٨ ولكاهية غار الملح (محمد خوجه) ـ حقه مرصعة

٩ ولوكيل الجزاير بتونس ـ ساعة ذهب

ويرى القاري ان الدولة الفرنساوية تتغالى منذ القديم في هداياها لملوك تونس بل وكانت تمد الحكومة التونسية بالمال على وجه المكارمة والمجاملة ففي السنة المشار اليها آنفا اوفد حمودة باشا الوزير محمد خوجه كاهية غار الملح (جد والدي لامه) سفيرا عنه للندرة وامره ان يمر في رحلته بباريس ويبلغ سلامه لنابليون فلما حل محمد خوجه بباريس اكرمت فرنسا

لقياه قال في كتاب « مخاطبات بايات تونس مع ملوك فرنسا » ولما عزم محمد خوجه على السفر لانكلتيرة اتحفته الدولة الفرنساوية بكيس يحتوي على اثنتي عشرة الف ليرة يعني ما يلزمه لمصاريف اقامته بلندرة وكانت تلك العناية تحل بسويداء الفواد لدى حموده باشا فيظهر لها ارتياحه ويسعى طوق جهده في مكافاة الحسنه بالحسنة من ذلك انه ارسل في سنة ١٢١٨ الاغه مصطفي ارناووط بصفه سفير عنه لتهنية الانبراطور نابليون واصحبه بهدية فاخرة احتوت على ثلاثة عشر راسا من الخيل العتاق وعلى ثلاثة اسود وعلى ثلاثة نعامات وعلى سرب من الغزلان وعدة حيوانات اخرى برية واهلية وكان سفر مصطفى ارناووط من تونس لمرسى طولون في سفينة حربية فرنساوية قال في « مخاطبات بايات تونس مع ملوك فرنسا وكان بمعيته (اي مصطفى ارناووط) عشرة انفار وهم ترجمان وتاجران مسلمان وكاتب وخادمان وحلاق وطباخ واثنان من العبيد السود فلما حل بضيافة الحكومة الفرنساوية اقتبله بونابارط بسراية سانكلو يوم الاحد عند فراغه من الصلاة بالكنيسة الخ

وليتدبر القاري معاني سياسة حموده باشا فان ركونه للدولة الفرنساوية لم يكن عبثا او سدى لانه فهم ما كانت عليه فرنسا من القوة والمنعة ناهيك وان عظيمها يومئذ هو نابليون المذكور الذي القى رعبه في قلوب الامم الاوروباوية كافة ولم تنج من هجماته البلاد المصرية وما على القاري إلَّا مطالعة تاريخ الامير الاي كاليفاريس المعلم بمكتب الحرب باردو على عهد احمد باشا ومطالعة تاريخ الجبرتي الذى استقصى كافة اخبار الحملة

الفرنساوية بالديار المصرية ليعلم ما كان لنابليون من العظمة والعزة هـذا
ولا يكاد يوجد بالحاضرة تونس فاضل ممن اخذ وسمع عن مشيخة الجيل
الفائت غير محيط او ملم باخبار دولة حموده باشا وما كان عليه من الحذق
والغيرة الوطنية ولقد ادركت في حدود سنة ١٣٠٠ شيخا هرما اشرف على
المـائة وهو الخير المرحوم ابو التقى رمضان بو عبده وكان من الثقات
قال لي انه كان امينا للمعاش في اواخر دولة حموده باشا فـاشتكى به
ذات يوم لهذا البـاي رجل فطـائري مدعيـا انه ظلمه اذ حجر عليه
بيع فطائره لان زنتها كانت دون القدر المعتاد في نظائرها قال استحضرني
الباي في مجلس حكمه بباردو وامرني باعـادة وزن الفطائر لديه فلما
اخذت الميزان وشرعت في العمل اخذتني دهشة لعدم اعتيـادي على
الظهور بذلك الموقف واذاك ارتعشت يدي وحصل اضطراب في كفتي
الميزان فتوهم الباي انني حاولت طمس الحقيقة سعيا في غبن حق المدعي
فانتزع المـيزان من يدي وباشر الوزن بنفسه واستدنى منه المشتكي واراه
الحق كالصبح المبين وما زال به حتى اقنعه وان الحق في جانب امين المعاش
قلت وكان والدي رحمه الله حاضرا لسماع هذه الحكايه فقال ما اشبه هذا الصنيع
بالعدل العمري الذي نجد خـبره في القرآن الكريم في آية فلا وربك لا
يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما ثم انه نقل لي بتلك المناسبة حكاية عن فطنة حموده باشا سمعها
من نسيله المرحوم علي باي وكانت له به صحبة وانتساب قال اوتي اليه ذات يوم
وهو في المحكمة برسم وصية في ثلث بعقد مدلس على عـدل ميت وكان كل من
المدعي والمدعى عليه حاضرا بين يديه فرأى في اعين المبطل وفي كلام المحق

ما حمله على تشديد النظر ومزيد التروي في القضية بالتامل من الصك المطروح لديه الى ان اهتدى للكشف في عين ورقة ذلك الرسم وان تاريخ صنع الورقة كان متاخرا عن تاريخ الاشهاد المزبور بالرسم فحكم ببطلان الرسم واخذ على صاحبه ان لا يعود

كذلك حدثني والدي بالنقل عن والده انه كان لهذا الباي حرص شديد في تنشيط الصنائع الاهلية حتى انه كان ياكل الطعام في مواعين من فخار نابل وينهي وزراءه واهل حاشيته عن استعمال صحاف الفرفوري كما انه كان يتطيلس بالشيلان الجربية حتى انه جلس مرة متقيفا بذلك لقبول تهاني العيد بما حمل اهل المجلس الشرعي لعصره على خلع طيالستهم الكشميرية واتخاذ الطيلسان الجربي اقتداء بالباي والناس على دين ملوكهم

وقد اقتفيت اخبار هذا الرجل لاحد الوقوف على حياته العائلية فكان جميل الظاهر والباطن سواء ذلك في شبابه او في مشيبه ومن ضمن احواله الذاتية وقفت له على رسم صداقه فاذا هو بعبارته « الفان اثنان سكة الوقت والمصر ورطلان اثنان جوهرا يناسب الحال والقدر واربع جوار بيض مسلمات ومثلهن كذلك نصرانيات وثمان اماء من رقيق السودان واربعة قفاطن مذهب مختلفة الالوان ومثلها فرامل منه كذلك واربعة قفاطن موبر ومثلها منه فرامل واربعة قفاطن كمخة ومثلها منه فرامل كذلك واثني عشر حزاما مثقلة بالفضة متفاوتة فيما بينها والجميع مما يناسب ذلك المقام العلي الموجل من ذلك خمسمائة ريال من النعت وما عدى ذلك كله مقبوض لها (اي الزوجة) منه حفظه الله تعلى ورعاه الخ » ورسم هذا الصداق

معقود بشهادة اربعة عدول ومورخ بسنة ١١٩١ في اواخر اشرف الربيعين اي قبل ولايته الملك بخمس سنوات

قال في كتاب «خاطبات بايات تونس» وكان لحمودة باي حذق وفطنة غريبة مع احاطة باحوال بلاده واخلاق رعاياه وكان ينظر للامور بعين البصير الخبير وهو صاحب مواهب عالية اخصها العدل وثبات العزيمة الخ »

ولقد وقفت له في مقام العدل والترفع عن الظلم على مكتوب صدر منه في ١٠ ربيع الانور سبة ١٢٢٢ اي في زمن تاصل العداوة بين تونس والجزاير خاطب به عامله على سوسة وهو القائد التومي العجيمي جد والد عامل المنستير الحالي وكان عثر على احد تجار قسنطينة بديار سوسة ولديه بضاعة وافرة منها عسل كثير حجزه العامل كما حبس صاحب البضاعة لانه حسبه جاسوسا فلما اخبر الباي بذلك وجه المكتوب المذكور للعامل يامره باطلاق سبيل الرجل ورد بضاعته عليه قائلا ما معناه انه ربما لم يجي للتجسس والحدود تدرا بالشبهات

وهذا المكتوب رايته في جملة اوراق عائلية بيد صاحبنا عامل المنستير الحالي منها امر من الصادق باي مصدر بكافة اسماء ابناء العجيمي ثم مذيل بقوله « فاننا جددنا امرنا هذا لاولادنا المذكورين اعلاه اولاد العجيمي من اهل بلد المصدور في برهم واكرامهم وتوقيرهم واحترامهم وعدم الجسارة عليهم بحيث لا يطرقهم بمطروق طارق ولا يقاسون بقياس الرعايا في سراحهم من المطالب المخزنية والقوانين العرفية قلت او جلت لا يطالبون بشيء من الاداء اجراء لهم على عادتهم لكونهم مخازنية ولم تسبق عليهم

عادة وان قائد المنستير لا نظر له عليهم وانما يرجع نظرهم الينـا في امورهم كلها تجديدا تاما الخ وكتب في ١٤ ربيع الانـور سنة ١٢٧٩ اه ويرى الناقد الخبير ان هذا الامر صدر من الباي بعد ولايته ببضعة اسابيع لانه تسلم مقاليد الامر في الشهر قبله وان رجال دولته هم المسئولون عن الفوضى التي كانت موجودة بالعمالة لان مثل هذا الامر دليل صريح بان اوليك الرجال لم تكن لديهم اية معرفة بفقه الادارة كما كانوا خلوا عن الذوق السليم وإلا كيف كانوا يقدمون على شيء عظيم كجعلهم لفرد او جملة افراد من الرعايا فوق سلطة القوانين مما يمكن ان يسمى في الاصطلاح الحـالي بجعل دولة في الدولة وهذا مما كان ياباه المرحوم حموده باشا حكى لي الوزير الاسبق المرحوم الشيخ محمد العزيز بوعتور قائلا انه حضر ذات يوم بمحكمة باردو رجل من الاعيان متظلما فقبله حموده باشا وسمع شكواه وكان في جملة مطالبه استصدار امر له في كونه حرا ليس لاحد عليه من سبيل فاجابه الباي لذلك وامر كاتبه بان يكتب له ظهيرا في ذاك ويقول فيه ان المشتكى لا امارة لاحد عليه ولا امارة له على احد كذلك سمعت من الوزير المذكور نادرة اخرى يقول فيها انه بلغ حموده باشا ان فلان الفلاني من ابناء الاعيان اتصل بارث جسيم من والده وانه استهلك اكثره في الملاهي والمضحكات فاستحضره الباي مع رسوم ملكه واذن كاتبه بان يكتب بـاعلا كل رسم « لا يباع ولا يشترى ولا يرهن ولا يوهب » ثم ردها لصاحبها فاضطر الرجل اذاك للاقلاع عن اللذات وتدارك ما فات منه بالجد والكد فلما علم الباي بان سيرته صلحت استحضره من جديد وامر كاتبه بان يكتب حذو العبارة المتقدمة « بل يباع ويشترى ويرهن ويوهب » الى غير ذلك من

الافعال المعقولة الممزوجة بالرفق واللين وهكذا كان شان حمودة بـاي الى ان ختم انفاسه المعدودة ليلة عيد الفطر سنة ١٢٢٩ فلما توفي رحمه الله وكانت موته فجاة حتى قال بعضهم باغتياله بسم دسه له كاتبه (مرياني ستينكه) الطلياني في غليونه سبسي) والغالب على الظن ان موته كانت بمرض القلب الذى كان مبتلي به فلمـا طحنته رحا المنـون ورثه في ملك الايالة اخوه عثمـان وكان من المستضعفين ولم يكن دور الولاية اليه بل هو لابن عمه محمود باي الذي هو اسن منه الا ان ترجيحه لكرسي الملك كان بحيلة من الوزير يوسف خوجه الذي كان صاحب الامر والنهي على عهد الباي المتوفى فانهم لما استشاروه فيمن يتولى عوض الهالك اسرع لتقبيل يد عثمان باي قائلا ان الاخ يرجع ارثه اصالة لاخيه وبذلك تم الامر ولم يسع الحاضرون إلّا اتباع يوسف خوجه الا ان دولة عثمان باي لم تدم إلّا قليلا لان اغتصابه للملك من يد مستحقه حمل ابناء محمود باي على الاخذ بثار ابيهما واسرا بذلك لبطانتهم فسيروا عقارب السعاية لفراش عثمان باي وبطشوا به لثلاثة اشهر من ولايته وقد ادركت لاكثر من عشرين سنة فارطة شيخا اسرائيليا يسمى لياه عسال وهو من حاشية زوج عمتي المرحوم محمد الامين باي وكان عند ما عرفته قد اطل على ما وراء التسعين إلّا انه في مبادي اختلاطه البايات كان من اتباع عثمان باي نفسه وكان مقيما بالسرايـا ليلة الواقعة فقـال انهم قتلوه رميا بالقربلات المعمرة بمسكوك النحاس وفي حالة الاجهاز عليه حاول الفرار فكانوا يطلقون عليه النار بلا حساب حتى ان بعضهم كان يكسر بلور المرآة المعلقة بالجدران قطعا قطعا ويشغـل بهـا بندقيته ويطلقها عليه الى غير ذلك من تفاصيل تلك الواقعة التي طالمـا سمعتها من

ذلك الشيخ الهرم وكان كلما يحكيها تستولى عليه الدهشة والفشل وهذا الاسرائيلي الذى كان يتردد على بيتنا هو الذى رغبني في تعلم الكتابة العبرية وفي مطالعة التوراة وكان من ابرع اهل زمانه في الشطرنج والنرد ولولاه لم يخطر ببالي مراجعة قصة شمشون ودليله عن سفر القضاة من كتاب العهد القديم وتحرير حديثها على الوجه الاتم كما سيراه القاري بالقسم الثاني من هذه الرحلة في جملة اخبار حضور المقام الملوكي الناصرى بملهى الابره اثناء زيارته لباريس

وبعد وفاة عثمان باي استقل بالملك محمود باي وبنيه ودامت دولة محمود من سنة ١٢٢٠ الى سنة ١٢٣٩ وعلى عهده كان عام تكسير الشقوف الذى تورخ به عجائز الحاضرة التونسية وحديث ذلك هو انكسار اسطول هذا الباي بعاصفة حصلت بمياه حاق الوادى في شتوة سنة ١٢٣٦ وعلى هذا القياس كانوا يورخون ايضا بعام الثلجة فاذا سمعت ذلك فهو عبارة عن سنة ١٢٤١ ولقد كنت اضحك لمثل هذا الضبط لاحوال الزمان الى ان حضرت يوما متفرجا اثناء قضية نشرت امام المحكمة الفرنساوية بتونس وكان في جملة المتقاضين طفل مراهق فساله رئيس المحكمة « كم عمرك » واشار الى المترجم يستعلم منه ذلك فقال المترجم حينئذ للصبي « هل تصوم رمضان » فقل الطفل « نعم هذا العام الثاني الذي اصومه بالتمام » وعندئذ التفت المترجم للرئيس وقال له ان عمره اربعة عشر سنة ولا شك ان هذا من تلك ولله في خلقه شئون

نعم لله في خلقه شئون ومن اكثرها عجبا بين اهل تونس مسالة ضبط تواريخ الوقائع عموما والولادات خصوصا فانك لا تكاد تجد من

يجيبك بالتدقيق عن عام الحادثة الفلانية او عن سنة ولادته وهذا الثـاني بالاخص لانهم كلهم صاروا مقتدين بما ورد عن الامام سيدنـا مالك ابن انس من كراهيته لسوال الانسان عن عمره ولكن ذلك اسر لهـم فيه سيما بعض اربـاب الوظائف واهل الوجاهة ممن يرغب في نوال حيثية او ادراك لبانة فانهم كلهم امسوا شبانا وان علا المشيب رءوسهم ورحم الله الشيخ محمد الحشايشي فقد كان له في هذا الباب علم واسع باعمار التونسيين وانسابهم ولقد حضرنا ذات يوم مجلسا سئل فيه رجل من اصحاب الحيثيات الرسمية عن عمره فتعلثم في الجواب بدعـوى قصور حافظته للحد الذي انساه عمره ثم بعد تفكر قليل اجاب بانه دخل للخدمة عـام ولاية البـاي الفلاني وان له من العمر كذا فاجابه الحشايشي على البديهة قائلا ان السن الذي نسبه لنفسه يطابق عدد الاعـوام التي مرت من ولاية البـاي المذكـور لذلك اليوم وعليه فيكون ان المسئول قد دخل لخدمة الدولة وهو في القماط الى غـير ذلك من المجازفات التي قضى بوجودهـا احداث صندوق تقاعد للمستخدمين بالدولة التونسية

وعلى عهد محمود باي وقـع الصلح بين الجزائر وتونس وكان ذلك في سنة ١٢٣٥ ولقد رايت في الذيل الطويل ان جدي ارخ ذلك بقوله

قـد ارخ الصلح بمـا لم يرَ   في الحسن تاريخ كتاريخه

وقد نقل الشيخ احمد بن ابي الضياف هذا البيت ونسبه لبعض الادباء من دون تصريح باسمه وهو الامر الذي حملني على عزوه لصاحبه اما علائق الوداد بين محمود باي وفرنسا فاليك برهانـا على ذلك باسان قنصلها

بتونس لذلك العهد قال في مكتوب وقفت على صورته ارسله لوزير الخارجية الفرنساوية بتاريخ منسلخ دجنبر ١٨١٧

ان صحيفة الديبا الصادرة في ٢١ نوفمبر نشرت مطاعن بشان ابني البـاي حيث زعمت ان اكبرهما حسين يختطف النساء والبنات وان ثانيهما مصطفى يبطش بالناس في طريقه فهذه المطاعن المهيجة لاتنتج إلّا غضب الاميرين نحو الجنس الفرنساوي لان حسين اب رحيم وزوج صالح في بيته وله اهتمام شديد بمصالح امته وقد رايت من الواجب محادثتكم في هذا الشان لياذن جنابكم و يتفضل بجبر محرر جريدة الديبا على الرجوع في ذلك على معنى تكذيب تلك الاشاعة بصحيفته والاصداع بالحق الذي اخذت على نفسي التصريح به علانية كما تقدم اعلاه اه بحروفه

وكان محمود باي من ملوك العدل محبوبا في رعيته وفي رثائه يقول شيخ الشيوخ وطود الرسوخ ابو اسحاق ابراهيم الرياحي في مطلع مرثية فيه

ما مات من بقي الثنا ذكراه ويمينه ظفرت بكل مناه

هذا وبوفاة محمود باي في سنة ١٢٣٩ انتقلت الدولة لنوبة ابنه حسين واخذت يومئذ في الامتزاج بالامة الفرنساوية بسرعة عجيبة لانها اصبحت بطبيعة الامور مفتقرة لموالاة فرانسا التي صارت جارتها بالجزائر وادرك رجالها وفي مقدمتهم الباي انه لامحيص بعد من السير مع تيار ريحها لذلك كان حسين باي ينتهز الفرص للافصاح عن اميال دولته نحو الدولة الفرنساوية كما يطلع القاري على ذلك بـالمكتوب الصادر منه لقنصل فرنسا بتونس المدرج بالصحيفة السادسة من مقدمة الرحلة الفليارية وكما وقفت له على رسالة اخرى مستفيضة هنى بها الملك كرلوس العاشر اثر

صعوده على كرسي الملك الفرنساوي في سنة ١٢٤٠ واعلمه فيه بتوجيه سفير لحضرته ينوب به في التهنية مشافهة وفيها يقول بعد ديباجة مرصعة بافخر عنوانات التفخيم والتعظيم « قد اصبح في حكم المقرر المعلوم رسوخ المودة وحسن المعاشرة والمسالمة والاحترام الموجود منذ عهود بعيدة بين مملكتنا المحروسة وبين مملكة فرنسا وقد اتصل بنا ان عظمتكم قد صعدت على عرش الملك السلطاني بالوراثة الحقة فلاجل الاعراب عما لنا من شعائر التعظيم والتكريم لذاتكم العلية بين الملوك الاحبة ولاجل تقوية مودتنا القلبية وتمتين عرى السلامة قد ارسلنا لعظمتكم هدية وسقناها بسفينة خصوصية وارسلنا لطرفكم ابننا الوجيه محمود كاهية وزير البحر ليحيطكم علما بما لنا نحوكم من الموالاة وليستفسر خاطركم العالي عن صحتكم الخ »

قال الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف ان ارسال محمود كاهية في تلك المامورية كان بناء على استدعاء صدر من كرلوس العاشر لحسين باي ليحضر موكب تتويجه ملكا بفرنسا فاعتذر له عن ذلك وارسل من يقوم نيابة عنه بذلك كما سبقت الاشارة اليه قريبا وفي معنى فخامة حفلة تتويج الملك المشار اليه رايت بعض الآثار بالمتاحف الفرنساوية الباقية من ذلك الاستظهار العظيم فمن ذلك عربة ركبها الملك عند توجهه لموكب القداس كلها مصفحة بالذهب الوهاج بلغت قيمتها الى مليون فرنك ومن الغريب ان الملك لم يركب بها سوى تلك المرة كذلك لم يركب بها بعده احد من الملوك عدا مرة واحدة على عهد نابليون الثالث حيث اركب بها ابنه البرنس السلطاني بمناسبة موكب تعميده

هذا وان المكتوب المتقدم ذكره المطابقة ترجمته اعلاه لنصه الاصلي الموجود بالوزارة الخارجية بباريس وقفت حذوه على حاشية تتعلق بمحمود كاهية المذكور ونصها « ان سيدي محمود كاهيته هو الابن الثاني لسيدي محمد خوجه وزير البحر وهو اي محمود نفسه كاهية اي حاكما بحلق الوادي وعائلته عريقة في المجد وذات شهرة كبيرة وقد كان ابوه توجه بصفة سفير لفرنسا ولانكلتيرة على عهد الثورة »

« وهذا المبعوث (اي محمود) له من العمر ثلاثون سنة تقريبا وهو يحسن اللغة الطليانية وصاحب اخلاق كريمة ولين قريب من الضعف وليس بالمبغض لمن لا يدين بالاسلام كما انه متنزه عن الاوهام والاحلام وهو يا كل على الاسلوب الاروباوي وجدير بالحضور في مجالس اكابرنا ومن الثابت انه اول وزير شرقي كامل الصفات ولقد جاء على قدم ابيه متوددا للجنس الفرنساوى اهـ

اما الهدية المشار اليها بمكتوب البـاي فقد وقفت ايضا على تفصيلها واليك هي

ستة رؤس من عتاق الخيل وفرسان اثنان واسدان واربع نعامات كحيلات واربعة غزلان واثنان من الضان السودانية وستة من الابل واربعة وعشرون فراشا جربيـا وستة اعجرة وستة شيلان حرير وستة عشر منديلا مطرزة بالذهب وستة مناطق مطرزة بالذهب والحرير وسرج مزركش واربعة جلود اسدية وجلدا نمر وصندوق به اثنتي عشرة قارورة من عطر الورد والياسمين وجـانب من المسك والعنبر وكسوة نسوانية

عربية بعنوان ابنة الملك وعقاب عظيم بما يبلغ مجموع الكل الى نحو ماتني الف ريال من سكة ذلك الزمان

قال المورخ بلانتي الفرنساوي وقد تلقى الملك كرلوس العاشر تلك الهدية والسفير التونسي بالاكرام البالغ حد النهاية واحضر محمود كاهية في زمرة سفراء الدول المستدعين لحضور موكب القداس والتتويج ثم انه اصحبه بهدية فاخرة جدا عند ايابه من فرنسا لتونس بعنوان الباي وهي اربعة ساعات بيتية مذهبة من المعدن المعروف بالشهباني وطاقم ذهب به اثنى عشر فنجانا ذهبا مرصعا لشرب القهوة وصندوق غريب من عود الدردار وعدتان تامتان من الآلات الموسيقية وست جرات فرفوري وطاقم لشرب التاي واثنان وسبعون صحفة من الخزف الثمين وخمسة وسبعون قطعة من الملف وتسعه اطلسة وسبعة شيلان ملونة وثمانية اقمصه من الحرير مجعبة بسلوك الذهب الوهاج واربعة وعشرون قطعة من الكشمير وثمانيه وتسعون قطعة املس ومائتان وتسعون قطعة من الاقمشة الحريرية من صنع ليون وستة عشر متكئا من الموبر البنفسجي والاخضر وثمانية واربعون قطعة موبر من كل الالوان ومائتان وثمانية وثمانون قطعة من الكتان العالي

ودون هذا وجه الملك لحاشية الباي هدايا اخرى ثمينة ضمنها هدية بعنوان السفير محمود كاهية كادت ان تقرب من الهدية الموجهة للباي نفسه ولقد كان اطلعني ابنه امير اللواء السيد نعمان كاهية على بقايا تلك الهدية ومنها ايقونة (مدالية) تذكارا لزيارة والده لدار السكة بباريس فاذا هي منقوش عليها هذه العبارة ففي الوجه الاول « سيدى محمود وكيل باشا تونس الاعظم شرف اليوم بزيارته دار السكة السلطانية » وفي الوجه الثاني

« ضرب في باريس بمباشرة سيدي بويمورين مدير دار المعاملة الفرانسوية في ٢١ يونيس ٥ ذى القعدة سنة ١٨٢٥ ـ و ـ ١٢٤٠ في المحمدية » اهـ بحروفه

وكانت دولة حسين باي التي امتدت الى اواخر محرم سنة ١٢٥١ كلها ايام ولاء واخلاص نحو الدولة الفونساوية وعنها اقتبس التنظيمات العسكرية فاسس في سنة ١٢٤٦ جيشا نظاميا كان من قواده ضباط فرنساويون ومن قواده ايضا القائد غاربلدي الشهير موسس وحدة الامة الطليانية وعلى ذلك المنوال كانت سياسة مصطفى باي بل زاد على اخيه بتنازله عن بعض مميزاته الملكية كتحاشيه عن حمل قناصل الدول على تقبيل يده كما كانوا يفعلون مع اسلافه وكان ذلك منه على وجه الترضية والمجاملة لقنصل الامة الفرنساوية وهذا البـاي هو الذي احدث نيشان الافتخار وهو اول ملك تونسي تزي باللبس الافرنجي والشاشية الكلبوش امـا اخوه حسين فكان يلبس عمامة وكسوة عربية من النـوع المعروف بالمحصور وأسلافه كانوا يلبسون القفطان والطيلسان ومات مصطفى بـاي سنة ١٢٥٣ فتقدم للملك بعده ابنه احمد باي واميالـه للجنس الفرنساوي اشهر من ان تعرف وحديث علائقه مع حبيبه لويس فليب ملك فرنسا قريب عهد منا وما زال مشيخة الحاضرة يتحدثون به حتى الان ومن رام الوقوف على تفصيل ذلك فعليه بمراجعة اخبار رحلة هذا الباي لفرنسا في اواخر سنة ١٢٦٢ بالسنة الخامسة من الرزنامة التونسية والجزء الثـاني من تاريخ الوزير احمـد بن ابي الضياف بيد اني ازيد على ذلك قولي ان احمـد باي وافـق ايام اقامته بفرنسا حـدوث طغيان للمياه اهلك الحرث والنسل واضر بالسابلة فلما عـلم البـاي بذلك اسرع باقامة دليـل على

انسانيته وميله للجنس الفرنساوي فاحسن لاولئك المنكوبين بخمسين الف فرنك على وجه الاعانة حتى انهم حسبوه بفرنسا متربعا على خزائن قارون حالة كون دولته كانت فقيرة جدا لما اثقل به كاهلها من مصاريف التجنيدات التي كان يجاري بها في زعمه اكبر الدول الاسلامية ولقد وقفت له في هذا المقام على ازمة مقبوضه ومصروفه في سنة ١٢٥٣ فكان الخرج ضعف الدخل مما يدل صراحا على سوء التصرف لان الشرط الاول لكل ميزانية مالية هو الموازنة والمعادلة بين المدخول والمخروج هذا على تقدير تعذر التوفير لمال احتياطي يبقى ذخرا بخزينة الدولة ولولا هذا لكانت ميزانيات الدول من قبيل متاجر جحا فانه كان يبيع بمائة ما اشتراه بمائتين ويحتج على من ينتقد عمله بقوله « ان المتجر يقطع سلاسل الفقر » وهذا الباي هو الذي انشا اسطولا حربيا تونسيا واسس مكتب الحرب بباردو بمساعدة الحكومة الفرنساوية وطلب منها ان تكلف مهندسيها بتحرير خريطة جغرافية للمملكة التونسية واقتبس من فخامة نظاماتها في تلك الرحلة ما زين له حب الظهور بانشاء عدة القاب عالية بالدولة منها لقب شيخ الاسلام وخطة الفاريق التي لم تعرف قبله بتونس وادخل جملة من رجال الدولة الفرنساوية واطبائها في خدمة دولته وهو الذي احدث خزائن الكتب الموجودة الآن بجامع الزيتونة ورتب التدريس به ووسع في قصور باردو وهو من محدثات بني حفص وكان موجودا في المائة الثامنة ومعنى لفظ باردو باللغة الاسبانيولية « الجنة » كما بنى سراية حلق الوادي واسس معملا لصنع الملف بالجديدة ورتب بتونس موكب الاحتفال بالمولد

الشريف واصله من محدثات السلطان الغازى مظفر الدين صاحب الاربل في سنة ١٢٩ وجعل ترتيب الجيش على النظام الاروباوي وامر بعتق العبيد وصرح جهارا بركونه لنصايح الدولة الفرنساوية الى غير ذلك مما لم يزل متعلقا بالاذهان من حوادث ذلك الزمان ولما طوى الموت خبره في سنة ١٢٧١ كان الوارث الشرعي لملك الايالة ابن عمه محمد باي وهو والد مليكنا الحالي ابقى الله ملكه مدا الايام والليالي قال الشيخ احمد بن ابي الضياف وهو كاتبهم ومؤرخ دولتهم ان هذا الباي « كان كريم النفس فارسا راميا طلق المحيا يغلب عليه الحيا سليم الصدر سوى الظاهر والباطن بعيدا عن العنف في الجباية رفيقا بمجموع الرعية ضاربا على ايدي العمال اي المعتدين منهم بدليل قوله بعد حاصدا لشوكة تعديهم لا يكاد يتجاوز ذلك ولو للمقربين لديه زلفى من اصهاره وخاصته الخ » وقال في موضع آخر فيما يخص رفقه وشفقته ببني آدم وحسن عهده مع الامة الفرنساوية « انكسر مركب للافرنج على شاطي بحر حمام الانف وهو به يومئذ فركب جواده في يوم ماطر عاصف الريح في افراد من اتباعه حتى وصل الشاطي واعان الغرقى وحث الحاضرين على انقاذهم واعانتهم وهو معهم وكساهم وحملهم الى محل اعده لهم بما يلزم ضرورة من غطاء ووطاء وطعام وبعث لهم طبيبه وقابلهم مقابلة الكريم لضعيفه المضطر واتاه في ذلك نيشان من السلطنة الفرنساوية الخ » قلت وكان اكثر ميله للفرنساويين من اجل المجاملة والتودد الذي كان يلاقيه من قنصلهم بتونس السياسي المحنك ليون روش الذي نعته الشيخ احمد بن ابي الضياف بقوله انه طاف في كل ميدان وهب مع كل ريح وسيرى الناظر قريبا من هنا نتفا من اخبار هذا الرجل المجرب وما كان عليه من

الدهاء العظيم قال لي عمي المرحوم ابو الثناء محمود بن الخوجه شيخ الاسلام
انه كان يركب فرس والده في عشايا الربيع ويتوجه للتفسح بجهات العوينة
حيث ملتقى ابناء الاعيان في تلك الايام التي هي تحية وسلام فيجد بالمكان
ليون روش ويرى منه عظيم التودد للمسلمين ومزيد الرغبة في الاختلاط
بهم حتى انه كان يجيب من يناديه باسم « سي الحاج عمر » وبالفعل فانه
حج البيت في جملة ما حكاه عن نفسه بكتاب سياسي له هو الآن بين ايدينا
يدل اسمه على مسماه وعنوانه « اثنان وثلاثون عاما حول بلاد الاسلام »
وليون روش هو الذي حبب لمحمد باي نصب الدستور الذي عاقته المنية
عن انجازه ونال شرف اعلانه اخوه محمد الصادق باي بعنوان عهد الامان
وكان ذلك في سنة ١٢٧٧ قال في الذيل الطويل اثناء اخبار رحلة محمد
الصادق باي للجزائر بقصد السلام على الانبرطور نابليون الثالث عند زيارته
لتلك المستعمرة « وعند مواجهة الباي للانبراطور القى الباي خطابا في
بيان مشروع العدالة الذي اشارت دولة فرنسا بتاسيسه على اخيه وهاك
نص الخطاب

ايها السيد العظيم

انه بمقتضى نصايح جنابكم الرفيع فان اخينا المقدس وعد رعاياه منذ
ثلاث سنين بقوانين شاملة لسائر سكان المملكة واكتفى في ذلك الوقت
بوضع اساسها ومن المعلوم انه يعسر تبديل قوانين جارية منذ اثنى عشر
جيلا ولما اقتضى الوقت والحال مع رغبة جلالتكم لزمني عدم المبالات بهاته
المشاق وازالة سائر الموانع لاتمام ما وعد به اخونا المرحوم وحيث تم الآن
القانون اعرضه على جلالتكم واجعله تحت حماية ملك فرنسا الفخيمة ومن

غير شك ان هذا القانون لا يخلو من الغلط ولكن وقت اجرائه والخدمة بمقتضاه ان ظهر فيه بعض الخلل نبادر باصلاحه اذ مدة خدمتي في ترتيب هذه القوانين كانت بنية صافية وجنابكم العلي تفضلتم بقولكم ان بخدمتنا لراحة رعايانا حصانا على مودة جنابكم العزيزة فهذا المعروض على جلالتكم صورته فان رايتموه بعين القبول وحريا بان يكون في كفالة الكرسي الذي تفضل الله تعلى بجلوسكم عليه لفخر فرنسا وسعادة نوع البشر وان لا مانع من دخول سائر السكان تحت قوانين البلاد فلقد نالت السعادة وبه تكون بحول الله تعلى راحة الخاص والعام وانا الكفيل بحوله تعلى وقوته باجرائه على ما هو محرر مسطور وقد اشهدت الله على نفسي وكفى بالله شهيدا ـ اهـ ـ

ويرى القاري ان الباي اشهد الله على صدق نيته في مشروع الاصلاح الذي ابتكره اخوه وعزز تلك الشهادة بالحلف على القرآن الكريم كما يمكن للناظر مراجعة ذلك ومشاهدته عيانا في احدى معلقات قاعة الاستقبال الكبرى بباردو المعمور وسواء انه بر في يمينه او نكث العهد فان الدستور التونسي لم يعش إلّا سنوات معدودات وتمت بسقوطه اغراض المخربين للعمالة من المماليك الدخيلين في الاسلام اوليك الذين ستتلى عليهم يوم ينادي المنادي صحائف اعمالهم فيندمون ولات حين ندم

اما احوال البلاد التونسية على عهد الدولة الصادقية فقد كانت بحجة التاريخ محل الاسف العمومي لدى اهل الحل والعقد بالحكومة الفرنساوية لانهم بعد ان استبشروا بحسن طالع هاته الدولة التي توجها صاحبها

بفتح المجالس الشورية وصرحوا بذلك بلسان سلطانهم نابليون الثالث عند تلقيه لزيارة الباي في عاصمة الجزائر كما تقدم خبر ذلك ـ وما على القاري في هذا الباب إلّا مراجعة الرحلة اللطيفة التي كتبها يومئذ في هذا الموضوع الوزير حسين مستشار الخارجية ـ عادوا اي رجال الدولة الفرنساوية بالخيبة وفهموا ان متمناهم كان من قبيل الاحلام وانه لا يرجى من هذه الدولة اصلاح بدون تداخل محسوس في شئونها

وكان العقلاء من الناس يتنفسون الصعداء والصدور في حرج والنفوس في عسر شديد حتى قال احد العلماء قصيدة يستغيث بها القطب سيدي احمد التجاني لما دهى البلاد من الخراب ومطالعها

كادت تنيط رجاءها باليأس مهج فغوثا يا ابا العباس

وقد قال هذا العالم حقا لان البلاد كانت يومئذ سائرة بسرعة غريبة مع تيار الانحدار نحو دركات الحضيض حتى ان المصلح الكبير الوزير خير الدين اقر بعجزه عن انتشالها من تلك المهواة العميقة فكانت سياسة الدولة اذاك

يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبالعذيب يوما ويوما بالخليصاء

وكان قنصل فرنسا بتونس وهو السياسي الخبير مسيو رسطان واقفا على اسرار وزارة مصطفى بن اسماعيل ومتوقعا ارتباك الاحوال فابدى للدولة من النصائح ما حفظه له التاريخ الا ان الآذان كانت صماء والنفوس جانحة للذائذ والشهوات قال الشاعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وتلقاء ذلك التلاشي والاهمال لم يكن في امكان الدولة الفرنساوية إلّا تدارك الحال بالوقوف في وجه الدول التي كانت تطوي في خلدها نوايا الاستحواذ على شئون الامة التونسية وبلادها فتخابرت في ذلك مع الباي واعلمته بمشروع الحماية التي استقر رايها على نصبه بالعمالة لانتشالها من دركات السقوط فاستصوب المرحوم محمد الصادق باي ذلك الراي لتحققه ان بلاده اصبحت طعمة للاكلين وانه اذا لم يرض بدخولها في كنف الحماية الفرنساوية فان امرها يؤل لامحالة لما لا تحمد عقباه لذلك تم الامر بين الطرفين بالمساعدة اولا على احتلال الجيوش الفرنساوية للتراب التونسي ثم بالتوقيع على معاهدة القصر السعيد وكان ذلك في يوم الخميس ١٢ جمادى الاخرة سنة ١٢٩٨ الموفق يوم ١٢ ماي ١٨٨١

وكان امضاء تلك المعاهدة وتعرف في عالم السياسة العمومية بمعاهدة باردو في مجلس انعقد تحت رئاسة الباي بالقصر السعيد حضره الذوات الاتي بيانهم

امير الامراء مصطفى بن اسماعيل الوزير الاكبر
« محمد خزندار وزير الشورى
« محمد العزيز بوعتور وزير القلم
« احمد زروق وزير البحر
« محمد البكوش مستشار الخارجية
« الياس مصلي ترجمان الدولة

امير اللواء محمد العربي زروق رئيس المجلس البلدى
» حميدة بن عياد
الشيخ محمد بوخريص كاهية باش كاتب
« مصطفى رضوان رئيس قسم العمل
« محمد الطيب بوسن رئيس القسم الرابع
« محمد البشير بن الخوجه رئيس القسم الاول
سيدي يوسف جعيط رئيس القسم الثاني اذاك والوزير الاكبر الآن (بارك الله في انفاسه)

اما حديث ما دار بذلك المجلس فقد سمعت تفاصيله من والدي رحمه الله وهو الدي بعثه الباي لاخذ راي شيوخ المجلس الشرعي وشرح مشروع الحماية اليهم وكلهم اشاروا بارتكاب « اخف الضررين » يعني المساعدة على نصب الحماية اذا كانت العواقب وخيمة على تقدير رفضها ولا ارى بسطا لذلك باحسن مما كتبه اخيرا في هدا الشان الجنرال بريار وهو القائد العسكري الدي كلفته الدولة الجمهورية بمهمة عرض صك المعاهدة على امضاء الباي حكى ذلك قبل ان يموت ببضعة اشهر وكانت وفاته في اوايل عامنا الحاضر ١٣٣١

قال والناقل امين

كنت متامرا اذاك على قلعة ليون فاذا باذن من الجنرال فار وهو سلفي في المركز وانتقل منه بصفة وزير للحربية يامرني بتولي قيادة لواء العساكر بالمدينة المذكورة مع تعييني لمباشرة خطتي بالسواحل التونسية فقصدت مرسى طولون وركبت البحر الى ان نزلت ببنزرت ثم سرت بعساكري

قاصدا مدينة تونس ولما وصلت لمنوبة وضعت بها رحلي تحاشيا حسب مرغوب الباي عن الدخول لتونس وبعد ايام قمت في موكب رهيب مخفورا بفرقة من خيالة العسكر الخفيف وتوجهت للقصر السعيد حيث كان الباي في انتظاری وكان بيدى اذاك لقب وزير مفوض مع التصريح لي بان لا اقبل مباحثات جديدة في المسائل التي حصلت الموافقة عليها من الدولتين وكان صك الصلح (الحماية) محررا باللسانين الفرنساوى والعربي فقراه الجنرال الياس رئيس مترجمي البای فصلا بعد فصل ولدى تمام القراءة عرفت البای بانه حيث لم تقع منه ملاحظة على ذلك فالظاهر انه لم يبق إلّا امضاء المعاهدة فاجابني البای قائلا ان ذلك يقع غدا فقلت لا يامولای بل اليوم وحينئذ طلب مني البای ان يستشير مع مجلسه فقلت نعم ثم انسحبت من دون ان ابرح القصر وبعد هنيهة استحضرني البای ووقعنا على المعاهدة ثم قلت له ونعم الصنيع لانه على تقدير الرفض كان بيدی اوامر شديدة ليس بطاقتي إلّا اجرائها لكن عند رجوعي لمعسكری وجدت تلغرافا ورد علي من باريس في نقض تلك الاوامر وبعد قليل رجعت لفرنسا رتبة فاريق ولم يكن لي ان اشتغل بعد بسياسة الحماية ومنه يظهر انني كنت اجنبيا عما وقع اثر ذلك »

اما المعاهدة المذكورة فاليك نصها بعبارتها ننقلها هنا اتماما للفائدة لتكون هي العبارة الختامية لعلائق فرنسا بتونس التي افتتحناها في هاته الرحلة بعبارة المعاهدة الصلحية التي وقعت بين المستنصر الحفصي وفليب الجسور في سنة ٦٦٨ للهجرة الشريفة

معاهدة باردو المنعقدة في ١٢ ماي ١٨٨١

ان دولة الجمهورية الفرنساوية ودولة سمو باي تونس لما كان من غرضهما ان يمنعا الى الابد حدوث قلاقل كالتي حصلت اخيرا بحدود الدولتين وبسواحل المملكة التونسية وان يستحكما علائق ودادهما القديم وروابط حسن الجوار قد اتفقا على عقد معاهدة من شانها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين

وعليه فان فخامة رئيس الجمهورية الفرنساوية قد سمى نائبا مفوضا من طرفه جناب الجنرال بريار فتفق جنابه مع سمو الباي المعظم على الشروط الآتية

الفصل الاول

ان معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الاخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنساوية وسمو باي تونس قد وقع تاكيدها وتجديدها

الفصل الثاني

لاجل تسهيل القيام بالمناسبات التي يتحتم على الدولة الجمهورية الفرنساوية اتخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بان تحتل القوة العسكرية الفرنساوية المراكز التي تراها صالحة لتحقيق النظام والامن بالحدود والسواحل - وهذا الاحتلال يزول عند ما تتفق السلطتان الحربيتان الفرنساوية والتونسية وتعترفا باتحاد بان الادارة المحلية قد اصبحت مقتدرة على المحافظة على دوام الراحة والامن العام

الفصل الثالث

تتعهد دولة الجمهورية الفرنساوية بتخويل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كل خطر يمكن ان يتهدد ذاته او عائلته او يعبث براحة ممالكه،

الفصل الرابع

تضمن الدولة الجمهوريه الفرنساوية اجراء العمل بجميع المعاهدات الموجودة بين الدولة التونسية والدول الاوروباوية على اختلافها

الفصل الخامس

ينوب الدولة الجمهورية الفرنساوية لدى سمو الباي وزير مقيم وظيفته السهر على تنفيذ احكام هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة في علائق الدولة الفرنساوية مع الادارات التونسية في كل النوازل التي تهم الجانبين معا

الفصل السادس

النواب السياسيون والقنصليون لفرنسا بالبلاد الاجنبية مكلفون بحماية المصالح التونسية ورعايا العمالة وفي مقابلة ذلك يلتزم سمو الباي بان لا يجري اي عقد ذي صبغة عمومية من دون اعلام الدولة الجمهورية الفرنساوية بذلك والحصول على موافقتها

الفصل السابع

تستبقي الدولة الجمهورية الفرنساوية ودولة سمو الباي لنفسهما حق الاتفاق على وضع اساس لترتيب مالي بالعمالة من شانه الوفاء بخدمة الدين العمومي والتكفل نحو دائني العملة

الفصل الثامن

تضرب غرامة حربية على القبايل العاصية بالحدود والسواحل

الفصل التاسع

لاجل صيانة مستملكات الجمهورية الفرنساوية بالعمالة الجزائرية

فان دولة سمو الباي تتعهد بان تمنع كليا ادخال السلاح والذخائر الحربية على طريـق جزيرة جربة ومرسى قابس والمراسي الاخـرى بالمملكة التونسية

الفصل العاشر

سيقع عرض هـذه المعاهدة على موافقة الدولة الجمهورية الفرنساوية ويسلم سجلها بعد ذلك لسمو باي تونس في اقرب وقت ممكن

الامضاء ـ محمد الصادق باي

الامضاء ـ الجنرال بريار

هذا وبالتوقيع على هـذه المعاهدة انجلى صبح الحقيقة لدي عينين ودخلت المملكة التونسية من ذلك الحين في طور اصلاح ونجاح وفلاح والقت عصاها واستقربها النوا كما قر عينا بالاياب المسـافر

ولما التحق الباي محمد الصادق بربه عقبه في الملك اخوه المرحوم علي باي وكان عادلا صالحا دامت مدته عشرين سنة كانت كلها ايام عافية وهناء اخذت اثناءها المملكة حظها من الاصـلاح بما قام بنشره الرائد التونسي والتواريخ العصرية والمجلات والجرائد العمومية مما يضيق المجال عن ذكره ولا يقـوم بجمعه إلّا الموسوعات والدواوين الكبيرة بيد ان ما لا يدرك كله لا يترك جله لذلك يجدر بي ان اشير بعبارات وجيزة للحالة الراقية التي اصبحت عليها المملكة التونسية في ظل الحماية الفرنساوية ولا ارى في ذلك احسن مما جاء في الخطاب الجـامع الذي القاه جناب مسيو الابتيت الـوزير المقيم العام على مسامع اعضاء القسم الاهلي من مجلس الشورى في جلسته الافتتاحية سنة ١٩١٢ ـ قال

ان الروابط الجامعة لتونس بفرنسا قد ازدادت وثوقا في هذا العام فالحضرة العلية رجعت لجناب رئيس الجمهورية الزيارة التي اداها فخامته لسموها خلال العام الفارط وشاهدت بذاتها الشريفة معاني قوة فرنسا ونفوذها بالعالم اجمع كما شاهدت عجائب وغرائب العاصمة الفرنسوية بما حمل سموها عن طيب نفس وكرم على التصريح بعبارات الاعجاب والتشكر اللذين طفح بهما فوادها الشريف ولقد طربت المملكة التونسية يومئذ لما حصل من العناية ومظاهر الاحترام نحو ملكها الجليل مكافاة لما كان قام به سموه نفسه من مظاهر الفرح وحسن القبول نحو فخامة راس الدولة الجمهورية حيث كان فخامته هو الممثل في نظر سموه للذكاء الفرنساوي وهو فهم من العدالة والجودة بمكان

ثم قال ان الحماية الفرنسوية قد اصبحت في منعة من مكائد الاعداء المتئامرين ضد هيكلها الراسخ ناهيك ان الدول الاجنبية قد اخذت في النسج على منوالها رغبة في الاستفادة من تجربتنا المتواصلة التي ازالت كل العثرات والمصاعب التي لاقيناها في السير بحمايتنا

من اجل ذلك صار من واجبنا زيادة الاحتراس والتيقض يعني بتكرار براهين حدارتنا باعجاب تلك الدول واستحسانهم لصنيعنا

ثم قال ان نزاهة فرنسا الواقفة بين الدول الاروباوية والخاطبة حب السلام ليست محل استرابة وقوتها وعسكريتها الشابة تبرهن كل حول عما لها من الاوصاف الباهرة وهاته الاوصاف يراها الناظر لا بميدان التمرينات العسكرية فقط بل وبالجهات الكنودة تجاه اجسر الخصوم يدلك على ذلك الحملة المدهشة التي حملتها الجيوش الفرنسوية على مدينة مراكش

وهي حملة دلت ايضا على ما للعساكر المسلمين المخلصين لفرنسا من الكفاءة والشجاعة متى تعلموا الفنـون الحربية ووقع تنظيمهم تحت امرة الضباط الفرنساويين

وعلى هذا القياس تكون النتيجة عنـد مشاركة العنصرين في العمل بميدان المساعي الاقتصادية ولا احد يرفض ترفيع مقام اي عسكري مسلم استحق الارتقاء وجمع بين فكرة النظام والاحتياط وكم من مسائل امكن حلها إلّا ان مشروع العمل لم يتم الى الان ورجاؤنا ان نبث بهذه الارض قوة الانتاج التي كان يحملها بين جنبيه ثم نسيها لكن ذكرى الحضارة القرطجنية والرومانية من شانها ان تجعلنا في ءان واحد اصحاب مطامع وقناعة فاصحاب مطامع عند مشاهدتنا لاثـار تلك العظمة الناطقة بخصب هـذه الارض وامتيازها في المعاملات التجارية واصحاب قناعة عند تذكرنـا ان تلك المدنية لم تكشف لنا حتى اليوم عن كامل اسرارها وان من واجبنا الاستعانة باهل الجدارة والحذق واصحاب الهمم الكريمة اه

والخلاصه ان المملكة التونسية اصبحت عيانا في جملة الممالك الراقية في سلم الحضارة والمدنية بدليل صيرورتها مثالا ترغب الامم الاخرى في النسج على منواله كما اشار اليه جناب الوزير المقيم في خطابه كيف لا وميزانيتها التي كانت مقدرة في اواخر دولة احمد باي بسبعة ملايين وفي اواخر دولة الصادق باي باحد عشر مليونا تبلغ اليوم الى خمسة وثمانين مليونا وهذا فضلا عما لها من الاموال الاحتياطية المودعة بباريس مما سهل لها عقد القروض الجسيمة كآخر قروضها البالغ الى تسعين مليونا من الفرنكات

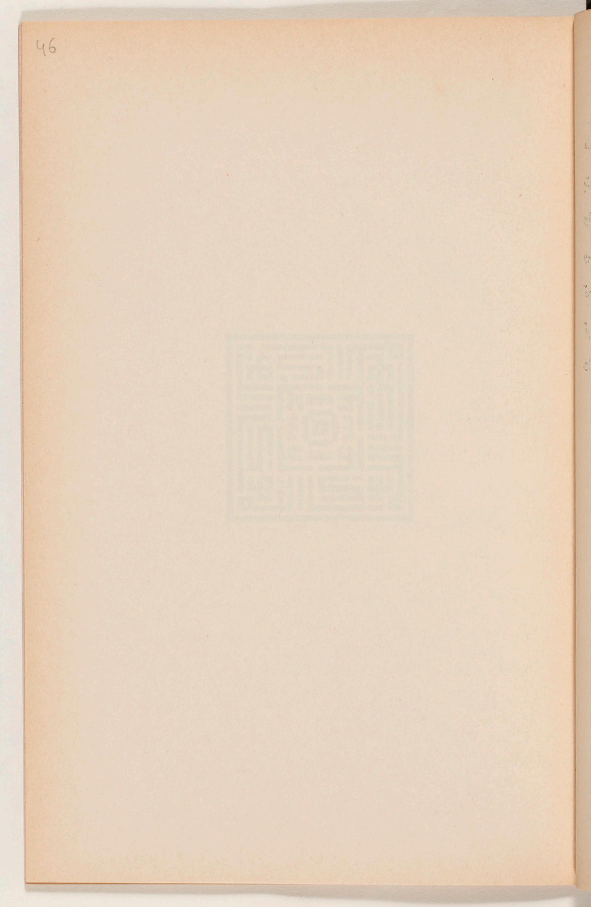
وكل هذا تم انجازه بفضل العناية المتواصلة التي تبذلها فرنسا نحو العمالة ناهيك ان عدد الفرنساويين الذي كان بالعمالة لا يتجاوز سبعمائة في سنة ١٨٨١ قد ارتفع بعد تاسيس الحماية بثلاثين عاما الى خمسين الف عدا عساكر البر والبحر المقيمين بها وبعبارة افصح نقول لك ان تلك العناية ليست بالحديثة بل هي ثمرة جد وكد احكم وثاقهما منذ القرون الخالية فقد تعقبت كتب السياسة الخارجية وتصفحتها واستخرجت من غضونها احصائية غريبة تدل على فرط عناية فرنسا بالشئون التونسية ولنقتصر على نقل بعض ارقام تلك الاحصائية وليقس ما لم يقل

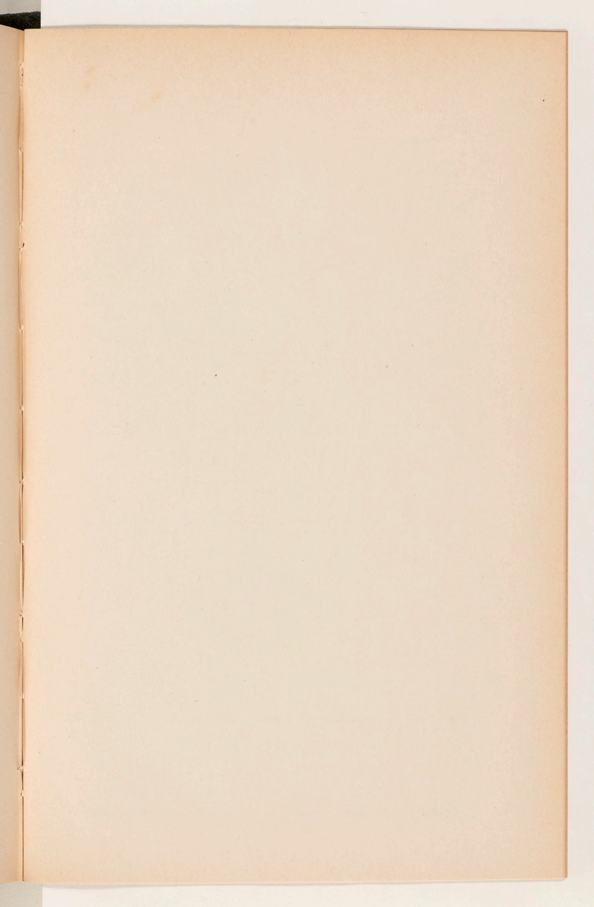
ذلك ان فرنسا عقدت مع تونس في بحر الثلاثة قرون الاخيرة ستين معاهدة بين سياسية وتجارية بحيث انه لو وقع توزيع تلك المعاهدات على عد السنين لناب كل خمسة اعوام واحدة منها بما يدل دلالة صريحة على ما كان كما لم يزل لفرنسا من العناية والعزيمة الثابتة في الاحوال التونسية بمساعدة نوابها ومبعوثيها وقناصلها بتونس ولقد اداني البحث ايضا في هذا الموضوع لضبط اعداد اولئك الرجال فكانت جملة القناصل من سنة ١٠٠٠ للهجرة الى عام الحماية ٨٩ قنصلا وعدد المبعوثين فوق العادة ٢٣٨ سفيرا اوفدتهم الدولة الفرنساوية لاغراض شتى في بحر المدة المذكورة ومن الجانب التونسي ارسل البايات في المدة نفسها لفرنسا ٥٦ مبعوثا ومن اشهر اولئك القناصل في العصور المتاخرة المستعرب ليون روش المتقدم ذكره وفي نظري ان هذا الرجل خدم مصالح امته بالمملكة التونسية خدمة كادت ان تكون فوق طاقة البشر لانه هو الذي غالب المصاعب وازال العثرات التي كانت في سبيل السياسة الفرنساوية فكان لا يصده شيء في الطريق

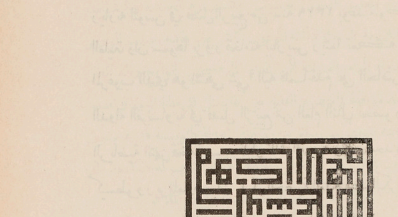
الذي سلكه لتمهيد سبل نشر النفوذ الفرنساوي وتعزيز شوكة حكومته بتونس ناهيك انه امتزج بالعرب للحد الذي حمله على التلبس بالاسلام والرمي بنفسه في المصاعب القريبة من المهالك كمصاهرته الامير عبد القادر وحج البيت الحرام واستفتاء علماء مكة المشرفة في امر المسلمين الذين تحكمهم امة غير اسلامية وهذه الفتوى التي بقيت تحت جناح الخفاء توصلت للحصول على نظير فطوغرافي من نصها الاصلي ولكن لخروجها عن دائرة موضوعنا اكتفيت بمجرد الاشارة اليها



[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]







القسم الثاني من الرحلة الناصرية

من المعلوم ان فخامة رئيس الجمهورية الفرنساوية كان اتصل اثناء زيارته لتونس في فصل الربيع من سنة ١٣٢٩ بوعد ملوكي من الحضرة العلية وان سموها يزور فخامته بباريس ريثما تمكنه الفرصة من ذلك المرغوب الذي هو اشهى شيء اليه فلما قدم على الحاضرة جناب وزراء الدولة الفرنساوية في فصل الربيع من العام التالي لحضور افراح الجمعيات الرياضية انتهز فخامة مسيو فليار تلك الفرصة وكلف احد وزرائه وهو مسيو كيسطو وزير المعارف بان يذكر الحضرة العلية وعد الكرام وان يلتمس من سموها تشريف العاصمة الفرنساوية بزيارتها بمناسبة عيد ١٤ يوليه فقبل الجناب العالي الملوكي ذلك وانشرح صدره لان تكون زيارة سموه لفخامة رئيس الدولة الحامية ايام ذلك الموسم الجنسي الذي هو اعظم اعياد الامة الفرنساوية لانه يمثل عندهم خلع ربقة السلطة الاستبدادية وتاسيس هيكل الحرية والمساواة الذي اضاءت اشعته بعد على سائر بلاد العالم المتمدن فلما حل شهر يونية ١٩١٢ صرحت الحضرة العلية بعزمها على انجاز وعدها وطلبت من جناب الوزير المقيم الذي تجمعه بسموها روابط الوداد العريق والنصح الوثيق ان يتخذ التدابير اللازمة لتحقيق مرادها فاعتنى جناب الوزير بتمهيد وسائل تلك الزيارة ذات الشان بكل خبرة واطمئنان وتخاطب في امرها مع الوزارة الخارجية فجاء الجواب بالمساعدة مع الشكر والامتنان لتلك العواطف الحسان لانه لا شيء اعز عند فخامته

رئيس الجمهورية والدولة الفرنساوية من استضافة سمو الحضرة العلية صاحب المملكة التونسية المحمية

وذاك اخذ مجلس الوزراء بتونس والسفارة الفخيمة والكتابة العامة التشبثات اللازمة لانجاز ذلك المرغوب الشريف فقدم جناب الوزير المفوض كاتب الدولة العام بالعدلية الى المقام الملوكي اللوايح والعرائض المتعلقة بذلك وبعد موافقة الحضرة العلية على تفاصيل الرحلة الميمونة اصدر سموه اوامره المطاعة بتخصيص مبلغ من ميزانية الدولة التونسية قدره ستون الف فرنك ليصرف في مهمات تلك الرحلة وهو مبلغ اضيف له فيما بعد مال آخر قدره « ١٣٥٠٠٠ » فرنك على وجه التكملة للمصاريف المذكورة

وريثما تمت الاعمال التمهيدية للرحلة الملوكية سافر جناب مسيو الابتيت الوزير المقيم في اوايل يوليه ١٩١٢ لتلقي الحضرة العلية عند وصول سموها لفرنسا وبمجرد وصوله اتخذ جميع التراتيب اللازمة بمشاركة الوزارة الخارجية وادارة التشريفات بتحضير برنامج الافراح التي ستقوم بها الدولة الفرنساوية بمناسبة زيارة سموه لباريس واصدر فخامة رئيس الجمهورية بموافقة مجلسي النواب والشيوخ امرا في تخصيص المال اللازم لذلك وهذا نصه

فصل وحيد ــ خصصنا لجناب وزير الخارجية بعنوان ميزانية سنة ١٩١٢ زيادة على المبالغ المخولة له بمقتضى قانون المالية الصادر في ١٧ فيفري ١٩١٢ وبمقتضى اوامرنا الخصوصية مبلغا فوق العادة قدره ٢٥٠٠٠ فرنك من اموال الباب التاسع والعشرين الذي عنوانه مصاريف الضيوف العظام والمبعوثين الاستثنائيين اهـ

وعلى اثر ذلك اجتمع مجلس الوزراء بباريس تحت رئاسة مسيو فليار وصادق على برنامج الاحتفالات والافراح التي رتبتها الوزارة الخارجية بمناسبة زيارة الحضرة العلية الناصرية للديار الفرنساوية

وفي تلك الاثناء اخذت الحضرة العلية من جهتها وسائل التاهب للسفر ليحل مقامها العلي بباريس قبيل عيد ١٤ يوليه ولاجل ذلك امرت جناب وزيرها الاكبر باشعار الخاصة والكافة بذلك فاصدر جنابه منشورا رسميا لسائر العمال بالجهات يعلمهم فيه بعزم المقام الملوكي على السفر لفرنسا بقصد رد الزيارة لفخامة رئيس الجمهورية وهذا نص عبارة ذلك المنشور بعد الديباجة واسم المخاطب به

وبعد فان حضرة المعظم الارفع مولانا وسيدنا دام عزه وبقاؤه عزمت على التوجه لعاصمة باريز في جويليه الحال لرد الزيارة لفخامة رئيس الجمهورية الفرنسوية الذي كان شرف حاضرة تونس بالزيارة في افريل من العام الفارط وفي نية الحضرة السامية دام علاها العود للحاضرة قريبا بحول الله تعلى اعلمناكم بذلك ودمتم بخير والسلام من الفقير الى ربه امير الامراء يوسف جعيط الوزير الاكبر وفقه الله تعلى

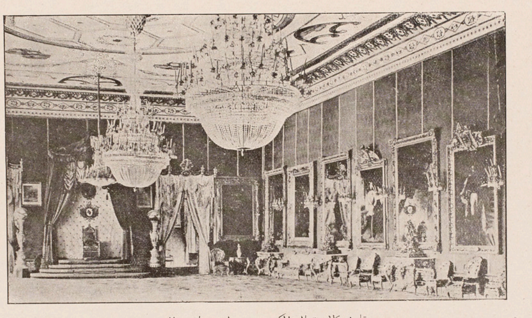
اما الذوات الذين وقع تعيينهم لمصاحبة الحضرة العلية في هذه الرحلة المباركة فاليك بيانهم

البرنس سيدي المنصف باي اكبر انجال الحضرة العلية

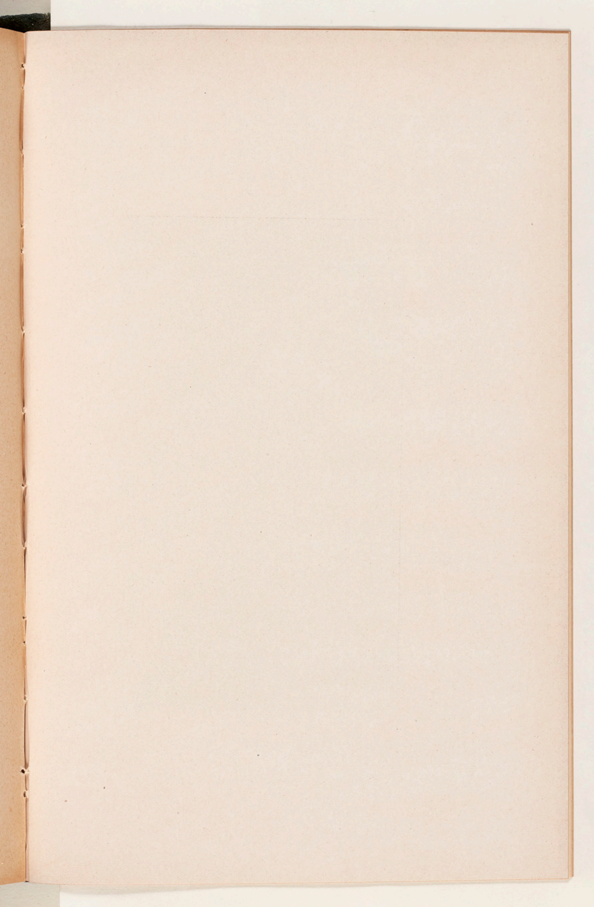
البرنس سيدي الهاشمي باي ثاني انجال الحضرة العلية

امير الامراء سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر

امير الامراء سيدي محمد الطيب الجلولي وزير القلم



قاعة الاستقبال الكبرى بسراية باردو المعمور



الوزير المفوض مسيو روا الكاتب العام للامور العدلية
امير اللواء السيد صالح بودرباله رئيس العسة المصونة
الامير الاي السيد رشيد زكريا كاهيته
الامير الاي السيد مصطفى دنقزلي بصفة كاتب مترجم للحضرة العلية
القائمقام السيد احمد قاره معين الحضرة العلية
الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية

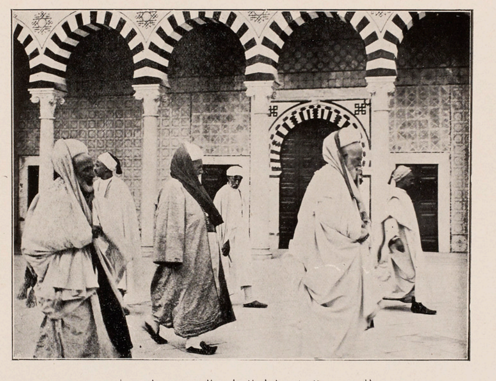
وفي صبيحة يوم الاثنين ٢٣ رجب ١٣٣٠ الموافق في ٨ يولية ١٩١٢ عقدت الحضرة العلية موكبا عظيما بدار الملك باردو دعت اليه اهل الحل والعقد وحضرات المشايخ بالمجلس الشرعي العزيز وكافة المامورين على اختلاف الطبقات وتفاوت الدرجات وخاطبتهم بذاتها الشريفة في استقرار رايها السديد على السفر لباريس للغرض المتقدم ثم تلقت من جميعهم مراسم الوداع وكان في طليعة الوافدين جناب الكمندان كلارك قائد الدارعة « فيكتور هيكو » المخصصة من اسطول الدولة الفرنساوية لسفر سموه من تونس لطولون ذهابا وايابا فلما اقتبل مولانا العلي زيارة الاكرام والاحترام من هذا القائد البحري العظيم اظهر له كامل التفاته ومزيد عنايته بما انطق لسانه بالشكر المكرر لسدته العلية وبالاعراب عن فرط امتنانه لما سيناله من شرف المصاحبة لحضرته السنية اثناء سفرها للديار الفرنساوية

ثم ان الحضرة العلية افتتحت موكب القبول بتلقي زيارة المشايخ اهل المجلس الشرعي ولما حظوا بالجلوس لديها خاطبتهم بعبارات لطيفة هذا معناها

ان جنابكم على علم من زيارة الوداد التي تلقيتها ببلادي في فصل الربيع بالعام الفارط من فخامة محبنا رئيس الجمهورية الفرنساوية وقد رأينا من حقوق المودة ان نرد تلك الزيارة لجنابه فلذلك سنسافر ان شاء الله لفرنسا يوم الاربعاء القابل ونعود منها بعد ايام قليلة واني استودعكم الله الذي لا تخيب عنه الودايع

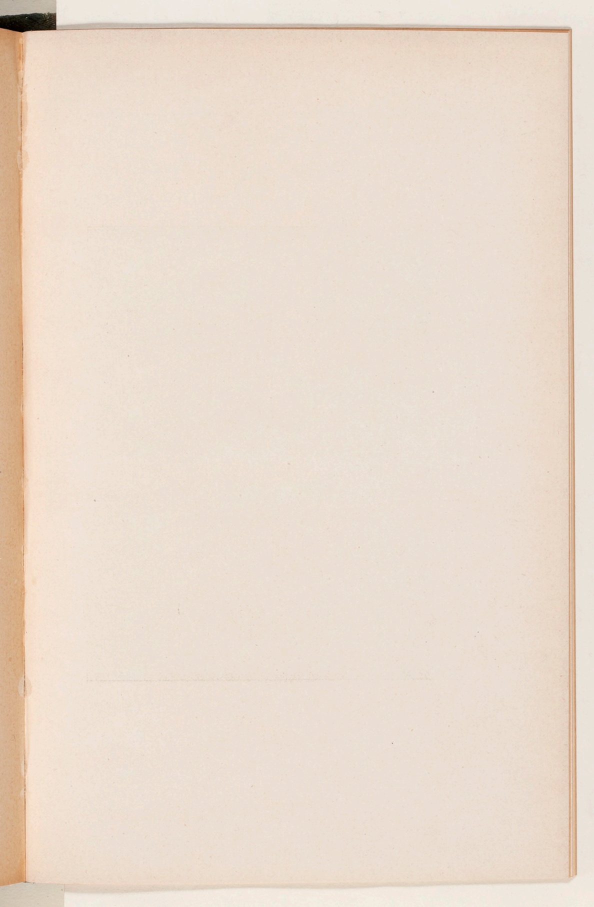
فتلقى حضرات الشيوخ ذلك الراي السديد والفكر الرشيد بعلائم السرور ورطبوا السنتهم بصالح الدعوات لسموه وتلى جناب شيخ الاسلام من انشائه دعاء بليغا هذه عبارته بحروفها

قرن الله بالسعادة والنجح سفرة مولانا ايده الله وجعل فيها الخير رآيده واليمن قائده والعز سميره والاقبال حليفه وظهيره يسير فيخدم السعد ركابه ويرسي فتحرس العناية الالاهية جنابه ثم يعود بحول الله فيعمران بهوه ومحرابه وان سفرتكم الميمونة هذه زيادة على ان داعيها من مقتضى الطبع الكريم والوضع المستقيم لا تقصر عن اعتبارها تمهيدا لوجه التآلف الجميل وتمديدا لاطراف ظل متفياه الظليل وتقدما الى روابط الاتحاد بمزيد الاحكام في ضمن مقابلة تحية سنية بتحية وسلام يالها ملاحة في السياسة تقدر ومعروفة لا تنكر بل تذكر فتشكر يصبح الدهر من رواتها ويستفيد القطر منها بجميع حيثياتها وما للحبيب على حبيبه اذا تصدى لتنبيه عوامل الخلة إلّا الصفح عن الزلة والرضى بلا قلة وما بعد ذلك وقبله ثم المسئول الله سبحانه ان يقبل منا ما نرجو من ساحة فضله العميم قبوله ونسلسل الى الملا الاعلى موصوله دعوات مرفوعة على اكف الضراعة والابتهال مجموعة لها الافئدة على ابدع مثال اللهم ادر على مليكنا هذا



طائفة من المشايخ اهل المجلس الشرعي بسراية باردو

51



من منيع حمايتك الواقية سياجا ووكل بحفظه وكلاءته من ملايكة السماء افواجا وارفع بين مظاهر التكريم شانه وثبت على دعايم الشرع القويم قلبه ولسانه ولقه الخير والاسعاد في كل مربع وناد واجعل طاير صيته على قنن العلياء صاد حا وبدر همته في افق السعادة لايحا وفلك عزماته في بحار الفوز سابحا واحفظه اينما توجه غاديا ورايحا محفوفا بابنيه ذينك الفرقدين الاسعدين ووزيره الشايع فضله شيوع النيرين ما نطق بهذه الادعية لسان كل عضو منا وجارحة وتليت في الختم سورة الفاتحة

وبعد ان قرئت فاتحة الكتاب تقدم اولئك الشيوخ فردا فردا وادعو سموه باجمل عبارات التعلق والولاء نحو ذاته الشريفة ثم انصرفوا فتشرف على اثرهم بموادعة المقام الملوكي السامي المشايخ الايمة والمدرسون بجامع الزيتونة ولما امتثلوا بين يدي سموه انشد نابغتهم المأسوف عليه بالقلب واللسان صاحبنا المرحوم الشيخ محمد النيفر قصيدة غراء نرسمها هنا بكامل عبارتها تخليدا لذكر صاحبها الذي استأثرت به رحمة ربه اوائل شهر رمضان سنة ١٣٣٠ ونصها

اليمن والاقبال حيث تيمم	والله حافظ ذاتكم ومسلم
فاهنأ باسعد سفرة قد اسفرت	عن خير اجلال عليه تقدم
ذاعت محاسنك التي قد طوقت	جيد الزمان اجل عقد ينظم
فاتى لمرآك الملوك فراقهم	خلق وسعتهم به وتكرم
خلق فطرت عليه ليس تخلقا	والله يعطي من يشاء ويحرم
فثنوا الى اوطانهم في غبطة	من بين ايديهم ثناكم يفغم
شادوا بما قد شاهدوا من فضلكم	وحدا به من انجدوا او اتهموا

وعنوا باحكام الولاء فاوفدوا ... وزراءهم ليدعموا ما احكموا

مستنجزين وعودكم بزيارة ... والوعد في شرع المروءة يلزم

فائن ترم اتيان باريز فما ... زالت اعاظمها علاكم تعظم

لا غرو ان بكم ابتهاجا عمها ... وغدت بمرآك المسرة تغنم

فلانت في الاملاك وسطى عقدهم ... واعز من قد توجوه واكرم

والوارث الملك المؤثل اعظم ... أعلى صروح المجد منه فاعظم

حسب الملوك تاثر بخطاكم ... فبه اذا استطاعت تجل وتكرم

املى الزمان صحائفا ذهبية ... من فخركم ويد المعالي ترقم

ما جهد من رام امتداح علاكم ... المجد اسمى والفضائل افخم

حسبي الدعاء لكم بطول بقائكم ... في ظل ملك وصله لا يفصم

كما القى صفوة الخيرة فرع السلالة الطاهرة الشيخ السيد حمده الشريف الامام الثاني بالجامع الاعظم عند تقديمه للسادة الاشراف دعاء لطيفا نصه

نسأل الله تعلى ان يمتع حضرة سيدنا بالسلامة في الظعن والاقامة حتى نواجه طلعته في هذا الثغر مبتسم الثغر عليها لوايح المسرة لائحة بجاه سر الفاتحة

ثم ان موكب مولآنا ابقاه الله انتقل من بيت البلور حيث تلقى الذوات المشار اليهم الى قاعة التشريفات الكبرى فورد على سموه هنالك للتشرف بلثم الراحة الكريمة آل البيت العظام فالوزراء الفخام فالضباط على اختلاف الطبقات وتفاوت الدرجات فموظفو الدائرة السنية فبقية اتباع السرايا الملكية

53

وفي نحو الساعة العاشرة اقبل على المقام الملوكي جناب كاتبي الدولة العامين مصحوبين بالمديرين والرؤساء والموظفين بكافة المصالح العدلية والاداريه التابعة للكتابة العامة ولما اشعر سموه كلا من الكاتبين العامين بعزمه على رد الزيارة لفخامة رئيس الجمهورية الفرنساوية ادى جنابهما لسموه واجبات الاحترام ورطب الجميع السنتهم بالدعاء لمقامه العالي وباثر ذلك تشرف المجلس البلدي بموادعة المقام الملوكي وبارح اولئك الذوات السراية المعمورة فتقدم جناب شيخ المدينة يعضده رجال المشيخة ومشايخ الارباض وامناء الحرف ومجالس العرف واكابر التجار والفلاحة والوجهاء والاعيان في عدد يتجاوز الالف نفس وكانوا كلهم متجملين بافخر اللبوس وروايح الطيب وآثار البشر بادية على وجوههم والسنتهم تنادي بعبارات الاخلاص والتفاني في محبة اميرهم البر الرحيم بجليلهم وحقيرهم ولما اخذوا مواقفهم بين يدي المقام العالي القى الفاضل الشيخ السيد احمد القصار بالنيابة عن جموع اولائك الاعيان دعاء للذات الملكية هذا نصه

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد فيا سيدنا ومولانا المعظم ايدكم الله اننا معشر الاهالي قد سعدنا في هذا اليوم المبارك بالمثول لدى سموكم العلي للاعراب عما في ضميرنا نحو حضرتكم من خالص التعظيم والاحترام اللائقين برفيع المقام وذلك بمناسبة توديع جلالتكم العلية حيث عزمت على زيارة فخامة رئيس الجمهورية بالديار الباريسية والله المسؤول ان يمنحكم نعمة السلامة في العظن والاقامة وان يحرسكم بجنود لطفه اينما كنتم ويرعاكم بعين عنايته حيثما توجهتم انه سميع مجيب

ثم تقدم بعد اولئك الجموع للقيـام بفروض الموادعة اعيان الحرمين الشريفين المقيمين بالحاضرة التونسية فاعيان الجزائريين وبني مزاب وقبل انتهاء المـوكب نال شرف المثول بين يدي الحضرة العلية الاحبار والربيون يعضدهم اعضاء مجلس الاحبار بتونس

وعند الزوال انفصل الموكب وعاد الركاب الملوكي لسراية المرسى في موكب عظيم يحفه الاجلال و يعضده العز والاقبال ثم في اثناء عشي ذلك اليوم واليوم بعده اقبل على القصر الملوكي جم غفير من الاعيان وارباب الحيثيات ممن فاتهم مـوكب باردو المعمور للتشرف بموادعة المقـام الملوكي فتكرم مولانا بقبول مراسم ولائهم وشعائر اخلاصهم واحترامهم ومن اولئك الاعيان الفاضل الشيخ عبد القادر الشلاخي باش مفتي جربه والقى على مسامع سموه قصيدة غراء هذا نصها

تبسم بالهنا ثغر الكرامة	وقبل راحة الباشا وهامـه
وحيا النـاصر الملك المعلى	باسنى تحية فيها فخامـه
لسيدنا السعادة والسلامـة	وطول العمر ما غنت حمامه
وعـز دائـم لا ذل فيـه	واقبال الى يوم القيامـه
ايا خير الملوك لك التهاني	على الظعن المبارك والاقامه
اذا ما قد دعاك الدهر يوما	الى سفر فلا تبدي السئامه
على المولى توكل تلقى خيرا	تصاحبك السيادة والسلامه
على (المنصور) باسم الله فاركب	الى باريس في اعلى مقامـه
ترى ما يبهر الالباب فيهـا	عليها الحسن قد القى وسامه

رئيس الجمهورية حين وافي | الى الخضراء البسها الضخامه
تبدى بتونس ضيفا كريما | حوى معنى اللطافة والفخامه
وترجيع الزيارة كان حتما | لدولته الفخيمة لا ملامه
فتلك الدولة العظمى علينا | لها حق الحماية والزعامه
وذا سفر سعيد فيه خير | بحول الله ليس به ندامه
وارجو ان تنال بهذا فخرا | يكون بجبهة الخضراء شامه
ففي الاسفار ادراك المعالي | وقد يلقى الفتى فيها مرامه
وان البدر اوله هلال | ولولا السير ما ابدى تمامه
وان الطفل لو لم يحب يوما | على ساقيه لم يمكن فطامه
وان المرء ليس ينال مجدا | اذ لم يثن للعليا زمامه
يكيل الارض في نيل الاماني | ويجعل هامة الشعرى امامه
بذاك تقدمت ابنا اروبا | وساروا على صراط الاستقامه
على سفر تراه كل يوم | يشد بحزمه دوما حزامه
يطوف الارض شرقا ثم غربا | وفي شرف العلى يبني خيامه
وانت بهذا يا مولانا اولى | لكم ارث الامارة والامامه
وارجو ان ترى سرا عجيبا | ورحلتكم تكون لنا علامه
فتكسبنا بذا شرفا وتحي | قاوبا من طبيعتها نعامه
وسر بالامن تحت الستر واركب
جواد الحفظ مصحوب السلامه

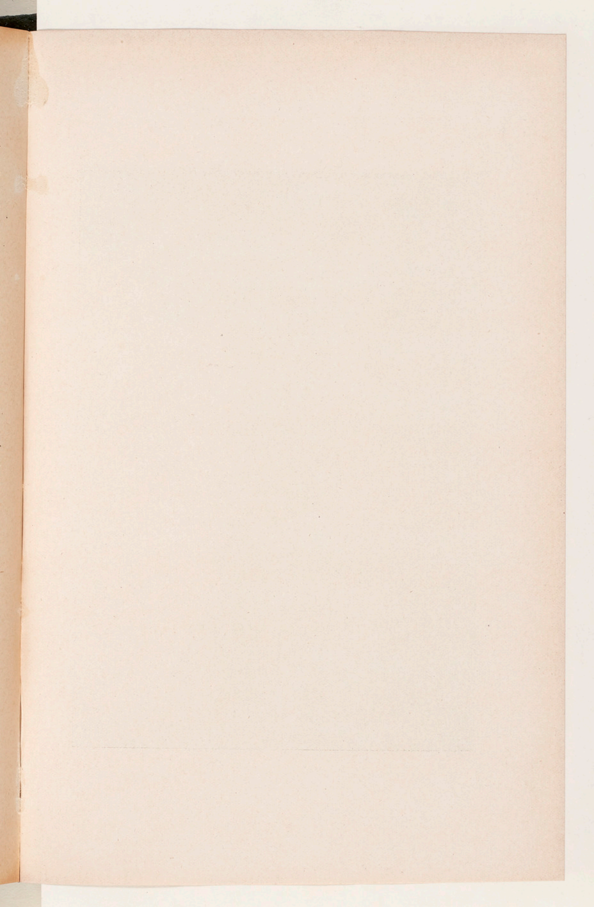
كذلك تلقى ابقاه الله مراسم الموادعة والبرور من ءال البيت الحسيني ذكورا واناثا ومن اهل حاشيته الذاتية وحشمه واتباعه ثم بعد ان نظر سموه بعين الرضا رسائل الطاعة والولاء والموادعة الواردة على سموه من جهات كثيرة عقد في اول ليلة الاربعاء مجلسا حافلا بالسرايا المعمورة لسماع صحيح الامام البخاري برواية الفاضل النقي المدرس الشيخ حسن بن يوسف امام المساجد الملكية وكان ذلك خاتمة اعماله الصالحات في ذلك الاسبوع الذي افتتحه بزيارة البركة والتيمن ببعض اضرحة الاولياء حيث زار سموه ضريح سيدي ابي سعيد الباجي فضريح سيدي محرز بن خلف فضريح سيدي احمد بن عروس فضريح سيدي ابراهيم الرياحي فضريح سيدي علي محسن فالمغارة الشاذلية كما تبرك بزيارة المجذوب سيدي محمد الباهي وتقرب الى الله بذبح القرابين وافاضة الصدقات والعطايا بين البرايا الى غير ذلك من الحسنات التي سياخذ صحيفتها بيمينه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه

وفي تلك الاثناء كان رجال السرايا على قدم وساق في انجاز الاوامر السعيدة المتعلقة بالسفر الملوكي فكانوا يواصلون الليل بالنهار الى ان اتموا جميع التحضيرات اللازمة لذلك وكان مراد الحضرة العلية ان تركب البحر من حلق الوادي حيث ارست الدارعة « فيكتور هيكو » المعدة لنقلة سموه الا ان حصول نوع من الهياج بالبحر ذي الامواج في مساء يوم الثلاثاء تاسع يوليه حمل كمندان الدارعة وهو من شيوخ البحارة الحربية على الاشارة بالعدول عن ذلك الراي فطير خبرا بالتلغراف اللاسلكي وقع تبليغه توا للحضرة العلية فاستصوبت رايه واذنت بان يكون الركوب من



موكب الحضرة العلية عند زيارتها لمقامات الصالحين

55



بنزرت التي هي في منعة من العواصف البحرية بفضل موقعها الجغرافي وصلوحية حوض ، رساها لايواء جميع الاساطيل في ءان واحد وما جاء الليل حتى ضرب صدى هذا الامر بسائر الاسماع وعلم الناس ان مبارحة الركاب الملوكي للحاضرة سيكون صبيحة الغد على طريق السكة الحديدية الغربية ولاجله اذنت السفارة الفخيمة ادارة شركة بون ڤالمه باجراء التحضيرات اللازمة والمناسبة بكل سرعة ونشاط حتى يكون دخول الحضرة العلية وقبولها لزمر المشيعين بموقف السكة الحديد محفوفا بالابهة والاجلال الواجبين نحو مقامه الرفيع وما اتصلت الشركة بهذا الاذن حتى شمرت عن ساعد الجد وبات رجالها يخدمون مدا الليل كله في تزيين واجهات المحطة ونشر الالوية والاعلام وبسط الزرابي والافرشة الفاخرة فلما طلع الصباح كانت المحطة ءاية في البهجة والجمال وبطحاءها تتماوج بجموع الاعيان من الرجال وكان في طليعة المشيعين جناب الجنرال قائد جيش الاحتلال فجناب الكاتب العام فالمديرون فروساء الاقسام والاقلام فالمتوظفون فالعمد فالاعيان فخلائق لا تحصى وكانت بطحاء المكان مرصعة بعساكر الزواف تحت امرة ضباطهم شاهري السيوف اشارة بالسلام لامير البلاد وحسنة الله على العباد وريثما اخذ الناس مواقفهم قامت ضجة هتاف بلغت عنان السماء ازدوجت بقعقعة السلاح ونقر الطنابير اشعارا بقدوم الحضرة الشامخة والسدة الباذخة ايدها الله وكان موكبها يستنزل بجمالة الطير من السماء لان سموها كان موشح الصدر بالشريط الاكبر الفرنساوي وءال بيتها ووزراءها ورجال حاشيتها وكافة الحاضرين من

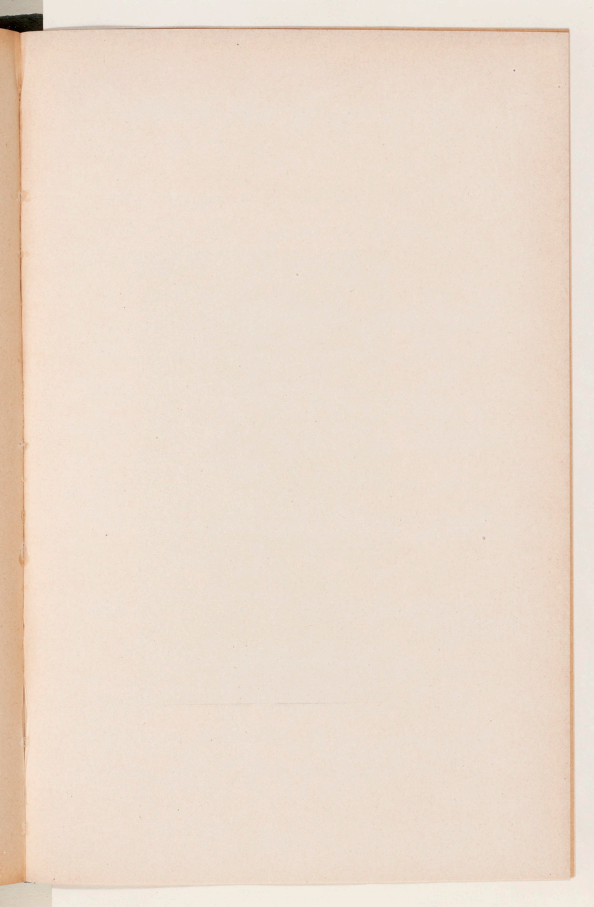
جنرالات ومديرين ومتوظفين متجملين بكسوة التشريفات والاعياد فكان المنظر ياخذ بجامع القلوب

وعندئذ نزل المقام الملوكي من عربته مصحوبا بجناب الوزير المفوض معتمد السفارة الفرنساوية بلبوسه الرسمية ودخل قاعة التشريفات بالمحطة متهلل الجبين وشواهد البشر بادية على محياه الكريم فتشرف بالسلام عليه اوليك الاعيان وكان سموه يجاملهم بالطف خطاب ثم بعد ان لثم اعيان المتوظفين المسلمين راحته الكريمة ودعوا له بالسلامة تلقى تحية الوداع من بنيه ءال بيته الكرمين وارتقى قطاره الخصوصي المزركش محفوفا بجناب الوزير المفوض مسيو ديبورت معتمد السفارة المذكور وجناب الوزير المفوض مسيو روا الكاتب العام للامور العدلية ومصحوبا بنجليه الكريمين البرنس سيدي المنصف باي والبرنس سيدي الهاشمي باي وبوزيريه الافخمين سيدي يوسف جعيط وسيدي الطيب الجلولي وبرجال حاشيته الماذون لهم من سموه بالسفر لخدمة ركابه العلي اثناء رحلته لفرنسا

وكان سير القطار الملوكي بسرعة الطير وكلما مر بمحطة الّا وهتف اهالي جهتها بالدعاء لسموه فلما وصل الرتل لبنزرت بعد مسير ساعتين كان في استقبال الجناب العالي بموقف المحطة القنصل مسيو غالب المراقب المدني بالمكان وعامل المدينة السيد الهادي الجيلاني والجنرال حاكم قلعة بنزرت يعضدهم كافة الاعيان والمامورين والمجلس البلدي والمجلس الشرعي بها ومشايخ الطرق والعمد وشيوخ القبائل وعندئذ نزل المقام الملوكي لرصيف المحطة حيث ادى له السلام فرقة من الجيش الفرنساوي الضارب بثغر بنزرت وبعد ان تلقى شعائر السلام



نزول الحضرة العلية من الرتل ببنزرت وتوجهها لرصيف المرسى للسفر



والاحترام من الجمع تقدم مصحوبا بجناب الوزير مسيو ديبورت كاهية السفارة ورجال دولته ومعيته الى رصيف المرسى واذاك كان المنظر مهيبا رهيبا لانه لما ركب سوله البحر اطلقت المدافع وهنف الناس بالدعاء لحضرته وقرعت الطبول وعزفت الموسيقى بالسلام الحسيني الذي هو النشيد الملوكي التونسي

وهذا النشيد كان انشاه الكمندان الاسكندراني الموسيقار المشهور ابتدعه بامر المرحوم محمد الصادق باي في حدود سنة ١٢٩٧ وكان السلام الملوكي قبل ذلك عبارة عن « مارشة » بلحن تركي اتخذت سلاما للباي من عهد المرحوم احمد باشا فلما وقع اللحن الجديد.وقع الاستحسان لدى الصادق باي امر باتخاذه سلاما رسميا لحضرته وهكذا فعل خلفاؤه من بعده وقد كنت سمعت عبارة هذا النشيد إلا انه لم يبق منها بمحفوظي سوى قوله

بدوام هذا النصر وعز هذا العصر
يعيش الصادق باي طول السنين والدهر

زده يا رب كمال مع جلال واقبال
وادم هذا المشير مظهرا لكل فخر

ثم يعاد بعد هذا المقطوع البيتان الاولان وعلى اثرهما مقطوع آخر ثم يعاد ذكر بيتي الترديد الاولين وهلم جرا الى الختام وقد توفق احد الفرنساويين المبدعين في صناعة الموسيقى فنظم بالفرنساوية انشودة على لحن هذا السلام في ايام المرحوم علي باي وطبعها باشكالها الموسيقية ولولا خوف

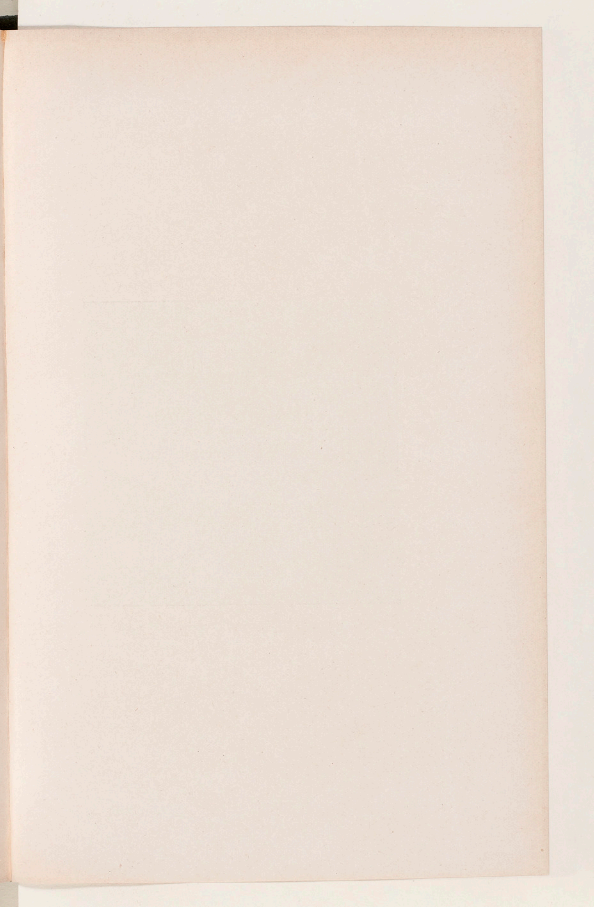
الاطالة وخلوها عما يفيد التاريخ لتكلفنا بنقل ترجمتها هنا وخلدنا ذكرها على صفحات هذه الرحلة الانيسة ببركة صاحبها المنوه بقدره الناطق لساني بواسع فضله وفخره

وبعد ان تلقى مولانا العلي عبارات التحية والموادعة القلبية من جناب المعتمد السفاري ارتقى مدرج الدارعة فهتف كمندانها وضباطها وربانها بضجات الترحاب مكررين عبارة « هورا » بتجويد الهاء المضمومة وتشديد الراء الدالة في عرفهم على الدعاء بالنصر والتاييد وارتقى خلفه كل من جناب الوزير المفوض مسيو روا ونجلاه الاسعدان وجناب الوزير الاكبر وجناب وزير القلم وبقية رجال الحاشية الملكية الذين تقدم ذكرهم واذاك تقدم سموه وجلس فوق التختوان المزركش المهيا لقعود حضرته العلية فنشر كمندان الدارعة في الحال باعلا صواريها العلم الملوكي الحسيني فكان يخفق سرورا مع الراية الفرنساوية واذاك تجلى مولانا على الحاضرين مرارا باظهار عنايته بهم مستبشرا في وجوههم وكانت طلعته تخجل البدر مما زاد في معاني ذلك الموقف الجليل الجميل ولما كانت الساعة الحادية عشر اقلعت الباخرة وسارت بسموه يقودها سر باسم الله مجراها ومرساها ويسطع من خفق اجنحتها في بحار السلامة عاطر شذاها وكانت مخفورة الى مسافة بعيدة بعدة نسافات وغواصات تابعة لاسطول بنزرت ثم اخذت تجد في السير قاصدة ثغر طولون الذي هو اعظم واكمل المراسي الحربية الفرنساوية ويرى القاري مما قدمنا له بالقسم الاول من هذه الرحلة ان المرحوم احمد باي لما سافر لفرنسا في اواخر سنة ١٢٦٢ كان نزوله ايضا بمرسى طولون فيكون حفيده امير العصر وفخر المصر هو ثاني ملك

59

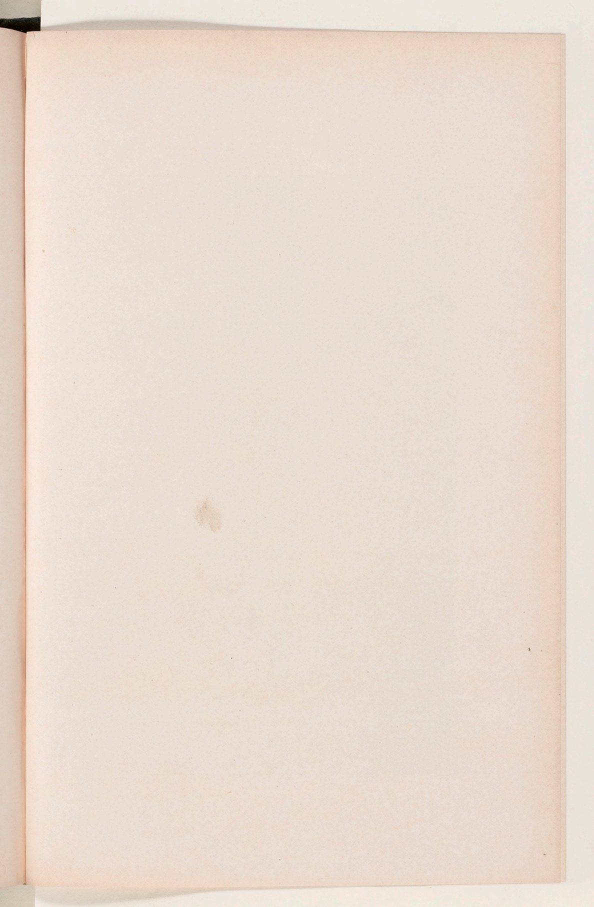


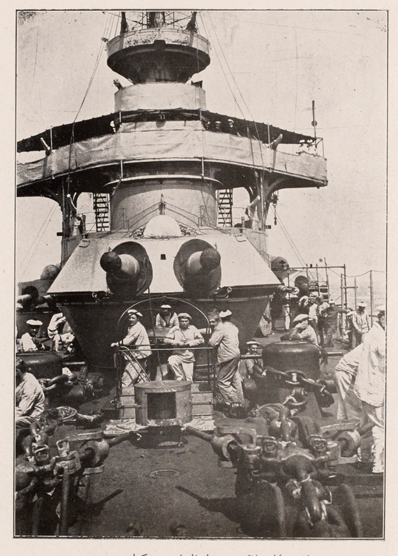
الحضرة العلية وحاشيتها ساعة ركوبها البحر ببنزرت



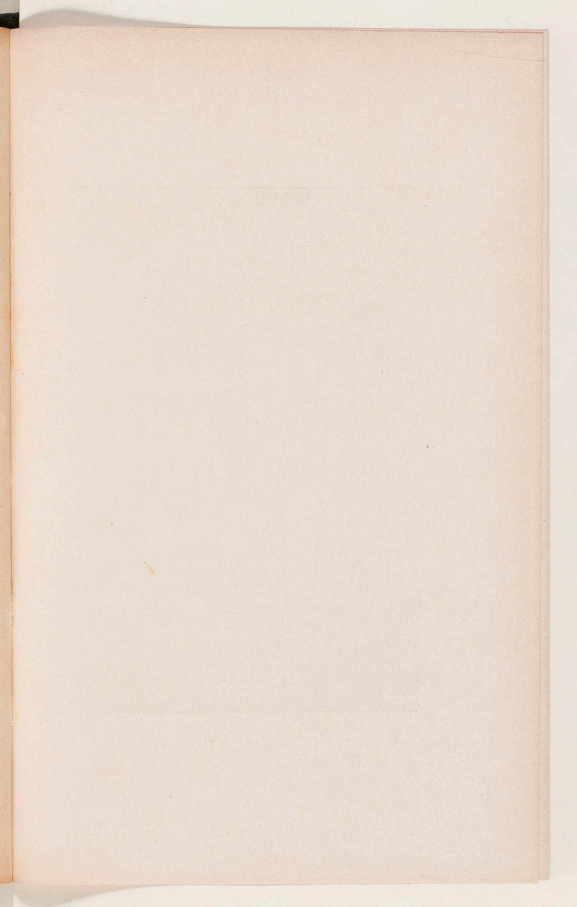


الدارعة فيكتور هيڤو وهي التي حملت الحضرة العلية في الذهاب والاياب





الاستحكام الاكبر بوسط الدارعة فيكطور هيغو



تونسي زار ذلك المرسى المنيع الذي هو راموز من عظمة فرنسا باروبا وبما لها من القوة والسطوة وراء البحور

هذا وليعلم القاري ان المدرعة « فيكطور هيكو » من اعظم المدرعات الفرنساوية وقد وقعت تسميتها باسم « فيكطور هيكو » نسبة للشاعر الفرنساوي المشهور المتوفى سنة ١٨٨٥ ولاتمام الفائدة ننقل هنا تاريخ نشاتها وقوتها اما قيمتها فقد ناهزت خمسة واربعين مليونا من الفرنكات واما طرازها فهو من نوع السفن الحربية المصفحة بالفولاذ الحديثة الصنع بحيث انها مستكملة لجميع التحسينات المناسبة للبحارة الحربية العصرية مما جعلها في الصف الاول بين بواخر الدرجة الاولى بالاسطول الفرنساوي وهي من اكملها عدة وابهجها زخرفة وطولها ١٤٩ ميتر وحمولتها ١٢٦٠٠ طنلاطة وهي ذات ٢٨ نحاسة واربع مداخن وقوة ما كنتها ٢٧٥٠٠ حصانا وهي قوة تسمح لها بالسير بحساب اربعين كيلوميتر في الساعة فهي والحالة تلك من اقوى واسرع المدرعات الفرنساوية وبها مستودع للفحم ياوي ٢٠٠٠ طنلاطة ومعمل للكهربائية تام النصاب ولها ترس مدرع بالفولاذ وبها ٤٠ مدفعا مختلفة الطراز منها اربعة مدافع مهولة ترمي المقذوفات التي تزن واحدتها ١٥٠ رطلا الى بعد اثنى عشر ميلا وجنديتها تتركب من ٢٣ ضابطا ومن ٧٠٠ مائة بحريا وقائدها هو الكمندان كلارك المتقدم ذكره البالغ في سنه للحادية والخمسين من عمره وقد قضى ٣٤ سنة في خدمة دولته بالبحرية

هذا ولما كانت الدارعة تسير فوق صفحات البحر الهادي كان المقام الملوكي يسرح نظره في اوساع الافق ذات الحسن والجمال الطبيعي الذي

هو اول شيء يلفت نظر المسافر في البحر وكان الكمندان كلارك متشرفا اذاك بالجلوس لدى سموه وكذلك وزراءه والكاتب العام وكان حول المقام العالي نجلاه الكريمان ورجال حاشيته السنية

فلما وصلت ساعة الفطور شرف مولانا بحضوره مائدة الطعام فجلس سموه بصدارة المائدة واجلس امامه كمندان الباخرة وجلس حوله لليمين ولليسار البرنسان سيدي المنصف باي وسيدي الهاشمي باي والوزراء الثلاث وكبار رجال الحاشية واكابر ضباط المدرعة اما بقية رجال المعية فجلسوا بمائدة اخرى مع بقية ضباط السفينة واليك قائمة الاطعمة التي تناولها سموه بتلك المائدة

مفتح متنوع

بطيخ مبرد

حوت بوري في مرق هولانده

قدة بقري

لوبيا خضراء في الزبد

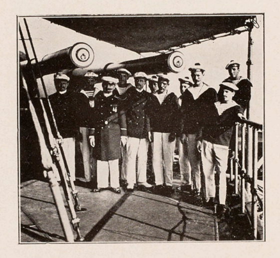
لحم طير مشوي

سلاطة الزمان

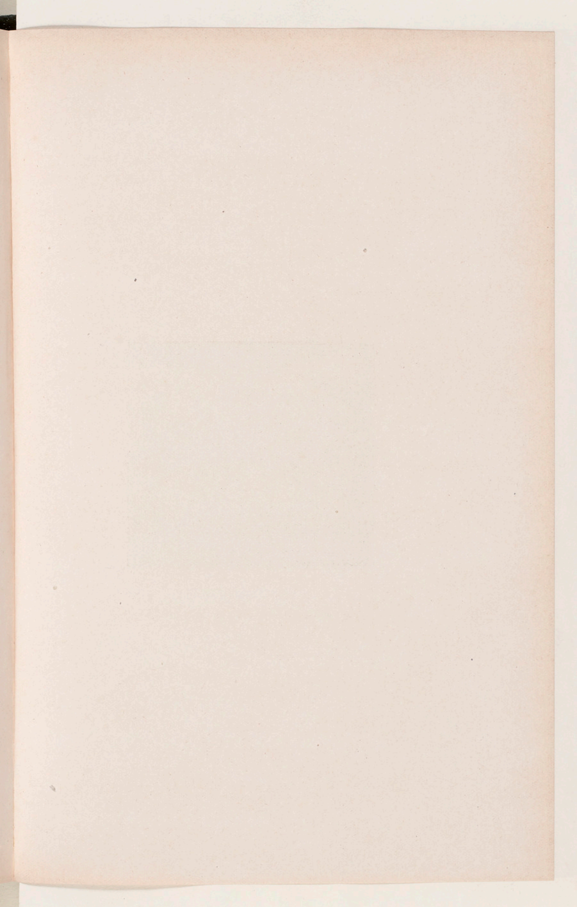
خوخ

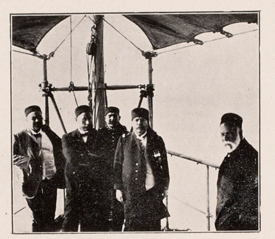
فواكه

وكان سموه اثناء الطعام يتجاذب اعنة الحديث الظريف مع جناب مسيو روا وجناب الكمندان كلارك ملوحا ومصرحا بانشراحه لرحلته الميمونة لانه لم يتقدم لعلي جنابه سفر بالبحر خصوصا وان القصد من

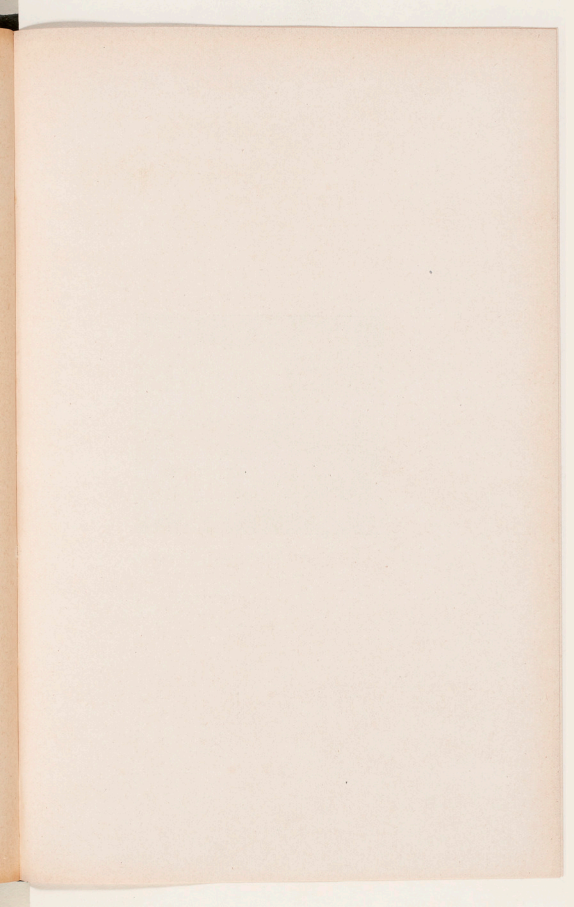


رجال العسة الشريفة
حول مساكن الحضرة العلية بالدارعة





الحضرة العلية تسرح انظارها في اوساع الافق
اثناء مسير الدارعة



سفره هو رد الزيارة لحبيبه العظيم فخامة رئيس الجمهورية الى غير ذلك من لطيف القول الذي استهوى لب الحاضرين خصوصا بما للحضرة العلية من المواهب الربانية التي اودعها الباري تعلى في ذاتها الشريفة المستوجبة لعظيم الاحترام والاجلال والاخلاص من كل من ساعفه البخت على التقرب من مقامها السامي ـ وعند انتهاء الفطور اختلى سموه ببيته الخاص حيث استراح ردحا من الزمان ثم بعد ان ادى فريضة العصر طاف سموه بالدارعة فزار منتدى الضباط وغرف البحرية ومخازن المقذوفات والرشاشات والقنابل والمحرقات ومارستانها وصيدلانيتها وكافة مرافقها المحكمة النظام وكان موجها بالخصوص في تلك الاثناء مهجته لسماع الافادات المستفيضة التي يقررها الكمندان كلادك بشان التلغراف اللاسلكي فاقترح سموه حينئذ اجراء تجربة من ذلك بمحضره وفي الحال انجز الكمندان هذا المرغوب الملوكي اذ طير على صفحات الجو رسالة تلغرافية بلا سلك من طرف الحضرة الشامخة لامير الامراء السيد عزوز بن عيسى بقصر المرسى العامر فحواها « ان البحر كان على غاية من الهدو وان صحة الجناب العالي في نهاية الاعتدال والاستقامة » فوصلت في الحين للمخاطب بها وبعد هنيئة جاء الجواب عنها بما زاد في اعجاب الحضرة العلية بهذا الاختراع الذي ترجع مزيته لمبتكره مركوني الطلياني المشهور

ثم قضى ابقاه الله بقية يومه في سمر وزرائه وفي لعب الشطرنج وكانت الدارعة اذاك تطوي البحر بحساب عشرين ميلا بحريا في الساعة والميل البحري طوله ١٨٥٠ ميتر ولما كانت الساعة السابعة تناول

ابقاه الله طعام العشاء بصحبة الذوات الذين تشرفوا بالفطور معه وهاك برنامج عشائه

شوربة الملكة

مداس الفجر

ارز بلحم العجل المالي

فاصولية فرنساوية

بط روان

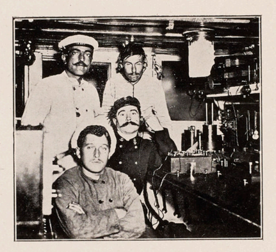
سلاطة خص

جلاطو الحرة البيضاء

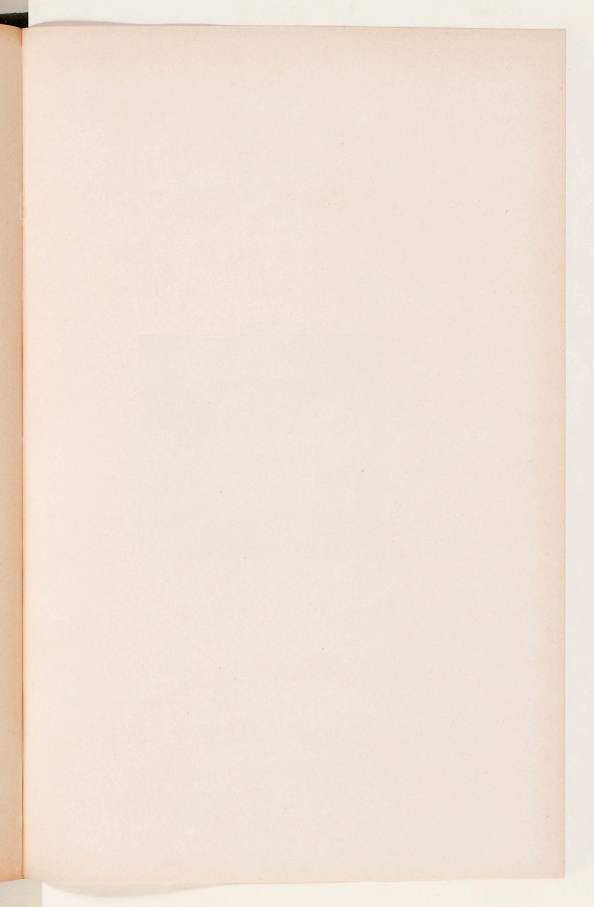
بشماط رخامي

فواكه

ثم بعد ان شرب التاي وتحادث مع حاشيته دخل ابقاه الله الى بيت نومه حيث قضى ليلته بعافية وسلام وفي الغد نهض سموه باكرا من فراشه شان اهل الحزم والعزم وبعد ان قضى فرائضه دخل لقاعة الاستقبال حيث حظى الجميع بمواجهة حضرته ووقف الكل في خدمة جنابه وكان البحر هادئا والهواء عليلا ولما حانت ساعة الضحى استحضر ابقاه الله الكمندان كلارك رئيس الباخرة وقلده في موكب مشهود وسام الكمندور من نيشان الافتخار كما قلد عدة اوسمة اخرى لاعوانه ضباط السفينة وذلك تذكارا لسفره الميمون على متن الدارعة التي هي لقيادة ذلك الكمندان فتلقى هذا الضابط الكبير ذلك الوسام الشريف بمظاهر الشكر الجزيل والثناء الجميل وكان تقليد تلك الاوسمة على نغمات السلام الملوكي



مركز التلغراف اللاسلكي حال انفاذه للرسالة الملكية
لسراية المرسى



ونشيد المرسلياز وبين هتاف نوتية الدارعة وبتلك المناسبة منح الكمندان كلارك على وجه المكارمة للحضرة العلية معاشا فوق العادة لبحرية الباخرة فعلت اصواتهم بالهتاف والدعاء للمقام الملوكي ولدولة الجمهورية ولما كانت الساعة الحادية عشر دخل مـولانا لمائدة الفطور يتبعه جناب الكمندان كلارك ونجلاه الاسعدان وجناب الوزراء الثلاث ورجال الحاشية الملكية واليك قائمة ما دار من الاطعمة بين يديه بتلك المائدة

مفتح متنوع

اسلاخ انشوة

كنبار بارد بالمرق

ضلع بقري اكل اللطفاء

ارنب بالحليب

دجاج الهند مشوي

سلاطة

جلاطو

غلال وفواكه

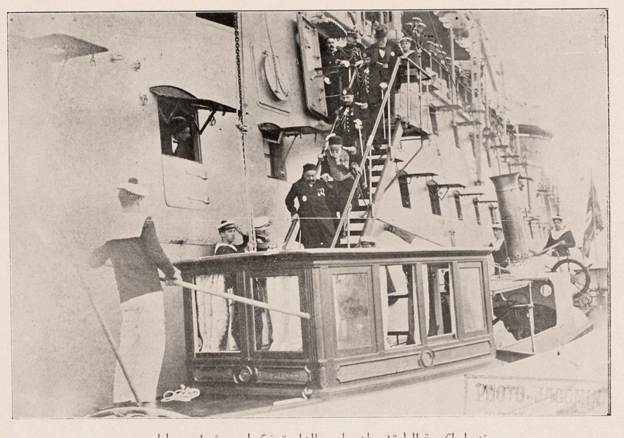
وفي نهاية الفطور اعلن ابقاه الله بارتياحه وانبساطه داعيا بسعادة كمندان الدارعة وضباطها وكافة رجال البحرية الفرنسـاوية وقد اجاب الكمندان كلارك عن تلك العواطف الشريفة معربا عن كامل امتنانه وداعيا للحضرة العلية ولآل بيتها ولمملكتها بالسعادة

وفي تلك الاثناء ورد على الكمندان المذكور تلغراف بالطريـق اللاسلكي من جناب وزير البحر يشير فيه بتخفيض السير ليكون وصول

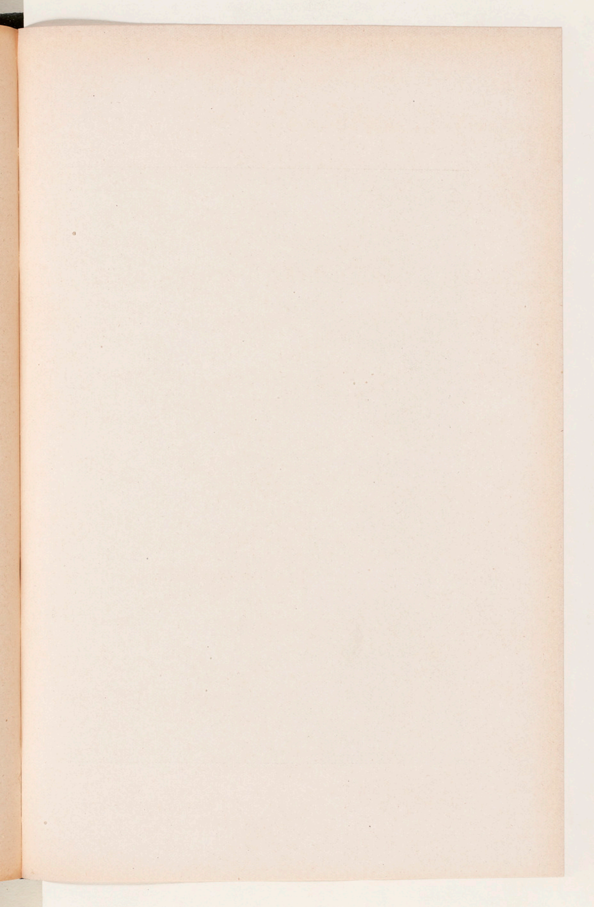
الحضرة العلية لمرسى طولون في الساعة الثالثة بعد زوال ذلك اليوم حيث كانت التاهبات الرسمية لقبول سموها وقع تحديد اجرائها براس تلك الساعة بما يناسب مقام وفخامة المولى الامير فعمل الكمندان بتلك الاشارة بحيث ان الوصول لطولون كان قبيل الساعة المذكورة ببضعة دقائق

الوصول والنزول لطولون

لما القت الدارعة « فيكطور هيكو » مراسيها بساحل طولون ركب جناب الوزير المقيم العام مسيو الابتيت وجناب الاميرال ماران دربيل حاكم البحرية بها زورق الولاية وسارا نحو الدارعة الملكية ولدى الوصول دخلا على الحضرة العلية واديا لسموها عبارات الاحترام والتهنئة بسلامة القدوم ثم انتظم الموكب ونزل مولانا العلي الى البر لابسا كسوة التشريفة الكبرى يتبعه وزراءه واهل حاشيته فلما امتطى قدمه رصيف المرسى ادت له فرقة عظيمة من العساكر مراسم التحية العسكرية وكان عندئذ في استقباله هناك مع جناب المقيم العام وقائد المدينة البحري المشار اليهما آنفا كل من جناب الكلونيل الابير نائبا عن فخامة رئيس الجمهورية وجناب القنصل مسيو قوتي رئيس قسم الامور التونسية نائبا عن جناب وزير الخارجية وجناب والي طولون وشيخ المدينة بها وكافة اهل الحل والعقد واصحاب الحيثيات والمظاهر الرسمية واذاك تعرف سموه باولئك الذوات وبش في وجوههم وصافحهم مصافحة الكرام ثم بعد ان استعرض الفرقة العسكرية التي ادت السلام الملوكي لحضرته العلية ركب سموه والحاضرون العربات المعدة لركوبهم وسار الموكب بين اسمطة العساكر الممتدة من رصيف المرسى الى سراية بطحاء السلاح وهنالك نزل سموه



نزول الحضرة العلية وحاشيتها من الدارعة فيكطور هوغو لمرسى طولون



ووزراءه ومعيته وبقية الحاضرين فدخل ودخلوا للسرايا حيث قامت
ادارة الولاية مادبة فاخرة اكراما لسموه ابقاه الله وهنالك خطب جناب
الوالي بين يدي حضرته معربا ومفصحا عما نال مدينة طولون من
الشرف والمسرة بزيارة اكرم ملك تحبه وتحميه الدولة الفرنساوية وقد
اجابت الحضرة العلية عن تلك الاحساسات والعواطف الشريفة بتقليد
جناب الاميرال وسام الصنف الاكبر من نيشان الافتخار كما اتحفت بمثل
ذلك جناب مسيو هدلات والي مقاطعة الفار التي قاعدتها مدينة طولون
وكما احسنت بالصنف الاول منه لكل من جناب مسيو ڨوتي مدير الامور
التونسية بالوزارة الخارجية وجناب الجنرال قائد الجيوش الاستعمارية
وجناب شيخ مدينة طولون وبالصنف الثاني للكولنيل الدمير ولكاهية
والي طولون ولنخبة من ضباط البحرية والحربية بها وبعد ان شرف سموه
مائدة السماط ركب ابقاه الله في حدود الساعة الخامسة وسار موكبه المهيب
الجميل بين ضجات الهتاف البالغة عنان السمآء متخللا ديار المدينة فطاف
بالمكان المعروف بالموريون ثم زار محلات الترسخانة واعجب بنظامها
وكمال عدتها الناطقة بما للدولة الحامية من القوة والسطوة وختم تجوله
بزيارة دار القيادة البحرية حيث اقام حصة قليلة ثم ركب واذن بالسير نحو
موقف السكة الحديد فوصل للمحطة في حدود الساعة السادسة ونصف
مسآء واذاك تلقى من اولئك الاعيان الذين ساروا في معيته مراسم السلام
كما تلقى مراسم التحية والاحترام من كبار ماموري السكة الحديد الذين
بالغوا لحد الغاية في ترصيع وتزيين وزركشة وزخرفة محلات المحطة

اكراما لسموه ثم ركب على الساعة السابعة قطار الرئاسة الجمهورية المخصص لسفر سموه وركب في صحبته اهل حاشيته والمقيم العام ومبعوث فخامة رئيس الجمهورية ونائب وزير الخارجية واذاك تحرك الرتل قاصدا باريس بسرعة تحاكي مسير الطير

ولما كان القطار جادا في السير شرف سموه مائدة العشاء فوق الطائر الميمون وكانت بدعا في الترصيع والتركيب وهاك ما احتوت عليه تلك المائدة من الاطعمة الشهية

شوربة الربيع الملوكي

تريلية فرنساوية

سلته بقري

فاصولية بدوية

دجاج بري مشوي

سلاطة رومانية

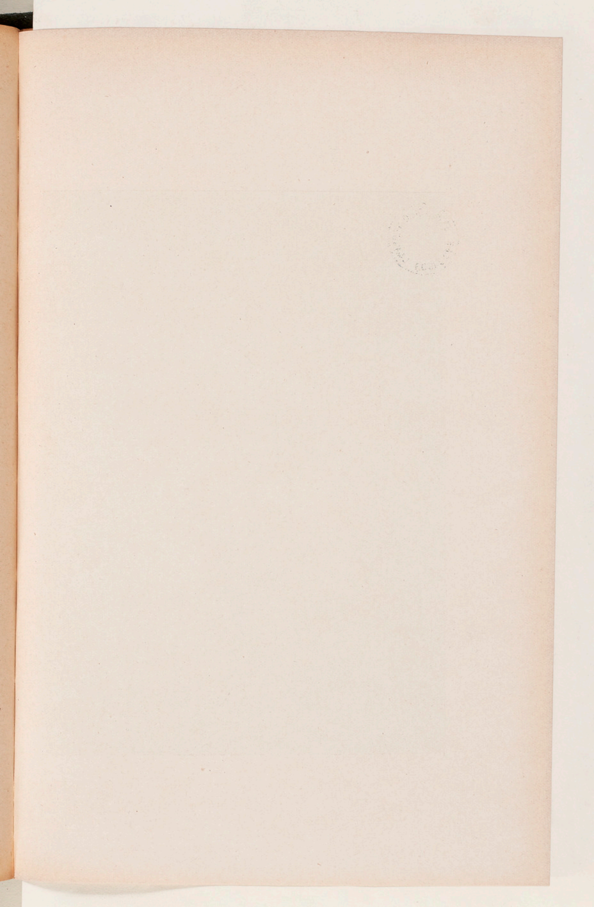
معجون الفراوله

فواكه شتى

ثم تناول سموه بعد ذلك قهوة الاكرام وجلس حصة في مسامرة الاعيان المصاحبين لذاته الشريفة وكان الحديث يحوم حول الاسفار وجوب البراري والبحار وفي نحو الساعة العاشرة طلع لفراشه حيث قضى ليلته بينما كان القطار يطوي ببخاره مسافة الثمانمائة ميل الواقعة بين البحر المتوسط ومدينة باريس ولما اصبح الصباح وطلع شمسه ولاح كان الرتل على مقربة من باريس واذاك اخذ المقام الملوكي في التاهب لدخول



مرور الحضرة العلية امام عسكر الشرف عند نزولها بموقف السكة الحديد بباريس



عاصمة فرنسا في موكب رسمي حسب الرسوم المألوفة في مثل تلك الحال
وبعد هنيئة وصل الرتل الملوكي لباريس وما ادراك ما باريس

الوصول والنزول لباريس

وهو اليوم الاول من زيارة سموه بالطريقة الرسمية

(يوم الجمعة في ١٢ يوليه ١٩١٢)

كان وصول القطار الملوكي لباريس على الساعة الثامنة وربع من
صباح اليوم الذي اسفر عن ليلة خروج الحضرة العلية من ثغر طولون
اي صبيحة الجمعة ثاني عشر يوليه ١٩١١ ولما وقف القطار بمحطة ليون
كان في استقبال سموها على رصيف المحطة بملابسهم الرسمية جناب
الوزير مسيو مولار رئيس ديوان التشريفات بالدولة الفرنساوية وجناب
مسيو رمندو باش كاتب الرئاسة الجمهورية وجناب مسيو دولاني والي
مقاطعة السين وجناب الجنرال مونوري حاكم قلعة باريس وجناب
الكولنيل رئيس العسة الرئيسية وجناب مسيو ليبين رئيس الضبطية وجناب
مدير السكة الحديد وغيرهم من الذوات والاعيان الموفودين من قبل
فخامة الرئيس والدولة الجمهورية لتلقي جنابه العالي فتقدموا نحو سموه
وحيوه تحية الكرام وابلغوه عبارات التهنئة بسلامة القدوم نيابة عن فخامة
مسيو فليار والدولة الفرنساوية ثم ان جناب المقيم العام وجناب رئيس
التشريفات عرفا سموه باولئك الاعيان فصافحهم مصافحة كريمة وتقدم
وموكبه نحو بهو المحطة حيث ادى له السلام فرقة من عساكر التريس
وعندئذ كانت واجهة المحطة وبطاحها وفناؤها مزدانة بالرايات التونسية

والفرنساوية وباكاليل الزهر وغصون النخيل تحاكي روضة زبرجدية فمر سموه بقاعة الاستقبـال وكانت بدعـا في الزخرفة والتزويق واذاك انحنى امامه كافة الحاضرين قياما بواجب السلام والاحترام اللايق بمقامه الملوكي فسلم عليهم باشارة اليـد ثم امتطى العربة الرئيسية فجلس لليمين وجلس ليساره جناب مسيو الابتيت الوزير المقيم وجلس ا.ا.م.ه كل من مسيو مولار رئيس التشريفات ومسيو رندوباش كاتب القصر الجمهوري

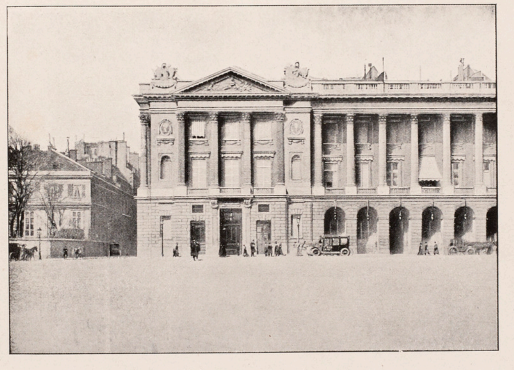
وركب العربة الثانية نجلاه السعيدان سيدي المنصف بـاي وسيدي الهاشمي باي وركب معهمـا كل من القنصل مسيو كوتي مدير الامـور التونسية بالوزارة الخارجية والكلونيل الدمير معين فخامة رئيس الجمهورية

وركب العربة الثالثة جناب الوزير الاكبر سيدي يوسف جعيط وجناب مسيو رووا الوزير المفوض والحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية

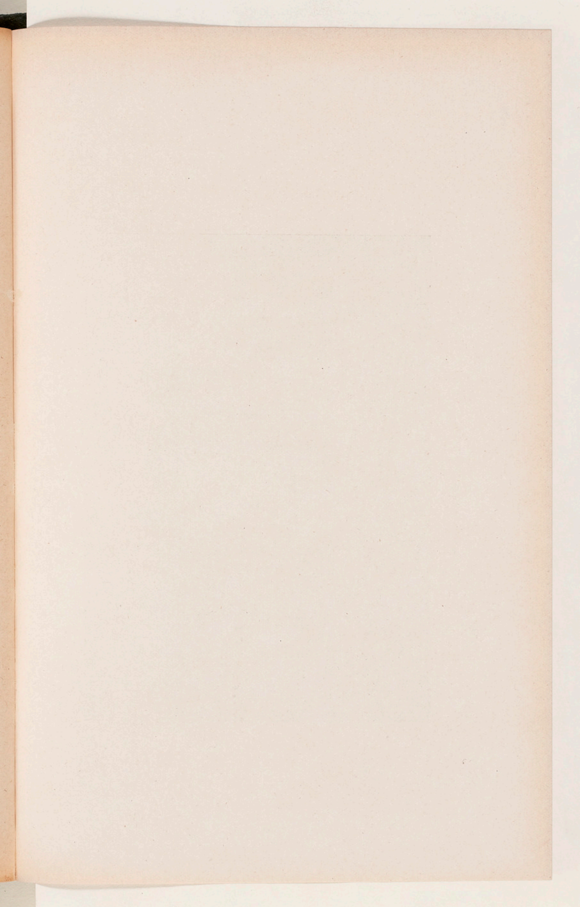
وركب بالعربة الرابعة جنـاب سيدي الطيب الجلولي وزير القـلم وجناب القبطان بوا معين الوزير المقيم وامير اللواء السيد صالح بودربالة رئيس العسة المصونة والامير الاي السيد مصطفى دنقزلي شيخ المدينة

وركب بالعربة الخامسة الامير الاي السيد رشيد زكريا كاهية رئيس العسة المصونة والقائمقام السيد احمد قارة معين الحضرة العلية

وركب بقية رجال الحـاشية الملكية وبقية الذوات ببقية العربـات وتحرك الموكـب في ابهى مظـاهر الابهـة والاجلال مخفورا بالاي من العساكر الخيالة قاصدا سراية كريون التي خصصتها الدولة الفرنساوية لسكنى سموه فمر وسط هتاف الالوف ومئـات الصفوف مجتـازا بجسر « استرليتز » فارصفة نهر « السين » فشارع « سان جرمان » فجسر الوفاق



واجهة سراية كريون ببطحاء الوفاق



فبطحاءه حيث السرايا الموما اليها ولدى وصول سموه نشرت فوقها الراية الحسينية الملكية فكانت تخفق فوق اعاليها ولجوانبها بواجهات السرايا مجموعات من الالوية الفرنساوية والتونسية وكانت السرايا نفسها ترفل في حال الزينة تمثل راموزا من قصور الجنة واذاك دخل المقام العالي للسرايا وصعد للطبقة الاولى منها حيث وادعه اوليك الذوات الذين جاءوا للسلام عليه ثم اختلى بقصد الاستراحة ردحا من الزمن واشتغل وزراءه وجناب الوزير المفوض مسيو روا بالاطلاع على تفاصيل برنامج زيارته لباريس واتخذوا تحت انظار جناب الوزير المقيم جميع الاحتياطات لانجاز ذلك شبرا بشبر وفقا لمرغوب سموه ولمشتهى الدولة العظمى الجمهورية

وفي تلك الاثناء ورد على سموه تلغراف من بوردو خاطبه به مسيو كازليت رئيس الاتحاد الرياضي العام ونصه

بوردو في ١٢ يوليه ١٩١٢

الى سمو باي تونس المعظم نزيل مدينة باريس

ان اعضاء الجمعيات الرياضية قد تحفظوا على القبول الحسن الذي نالوه من لدن حضرتكم العلية عند امتثالهم لدى سموكم ساعة قيام ابناء الشبيبة الفرنساوية بافراحهم الوطنية السنوية وان ذكرى ذلك القبول ستبقى خالدة باذهانهم ومنقوشة على صفحات قلوبهم واني بالنيابة عنهم جميعا التمس من مقامكم الارفع ان يتفضل بقبول شعائر تعلقهم بالبلاد التونسية التي تعلموا حبها والاعجاب بمحاسنها التي لا تحصى

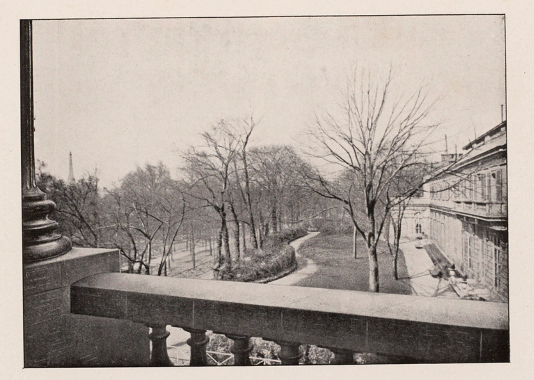
الامضاء ـ شارل كازليت

هذا وليكن المطالع على بينة من الحظوة التي شملت بها الدولة الحامية سمو ملك البلاد المحمية فانها ناطقة بما للامة الفرنساوية من العناية بهذه البلاد كما سيراه القارئ الكريم وبما لها خصوصا من الاحترام والاعزاز نحو اميرها الجليل الذي قدره رجال الدولة الجمهورية حق قدره وهم اوليك الرجال المنطبق عليهم قول الشاعر

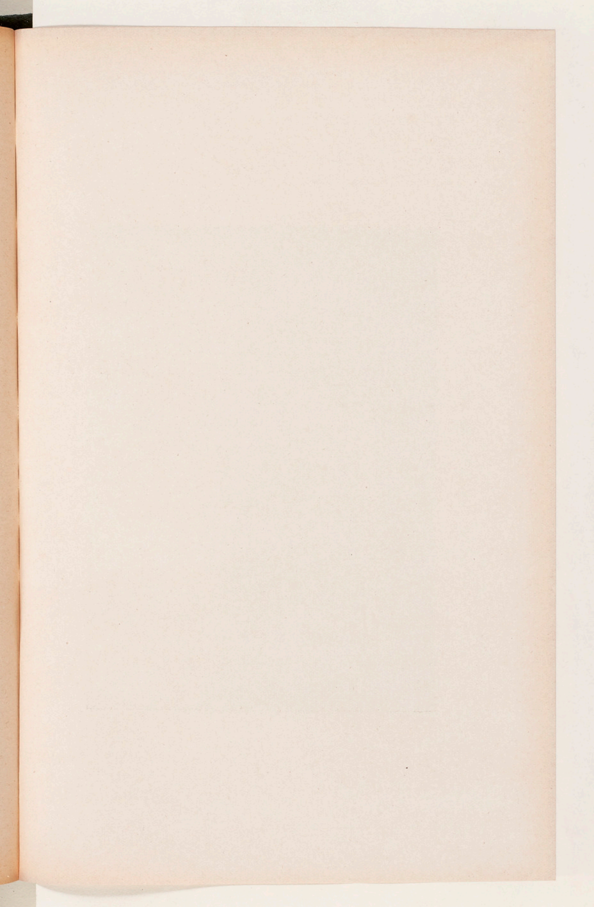
هم القوم ان قالوا اصابوا وان دعوا   اجابوا وان اعطوا اطابوا واجزلوا

وقد قدمنا لك ان سكنى الحضرة العلية كانت بسراية كريون وهي من اجمل سرايات العاصمة الفرنساوية فلاتمام الفائدة ناسب ان نعرف بتاريخ هذا القصر المشيد ولذلك نقول

كان احداث سراية كريون بامر من الملك لويز الخامس عشر في جملة ما اذن هذا الملك بانجازه من الابنية الشامخة ببطحاء الوفاق التي لم ينسج على منوالها بالعالم اجمع وكان المهندس على تلك الابنية هو العريف جبريل المهندس المشهور واما نسبة السرايا لعبارة كريون فهي نسبة تشريف لان لفظ كريون اسم لاحد ضباط الملك هنري الرابع كان من الابطال ناهيك ان هذا الملك لقبه « بقبطان الدنيا » وكان يحبه ويجله ويكاتبه بيده في المهمات والشؤن حتى انه ارسل له يوما رقعة بخط يده بقي لها ذكر بالتاريخ الفرنساوي يقول فيها « ايها الشهم كريون لاتلومن إلّا نفسك قد كان النصر حليفنا في وقعة « آرك » التي تخلفت عن حضورها » ومات كريون هذا سنة ١٦١٥



منظر سرایهٔ کریون من نهج جبریل



وقد اجمع اهل الذوق السليم والمعرفة بامور البناء والتزويق والتنميق ان هذه السرايا من افخر واضخم واجمل وافخم ما صنع بفرنسا حوالي القرن الثامن عشر للميلاد لان منظرها ياخذ بمجامع القلوب سيما اذا تاملها الانسان من جهة المسلة المصرية التي كان اهداها المرحوم محمد علي باشا خديو مصر لحبيبه لويس فيليب ملك فرنسا وقد اتفق انني زرت مدينة باريس مرة خامسة على اثر رجوع الحضرة العلية لتونس فتوجهت لزيارة تلك السرايا واذا هي عبارة عن بناء يكفي في نعته ان نقول انه كان من ديار ملوك فرنسا ولا نبالغ اذا قلنا ان ما به من اصناف المرمر الغريب تتجاوز قيمته المليون وهذا فضلا عما احتوى عليه من السرر المرفوعة والاكواب الموضوعة والنمارق المصفوفة والزرابي المبثوثة ولله المثل الاعلى وكان سكنى المقام الملوكي بالبيت المعروف بغرفة النسور

واما نجلاه ووزراءه وجناب الكاتب العام ورجال الحاشية فقد خصصت لهم بالطاق المذكور بيوت مناسبة لحيثياتهم وكذا اتباعهم بحيث ان الجميع كانوا في رغد من العيش ويتقلبون فوق الفرش المرفوعة والزرابي الموضوعة

هذا وقد قدمنا لك ان المقام الملوكي دخل لباريس متجملا بكسوة التشريفة الكبرى كما هي عادة اسلافه وعادة سموه في ايام الاعياد الاسلامية بتونس وهذه الكسوة التي يعرفها بالتفصيل كل من ساعفه حسن الطالع على الاقتراب من ذات مولانا ابقاه الله وصفها اصحاب الجرائد بباريس بنعوت متناقضة لانهم يجهلون تاريخ نشاتها فبعضهم قال انها من لبوس ملوك الشرق وءاخرون حسبوها كسبات كمندان عام للجيش التونسي

وغيرهم سماها كسوة الاعياد لاصحاب رتبة جنرال وهلم جرا والحقيقة انها كسوة صاحب الكرسي الحسيني وحده وان تاريخ نشاتها على صورتها المعروفة اليوم يرجع لعهد احمد باشا لانه هو اول باي اتخذ شعائر الفخموة والعظموة كما تقدم في اخبار دولته بالقسم الاول من هذه الرحلة وكان البايات يتعممون ويلبسون اللبوس العربية حسب العصور وءاخرهم عهدا بذلك حسين باي فلما تولى من بعده اخوه مصطفى باي لبس شاشية الفراشة وكسوة باشي بوزوق واتخذ لنفسه ازار مستزرقا في شكل كبوط كما يراه الرآءي بقاعة الاستقبال الفوقية من سراية باردو وجاء بعده ابنه احمد هذا فوسع في ذلك بقدر ما طمحت اليه نفسه من التعالي والتغالي اذ حصل على تتويج راسه بشارتين مشيريتين من الذهب المرصع احداهما في سنة ١٢٥٤ والاخرى في سنة ١٢٦٨ اما الشارة الثالثة فقد حكى لي والدي رحمه الله ان اول من اتخذها هو الباي محمد الصادق في حدود سنة ١٢٨٤ واما السترة السوداء الموشاة بالذهب فمبتدعها ايضا هو احمد باي وبقيت على صورتها الى الآن وهي تبلغ قيمة لنحو عشرة ءالاف فرنك وهذا الثوب البهيج يحتزم الباي فوقه بمنطقة مطرزة ايضا بالذهب الخالص يقع شدها بصفيحة ذهبية مرصعة بالحجارة الكريمة وبكلا طرفيها حجارة من الزبرجد استهوى جمالها محرر جريدة الطان كما صرح بذلك في جريدته عند الكلام على مكسبات الحضرة العلية ثم سيف مرصع القبضة بديع الصنع يتوارثه البايات خلفا عن سلف كالشارات الثلاثة المذكورة وواسطة تلك المكسبات هو نيشان ءال البيت الحسيني ومبتدعه الباي احمد باشا وهو في صنف وحيد

لا كتابة عليه مرصع كله بالحجارة الكريمة (ديامنت) ويلبسه كل باي عند ادراكه الحلم ويمتاز نيشان باي الكرسي بنفاسة حجارته حيث لا يقل ثمنها عن الثلاثين الف فرنك وفي نهاية الامر يلبس الباي الشريط الاكبر الفرنساوي مع ما يتبعه من العدة والنعوت اما بقية النياشين التي بصدر الباي فهي نيشان العهد المرصع وقد احدثه الصادق باي في سنة ١٢٩١ فنيشان عهد الامان ومحدثه الباي المذكور في سنة ١٢٧٦ وكتب بقلبه عبارة عرض الصادق امانه ' مشيرا بذلك للحوادث السياسية التي اقتضت انشاءه فنيشان الافتخار ومحدثه مصطفى باي إلَّا ان شكله اذاك كان غير شكله في الحاضر ولم يحدث منه مصطفى مؤسسه سوى صنفا واحدا في شكل صغير بيضي استنبطه لتمييز تابعه جوزابين رافو الذي كان وكيلا للغرفة على عهده حيث لم يرد تقليده رتبة عسكرية كبقية اهل دولته من المسلمين وذلك هو السبب الذي دعاه لاحداث نيشان الافتخار المقتبس اسمه من نيشان الافتخار الذي كان موجودا بالدولة العثمانية على عهد السلطان محمود خان الثاني واما ترتيب عدة اصناف لهذا النيشان اي اول وثاني وثالث ورابع فهو من مبتدعات احمد باي وهو الذي اضاف لذلك صنفا اكبر بالشريط اقتداء بفخامة الدولة الفرنساوية بعد زيارته للملك لويس فيليب في سنة ١٢٦٢ ويلبس باي الكرسي زيادة على تلك النياشين التي يكون لبسها بطريق الاصالة بقية الامتيازات والاوسمة المهداة له ذاتيا سواء كانت فرنساوية او اجنبية هذا وليعلم القاري ان لكل نيشان تونسي نظام تاسيسي يخصه في رسم الدولة التونسية عدا نيشان الافتخار الذي تكرر تعديل نظامه فان امر تاسيسه

ام يقع العثور عليه بعد ابدا وما سواه فمنشور نيشان آل البيت الحسيني من انشاءات المرحوم الشيخ احمد بن ابي الضياف ومنشور نيشان عهد الامان من انشاءات المرحوم الشيخ محمد العزيز بوعتور ومنشور العهد المرصع من انشاءات والدي رحمه الله وثلاثتهم تربعوا على التعاقب برئاسة ديوان الانشاء بالدولة التونسية وهو ديوان عفت رسومه من زمن الاباء والجدود وهيهات ان يعود

ولنرجع بالقاري لحوادث الرحلة الملكية فنقول ان بعض الصحف الباريسية وصفت طلعة مولانا الكريم عند مشاهدة موكبه المذكور آنفا فقالت « ان سموه في عنفوان الكهولة وهو ربع القامة رحيب الصدر طلق المحيا تلوح على وجهه سيماء النباهة وعيناه يحكيا ذكاء حادا ووجهه تعلوه ذقن خفيفة ذات لون ذهبي فضي وفوق راسه شاشية حمراء تعلوها شارة الامارة من ذهب وهاج اما كسباته فهي شبيهة بكسبات ماريشال بزيادة ابهة وفخامة لانها مغشاة كلها بالذهب والحجارة الكريمة وحول خصره منطقة ذهبية مرصعة لجانبها سيف بديع الصنع والترصيع بحيث ان طلعة سموه تخجل البدر وسموه لا يتكلم بالعربية في المواكب الرسمية الا انه يظهر عليه انه ليس في حاجة لمترجم متى اراد التكلم باللسان الفرنساوي الذي علمه لكافة ابنائه وما بالعهد من قدم خاطب سموه رئيس الجمعيات الرياضية عند ما زاره بقصر المرسى بقوله « اني لمبتهج بالسلام على ابناء الجمعيات الرياضية الفرنساوية وليتذكروا دائما اني محب لفرنسا وبنيها » وهذا الوصف قليل من كثير لان لدينا اكثر من خمسمائة عدد من الصحف الفرنساوية المعتبرة الصادرة في تلك الايام

وكلها شبعانة ملانة بلطيف الحديث وبعبارات التمجيد نحو الذات الملكية العلية وهذه الصحف هي التي استعنت بها على الجمع بين التالد والطارف من اخبار هذه الرحلة الانيسة والغادة النفيسة

هذا وبعد ان استقر المقام الملوكي بالسراية المذكورة واستراح برهة زمانية اجال نظره السديد في برنامج الافراح التي رتبتها الدولة الجمهورية اكراما لسموه الشريف واعرب عن ابتهاجه وانشراحه لما حصل له من الحفاوة والاكرام من ابناء باريس اثناء دخوله للعاصمة ثم دخل لمائدة الفطور واليك قائمة ما دار بها من الالوان الشهية

مفتح متنوع

عظم مز كوض بانابيت السكوم

لحم عجل على ذوق الكنشلريه

ارز حلو

قرع في الحليب

خوخ كريون

حلاويات

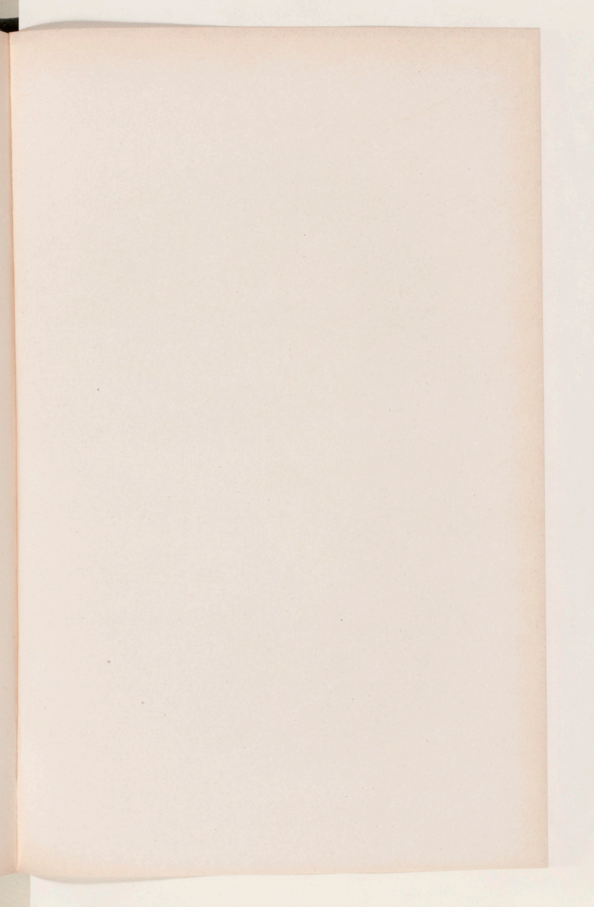
فواكه شتى

وبعد ان تناول قهوة التاي بصحبة الوزير مسيو روا اذن بالتاهب للتوجه لقصر الرئاسة الجمهورية بقصد اداء الزيارة لحبيبه المعظم فخامة الرئيس مسيو فليار فخرج سموه وجناب المقيم العام وجناب الوزراء وكافة رجال الحاشية بملابسهم الرسمية وسار موكبه محفورا بكوكبة من خيالة العسة الرئيسية قاصدا سراية « الايليزة » وهذه العبارة معناها في عرفهم

الجنة وان شئت الجنان لا حرمنا الله جنة الرضوان فدخلها بين عبارات
مظاهر السرور والتمجيد وعلى نغمات الاناشيد ولما وطأت قدمه بطاح
السرايا أدى له السلام الاي كامل من عساكر التريس ببيرقه وموسيقاه
وفي الحال صعد مدير التشريفات وباش كاتب القصر بسموه مدرج
السراية ودخلا به ورجال حاشيته لقاعة الاستقبال الاولى حيث كان في
انتظاره فخامة الرئيس مسيو فليار فتقدم فخامته نحو سموه وصافحه مصافحة
قلبية وحياه تحية طيبة زكية مفحصا له عن انشراح فخامته من هذه
الزورة السعيدة الى غير ذلك من مظاهر الاحتفال وعبارات الوداد والاجلال
ثم دخل لقاعة السفراء حيث جلس فخامة الرئيس العظيم وجلس ليمينه
ضيفه الكريم وجلس امامهما جناب الوزير المقيم العام والبرنسان الاسعدان
نجلا الحضرة العلية واستوى بقية الذوات وقوفا بين ايديهما فكان المنظر
مهيبا جليلا بهيجا جميلا واذاك اخذ المقامان العاليان يتجاذبا اعنة حديث
الوداد والشوق وكان المترجم بينهما صاحبنا الهمام الامير السيد مصطفى
دنقزلي شيخ المدينة فقال فخامة الرئيس لسموه « ان من اسعد ساعاته
هاته الاونة التي سمحت لسموه بزيارة العاصمة الفرنساوية ومكنت فخامته
من استضافة سموه الذي كان احتفل بقدوم فخامته لتونس اثناء العام
الفارط » وقال سموه لفخامته « ان من اسعد اوقاته حلوله بباريس في هذه
الساعة التي ستمكنه من حضور حفلة عيد الملة الفرنساوية يوم ١٤ يولية »
وبعد ان استمر الحديث حصة زمنية على تلك النغمة الشهية اعرب سمو
مولانا الكريم عن مرغوبه في زيارة كريمة النسب والحسب مدام فليار
قرينة الرئيس الموقر فتهلل وجه فخامته لهذا الاقتراح الشريف وسار بمولانا

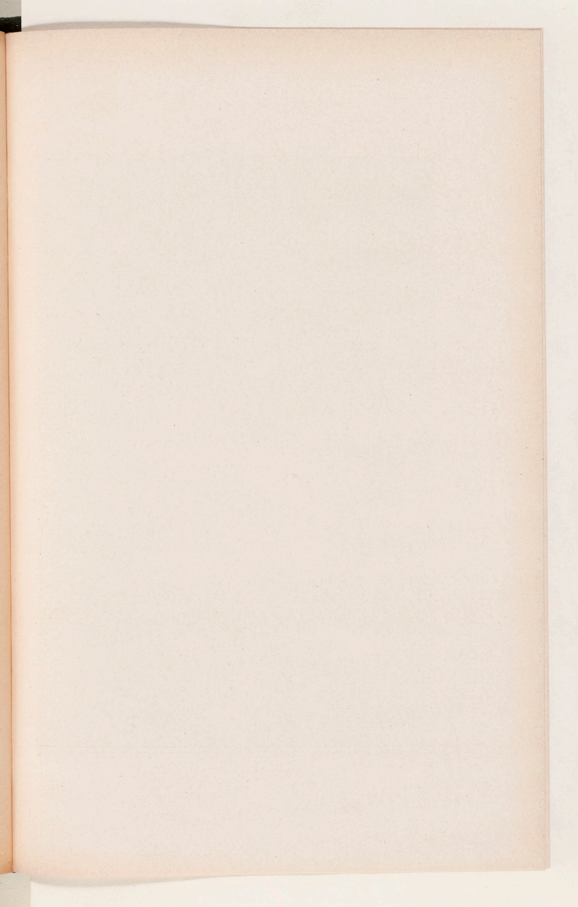


فخامة مسيو فليار رئيس الجمهورية الفرنساوي سابقا





خروج الحضرة العلية من سراية كريون مصحوبة بجناب الوزير المقيم العام للتوجه لزيارة فخامة رئيس الجمهورية



نحو المقعد الهلالي حيث ادى سموه عاطر التحية لتلك السيدة الكريمة ثم انفصل الموكب وعاد ركاب مولانا في ابهة عزه واقباله لسراية كريون حيث وفد عليه في حدود الساعة الرابعة فخامة رئيس الجمهورية لرد الزيارة وقد تلقاه بباب السرايا جناب امير اللواء السيد صالح بودربالة ورجال الحاشية السنية وصعدوا بفخامته لى اعلا مدرج القصر حيث استقبلته الحضرة العلية بذاتها الشريفة ثم دخلا لقاعة الضيوف حيث تبادلا عبارات الوداد من جديد وافصح كل منهما لصاحبه عن اخلاصه وتعلقه بلسان التكريم والتمجيد ثم بارح موكب فخامة الرئيس سراية كريون وعاد لقصر رئاسته ولدى وصوله اليه اوفد من قبله احد كبار معينيه حاملا لعدة وسامات فاخرة بعنوان النجلين السعيدين والوزيرين المفخمين والوزير المفوض كاتب الدولة العام وبقية رجال الحاشية وبعض اعيان المتوظفين بالدولة التونسية فبعنوان البرنس سيدي المنصف باي واخيه البرنس سيدي الهاشمي باي الصنف الاول من الشهاب الاسود وبعنوان كل من الوزير الاكبر سيدي يوسف جعيط ووزير القلم سيدي الطيب الجلولي وسام الكمندور من اللجيون دونور ومثله لامير اللواء السيد صالح بودرباله رئيس العسة المصونة وبعنوان الوزير المفوض مسيو روا كاتب الدولة العام الكمندور الاكبر من وسام الزراعة وبعنوان الامير الاي السيد رشيد زكريا والقائمقام السيد احمد قاره الصنف الرابع من اللجيون دونور وبعنوان الامير الاي السيد مصطفى دنقزلي شيخ المدينة وسام الصنف الثاني من الشهاب الاسود وبالصنف الثالث منه

لصاحب هذه الرحلة وللسيد علي بن مصطفى بصفنا من رؤساء الاقسام الكبرى بالدولة التونسية وبمثل ذلك لنخبة من المعينين وبغير ذلك من الاوسمة والنياشين الفرنساوية لجملة من رجال المعية والحاشية السنية

وبعد ذلك ركب مولانا قاطرة سريعة بصحبة جناب الوزير المقيم وركب بقاطرة اخرى بعض رجال حاشيته وسار موكبه نحو قصر مجلس السينات ثم قصر مجلس الامة لزيارة كل من رئيس المجلسين كما توجه بعد ذلك للوزارة الخارجية لزيارة جناب رئيس الوزارة مسيو بوانكاري ومن هنالك عاد موكبه لسراية كريون ولدى وصوله وفد على سموه لرد الزيارة كل من اولئك الاعيان الثلاث الذين هم بعد رئيس الجمهورية اكبر اهل الحل والعقد على الترتيب المذكور بسلسلة المراتب في نظام الدولة الفرنساوية

وبعد ان استقر سموه قليلا بنادي وزرائه خرج بملابسه الرسمية مصحوبا بانجاله ووزرائه والمقيم العام والكاتب العام ورجال الحاشية قاصداقصر الرئاسة الجمهورية حيث اقام فخامة مسيو فليار مادبة اكرام لسموه وكان دخول موكبه لساحة القصر على الساعة السابعة فادى له العساكر مراسم التحية وترنمت الموسيقى بالسلام الملوكي التونسي ثم بالنشيد الوطني الفرنساوي واذاك تقدم الوزير مسيو مولار وباش كاتب الرئاسة ورجال المعية الرئيسية نحو الذات الملوكية العلية ودخلوا بسموها القصر حيث تلقى فخامة الرئيس حضرتها العلية مرحبا ومحتفلا بقدوم مقامها السامي

وريثما استقر بالحاضرين المقام دخلوا لقاعة الطعام وكانت المائدة آية في التنميق والترصيع فجلس فخامة الرئيس وجلس امامه قرينة فخامته وجلس ليمين مجادتها سمو الحضرة العلية

اما المعزمون لهذه المادبة الفاخرة فنخص منهم بالذكر

البرنس سيدي المنصف باي اكبر انجال الحضرة العلية

اخوه البرنس سيدي الهاشمي باي

جناب مسيو دوبوست رئيس مجلس الشيوخ

جناب مسيو ديشانيل رئيس مجلس الامة

جناب مسيو بوانكاري رئيس الوزراء ووزير الخارجية (رئيس الجمهورية الحالي)

جناب مسيو بريان صاحب الطابع ووزير العدلية

جناب مسيو ستيق وزير الداخلية والاديان

جناب مسيو دلكاسي وزير البحرية

جناب مسيو ميلران وزير الحربية

جناب مسيو بورجوا وزير العمل والاحتياط الاجتماعي

جناب مسيو دافيد وزير التجارة والصنايع

جناب مسيو كيسطو وزير المعارف والفنون المستظرفة

جناب مسيو دوبوي وزير الاشغال العمومية والبوسطة والتلغراف والتلفون

جناب مسيو كلوتز وزير المالية

جناب مسيو بامس وزير الفلاحة

جناب مسيو لوبران وزير المستعمرات

جناب مسيو موريل الكاهية الوزيري بالداخلية

جناب مسيو بيزنار الكاهية الوزيري بالمالية

جناب مسيو شومي الكاهية الوزيري بالبوسطة والتلغراف

جناب مسيو بيشون وزير الخارجية والمقيم العام سابقا بتونس

جناب مسيو الابتيت الوزير المقيم العام

جناب سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر

جناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم

جناب الجنرال فلورنتان وكيل نيشان اللجيون دونور

جناب مسيو دولاني والي مقاطعة باريس

جناب مسيو ليبين قائد البوليس

جناب مسيو كوتي مدير الامور التونسية بالوزارة الخارجية

جناب مسيو غالي رئيس المجلس البلدي بباريس

جناب الجنرال منوري حاكم باريس

امير اللواء السيد صالح بودرباله رئيس العسة المصونة

الامير الاي السيد مصطفى دنقزلي شيخ المدينة

الامير الاي السيد رشيد زكريا كاهية رئيس العسة المصونة

القايمقام السيد احمد قاره معين الحضرة العلية

الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية

فكان جمله من جلس بتلك المائدة نحو المائة نفس منهم زيادة على الاعيان المذكورين نخبة من الحكام والقضاة وقواد الجيوش والعلماء

وهاك برنامج الاطعمة التي دارت على الحاضرين

شوربة ربيعية

كريمة زبرجدية

بطيخ اسبانيولي مثلج

حوت فضي

خضر حصادية

فراخ بط

سرطان الفجر

حلو وسط

دجاج الهند بالترفاس

كبود الطير

سلاطة

جلبانة فرنساوية

فقاع مقلي بالزبد

جلاطو قلب المعمرة

حلاويات شتى

وفي خلال العشاء كانت الموسيقى العسكرية تترنم بالالحان الشجية في بستان القصر واليك بيان المرشات التي تلذذت بها اسماع الآكلين اثناء العشاء

الخطوة الجهادية

نغمة الافتتاح

الغرب والشرق

اللطيفتان الاثنتان

الصحراء

سلفيا

الغوغاء الخمرية

وفي ختام الطعام وقف فخامة رئيس الجمهورية واستوى كافة الحاضرين وقوفا والقى فخامته الخطاب العظيم الاتي

اني لسعيد بان احيي في باريس ملك بلاد تجمعها بفرنسا منذ اكثر من ثلاثين سنة روابط تزداد كل يوم احكاما بفضل الثقة والاعزاز المتبادلين والحماية المحكمة المتكفلة بتسديد كل المصالح هذا وان القبول الذي لاقته حضرتكم العلية في عاصمتنا قد بين لها حقيقة الشعور الذي يخالج فواد الامة الفرانساوية نحو المملكة التونسية كما ان الدولة الجمهورية السالكة في مشروعها مسلك الترقي بالمسلمين في افريقيا الشمالية تعلم انه يحق لها الاعتماد على مساعدة سموكم مساعدة اخلاص وتبصر

اما انا فقد بقي بذهني من رحلتي في العام الفارط ذكر حي لما شاهدت من النتايج العظيمة التي هي ثمرة المشاركة في العمل بطريقة استوجبت ذلك الاعجاب الباهر الذي حصل بفضل الترقي السريع بالمملكة التونسية حيث وجدت اقواما اثروا على فوادي بمظاهر التعلق والامتنان الذي

برهنوا عليه وكيف يمكن لنا ان نتساهم ام كيف يمكن لدولتنا ان لا يداخلها التاثر عند ما نشاهد ابناء تونس يقاتلون مقاتلة الشجعان تحت اعلام امتنا هذه الساعة في سبيل فرنسا والمدنية وفي الختام ارفع كاسي شاربا على ذكر حضرتكم العلية وعلى سعادة المملكة التونسية

واذاك ترنمت الموسيقى بالسلام الملوكي التونسي

ثم اجابته الحضرة الشامخة الملكية بخطاب عظيم نصه .

ان القبول الذي لاقيته بعاصمة فرنسا والعبارات التي خاطبتني بها فخامتكم قد ايدت عندي شواهد الاعجاب والامتنان التي لا زالت تخالج فوادي نحو امتكم الكريمة هذا وقد كنت لحد الان لا اعرف من فرنسا إلّا قوة اسلحتها ومنتهى ذكائها في سبيل الرقي والحضارة فلذلك لا يسعني اليوم إلّا الثناء العاطر على حسن طقسها الجاذب وجمال هياكلها وابنيتها البديعة ولطف سكانها عند قبول الضيوف كما علمت الان حق العلم المكانة الرسيخة التي يحق لفرنسا ان تظهر بها امام العالم لجمعها بين هذا اللطف ومثل تلك القوة العظيمة وقد تحققت بنفسي سعة كرمها واحقق لفخامتكم ان رعايا دولتي يعلمون عناية فرنسا التي اقامت لهم ادلتها من عهد صعودي على كرسي الملك الحسيني بتوسيع نطاق التعليم ومشروعات الاعانة والاحتياط فكل ذلك مما استمال قلوبهم ووثق ارتباطهم بدولة الحماية ومع التصريح بما لي من صدق امانتهم والوثوق بها فاني سعيد بان اوكد لفخامتكم ان شعائري الذاتية ستكون لدى فخامتكم اعظم كفيل

باخلاصهم وفي الختام ادعو من صميم الفواد ببقاء فخامة رئيس الجمهورية وبسعادة فرنسا

واذاك ترنمت الموسيقى بالنشيد الوطني الفرنساوي

واعقب هذا العشاء الملوكي سهرية انس ببساتين قصر الرئاسة دعى اليها فخامة الرئيس جما غفيرا من الاعيان ومن نواب الامة ورجال العدلية ومشيخة العلوم واكابر الضباط وقواد الجيش وكان سمو الحضرة الملكية اذاك على غاية الانبساط وطلعته محل الانظار والاعجاب من عموم الحاضرين وكانت بساتين القصر آية في الزينة والشعشعة حلت اثناءها آية الكهربائية محل آية الشمس النهارية فكانت اغصان الاشجار تتمايل بعناقيد الفوانيس النورية والمياه دافقة تتخللها الاضواء الملونة والاشعة الساطعة الراقية الى عنان السماء بما يخيل للناظر انه في المنام وفي تلك الاثناء رافق مولانا العلي قرينة الرئيس الجليلة مدام فليار لمائدة السماط التي مدت هنالك حسب العادة المالوفة وكانت بدعا في التنسيق والتنميق ثم بارح سموه السراية الرئيسية مودعا باجمل عبارات التحية من لسان فخامة الرئيس الموقر الذي كان موجها كل التفاته وعنايته نحو ضيفه السامي الملوكي حتى انه كان كلما عزم سموه على الاياب إلّا واقترح عليه فخامته البقاء برهة اخرى في ضيافته وقرينته الانيسة الى ان كانت الساعة الحادية عشر وفيها تحرك ركاب الحضرة العلية قاصدا سراية كريون

اما سلوك الحضرة العلية بباريس فهو كما قال الشاعر الحكيم

ولله مني جانب لا اضيعه   وللهو مني والخلاعة جانب

ذلك ان سموه ابقاه الله ينهض باكرا من فراشه فيستفتح يومه

باداء ما عليه من الفروض تلقاء ربه ثم بعد ان يقرا ما تيسر من القرءان الكريم يستحضر وزراءه واهل حاشيته فيتصفح الرسايل الواردة على سموه من جهات فرانسا ومن العمالة التونسية وقد راينا ضمن تلك الرسائل تلغرافا من اهل تونس في تهنئة سموه بسلامة الوصول لباريس ارسلته بلسانهم ادارة مشيخة المدينة ونصه بحروفه

« ان شيخ المدينة وكافة الاهالي عموما والاعيان خصوصا يهنئون الحضرة العلية بالوصول الى مدينة باريس بعافية وسلام »

واجابت عنه الحضرة العلية بلسان جناب وزيرها الا كبر بتلغراف نصه

« تشكر الحضرة العلية الاحساسات التي اعربتم عنها في تلغرافكم وتكلفكم بتبليغ رضاءها وثناءها للخاصة والكافة »

ثم بعد ان ينظر سموه في برنامج اعمال ذلك اليوم ويتجاذب اعنة الحديث مع المقربين لديه يختلي بوزرائه فيصدر لهم اوامره ونواهيه ثم ياذن بقبول الوافدين على سرايته للتشرف باداء زيارة الاحترام والاكرام لسموه وقد بلغ عدد هؤلاء الاعيان مدا المدة التي اقامها الجناب العالي بسراية كريون الى جملة من الذوات كادت ان لا تحصى نخص منهم بالذكر جناب مسيو بيشون وزير الخارجية والمقيم العام سابقا بتونس وكذلك سلفه جناب السفير مسيو ملي وجناب مسيو كوشري وجناب مسيو بوشي وجناب مسيو موجو من الوزراء السابقين وجناب السنيور تيتوني سفير ايطاليا بباريس وقرينته وجناب مسيو فابري وجناب مسيو بيرج الرئيسان سابقا للمحكمة الفرنساوية بتونس وجناب الوزير مسيو كيو كاهية الكاتب العام سابقا بتونس

وكما تشرف بمواجهة سموه لتقديم فروض الولاء والطاعة نخبة من التونسيين المقيمين بباريس سواء بقصد السياحة او الاتجار او التعلم وكان المقام الملوكي في خلال تلك المدة محل التعظيم والاحترام محفوفا من الجميع بمظاهر التجلة والاكرام وكان اهل حاشيته يتقلبون في رغد من العيش تحت ظل كهفه المنيع ولاجلهم اتخذت الحكومة الفرنساوية من الاسباب والاحتياط والمرافق ما جعل سكناهم وعيشهم بباريس كمقامهم بديارهم بالحاضرة التونسية بحيث انهم لم يتكلفوا قط لتغيير عوائدهم كما لم يضطروا ابدا للسير على غير سيرتهم المعتادة بتونس والحق يقال ان امة الفرنسيس من اكثر الامم الاروباوية تسامحا وتجاوزا ناهيك ان عظيمهم الذي هو رئيس الجمهورية وما ادراك ما هو تحاشا عن الدخول لمقام سيدنا ابي زمعة البلوي يوم زيارته لمدينة القيروان في ربيع سنة ١٣٢٩ وكان ذلك منه اتقاء من جرح عواطف عامة المسلمين وعلى هذا القياس نرى ان وزير فرنسا وهو صاحب الامر والنهي بدولة الحماية يقف عند حد درج جامع الزيتونة بتونس يوم المولد الشريف عند مصاحبته للحضرة العلية من سراية المملكة للجامع كما لا يخفى ذلك على اصحاب الالمعية من خاصة المسلمين بل وحتى عامتهم لانك لا تجد تونسيا جليلا او حقيرا عالما او جاهلا يتهم الفرنساويين بالتهجم على شعائر الدين الاسلامي او مصادرة الامة المحمية في عوائدها واخلاقها على ان من هذه العوائد وتلك الاخلاق ما يحمر له وجه العاقل خجلا وحياء ولله در الشاعر

وللناس عادات وقد الفوا بها لها سنن يرعونها وفروض
فمن لم يعاشرهم على العرف بينهم فذاك ثقيل عندهم وبغيض

اليوم الثاني

من زيارة الحضرة العلية لباريس

(يوم السبت الموافق ١٣ يوليه ١٩١٢)

اقتضى برنامج الاعمال في هـذا اليوم ان يفتتح المقـام الملوكي استطلاعاته ومشاهداته للمعاهد والمعالم الباريسية بزيارة دار السكة ثم بستان النباتات ولذلك امر حاشيته بان يقع التاهب لذلك في حدود الساعة العاشرة صباحا وفيهـا لبس سموه لبسا اعتياديا اي بدون كسبات وخرج مصحوبا بجناب الوزير المقيم وجناب الوزير المفوض كاتب الدولة العـام وسمو نجليه السعيدين وجناب وزيريه الفخيمين واهل حاشيته السنية وسار موكبه قاصدا دار السكة الفرنساوية فوصلها على الساعة العاشرة ونصف وكان في استقبـال سموه هنالك جناب مسيو بينار الكاهية الوزيري للمالية وجناب مسيو مارتان مدير دار السكة ورجال ادارته وبعد ان ادوا لسموه مراسم السلام والاحترام تقدم سموه لزيارة معامل الضرب فباشر العملة تحت انظار سموه ضرب قطـع ذهبية من السكة التونسية ثـم ضربوا ايقونات (ميدالية) ذهبية تذكارا لزيارته الشريفة وكان مراد جنـاب الكاهية الوزيري المذكور ان تكون تلك الميدالية مطرزة بذات سموه الا انه لما كانت الشريعة الاسلامية لا تجوز ذلك اكتفى في احد وجهيها برسم الاسم الملوكي الشريف بعبارة هذا نصها وكيفية نقشها

سمو

محمد الناصر

بـاي تونس

زار

دار السكة

في ١١ يوليه

١٩١٢

وفي الوجه الثاني نقش صورة سراية دار السكة تعلوها عبارة لاطينية هذا نصها « قد شيد هذا القصر سنة ١٧٧٠ بقصد سبك وضرب نقود النحاس والفضة والذهب »

ثم ان سموه اخذ يظهر عنايته عند سماع الافادات المستفيضة التي كان يلقيها بين يديه جناب مدير السكة وهي افادات ناطقة بما لفرنسا من الثروة العظيمة ناهيك انها ضربت في بحر الستين سنة الاخيرة مـا جملته خمسة عشر الف مليون فرنك زيادة عما تكفلت بضربه من نقود الذهب والفضة برسم مستعمراتها والبلاد الخاضعة للحماية الفرنساوية ولدينا فهرس في ذلك سلمه مدير دار السكة للحضرة العـلية يحتوي على تـاريخ هذا المعهد وعلى بيان قوته وعدته ومعامل النقش والضرب من اقدم عهود تاريخه لزماننا هذا وقد وقفت فيه على ان جملة ما ضربته الدولة الفرنساوية من المسكوكات بعنوان تونس اي بعد الحماية يناهز الخمسين مليونا من الفرنكات

ثم شاهد سموه كيفية ذوبان المعدن الذهبي فـكانت صفايح الذهب تتحول تحت انظاره من حالة جماد الى مايع سيـال تغشى بهجته الابصار

ثم يقع في الحال جمده وضربه نقودا ذهبية ولله در الحريري حيث قال

اكرم به اصفر راقت صفرته جواب آفاق ترامت سفرته

الى ان قال

وحق مولى ابدعته فطرته لولا التقى لقلت جلت قدرته

وبعد ذلك زار سموه قسم المسكوكات العمومية لجميع الملل والنحل وشاهد فيه من غريب المسكوكات وعجيب النقود ما يقضي بالعبرة ناهيك ان به سكك الرومان والكلدان والاكاسرة والمناذرة والفراعنة وخلفاء الاسلام من اهل الصدر الاول كسكة عمر بن عبد العزيز من ملوك بني اميه والحجاج بن يوسف عاملهم على العراق وبني حفص سلاطين تونس الخ

ثم انه بعد الفراغ من زيارة دار السكة توجه موكبه لزيارة بستان النباتات حيث المتحف الحيواني وهنالك تلقاه جناب مسيو بيرار الكاهية الوزيري للفنون المستظرفة وجناب مسيو بيري مدير البستان والمتحف واساتذة حياة الحيوان وعندئذ القى مسيو بيرار المذكور خطابا نفيسا في الترحيب بسموه وهذا نصه

يامولاي المعظم

ان اساتذة هذا المتحف ومدرسة حياة الحيوان والنبات يرتجون ان تكون زيارة حضرتكم العلية لهذا المعهد مشمولة بالافادة لان وجهتنا منصرفة نحو جمع واستطلاع حال كل حيوان دب على وجه الارض فضلا عما لنا من العناية ببحث المخلوقات الحيوانية والنباتية الموجودة بالمملكة التونسية وخصوصا بعض النتايج البحرية كالنشاف والمرجان وان لنا الامل الوطيد بان هذه الزيارة يبقى منها بذهن سموكم ذكرى لطيفة تكون

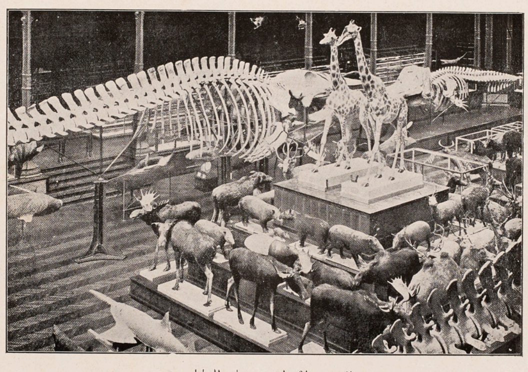
فاتحة لعلايق مستمرة بين دولة حضرتكم وهذه الدار التي من اهم وظائفها الاعانة على توسيع نطاق الثروة البشرية ببحثها لكل ما تولده الارض من النتايج التي فيها منفعة لبني الانسان

وقد اجابته الحضرة العلية متشكرة له عن تلك العبارات التي تطوي معاني لطيفة لان الخطيب اشار بعد في كلامه لكون فرنسا اخت كبيرة لتونس التي هي لها بمنزلة اخت صغيرة

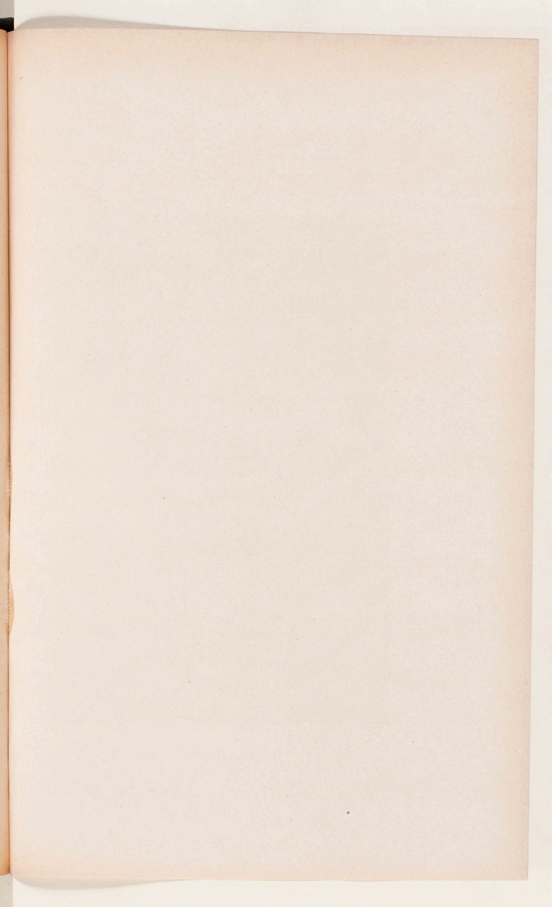
ثم زار حضرته رياضات ذلك البستان الذي هو عبارة عن محشر نباتي وحيواني يغني عنه قولنا ان صابه احتوى على ما توفق لجمعه الشيخ القزويني بكتاب عجائب المخلوقات والشيخ الدميري بكتاب حياة الحيوان ومما استلفت انظار سموه في هذا البستان متحف الحيوانات البحرية التي كانت موجودة قبل الطوفان اذ شاهد سموه بمراى العين جثة حوت عظيم في طول نحو الستين ذراعا وهو نوع من حيتان البحر انقطع نسله من منذ اكثر من خمسة ءالاف عام فاخذ سموه يستكشف امره ويستعلم عن احواله معيرا سمعه للافادات الغريبة التي كان يلقيها مدير المتحف بخصوص ذلك الخلق العظيم

وفي كل شيء له ءاية تدل على انه الواحد

ثم ختم استطلاعاته بمشاهدة مجموعة من الاجساد البشرية المصبرة من عهد فراعنة مصر من النوع المعروف عند العلماء باسم « موميا » ثم بزيارة قسم المعادن والاحجار ثم بمشاهدة قسم الحيوانات الضارية



المتحف الحيواني ببستان النباتات



والمفترسة وقسم الافاعي والحيوانات المــاردة وانهى زيارته بسماع ابحاث تتعلق بتشريح الاجساد الحيوانية مما زاد في اعجاب واعتبار سموه وخرج من المتحف الحيواني حيث صوب الفطغرافيون مرءاة تصويرهم نحو ذات سموه فاختطفوا منظر مـوكبه البهيج كلمح البرق ومن ثـم تحرك ركابه عائدا لسراية كريون حيث لبس كسوته الرسمية وركب وحاشيته عند الزوال قاصدا الوزارة الحربية لحضور مادبة الاكرام التي اعدها جناب مسيو ميلران وزير الحرب اكراما لسموه الملوكي فلما وصل سموه لسراية الوزارة الحربية تلقـاه ببابها جناب الوزير الموما اليه وجناب رئيس ديوان التشريفات وبقية الوزراء الحاضرين هنالك ثم دخل سموه للسراية ومنها لبيت الطعام

وهذه المادبة كانت وحيدة في بابها لان جناب مسيو ميلران وزير الحربية بالغ في الاعتنـاء بشانها قياما بواجب الحظوة والحفـاوة بالضيف العظيم والملك الكريم وقد دعى اليها زيادة على من التحق بالحضرة الملكية من الذوات كلا من وزراء الدولة الجمهورية والجنرالات قواد الجيوش الوافدين على باريس للمشاركة في الاستعراضات العسكرية يوم ١٤ يوليه وقواد الاساطيل واركان الحرب بفرنسا والجنرال جيلنسكي رئيس عموم اركان الحرب بالدولة الروسية والاميرال البرنس ليفن رئيس عمـوم اركان البحر بالدولة الروسية ورئيس مجلس الشيوخ والنواب وغيرهم من ارباب المظاهر والحيثيات واليك قائمة الاطعمة التي تناولها سموه والحاضرون في هذه المادبة الحافلة

بطيخ مثلج

عظم مركوض بانابيب السكوم

سمك الارشدوك

لحم طير

معكرونه بالزبد

شواء وخص

دجاج حار بارد

سلاطة رومانية

فاصولية فرنساوية

جلاطو على اسلوب ماري تريز

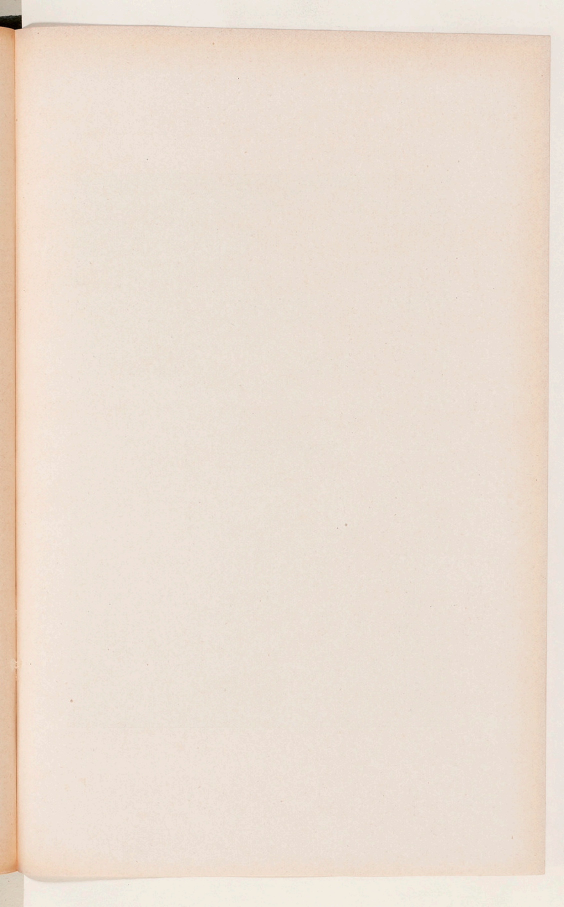
فواكه شتى

وكان سموه في حال دخوله وخروجه من المادبة آخذا بساعد قرينة الوزير على ما هو المالوف في مثل هذه المناسبات اللطيفة

وفي اثناء الطعام كانت الموسيقى العسكرية تترنم بالاناشيد الشهية المحركة لقدود البان تحت ورقات الاغصان فلعبت اي الموسيقى سبعة ادوار بدايتها مارشة المصابيح وخاتمتها المارشة المعروفة بموسم الصائد وقد وقفت على عين الاصل الذي ترجمت عنه قائمة الاطعمة المذكورة فاذا هو عبارة عن كراس كتب على ورق محلى اعلاه بالحاشية ذات الالوان المثلثة وبالطغراء الفرنساوية يترجم عن فخامة ومهابة لايقة بمقام الحرية الفرنساوية



خروج الموكب الملوكي من المتحف الحيواني ببستان النباتات



هذا وبعد ختام الفطور فارق سموه سراية الحربية مودعا من جناب وزيرها باجمل عبارات التجلة والاكرام فسار موكبه الميمون قاصدا سراية كريون حيث اختلى للاستراحة بقية قيلولة ذلك اليوم ثم في نحو الساعة الرابعة ونصف قدم على السراية فخامة رئيس الجمهورية فركب والحضرة العلية والوزراء ورجال الدولتين وقصد موكبهما سراية المجلس البلدي لاداء الزيارة المسنونة للمجلس المذكور وقبل ذلك وزعت على المتوظفين والاعيان ورقة الاستدعاء لحضور حفلة تلك الزيارة وهذا نص عبارة ذلك الاستدعاء

ايها السيد

ان مدينة باريس ستتلقى بدار المجلس البلدي يوم السبت ثالث عشر يوليه على الساعة الخامسة زيارة فخامة رئيس الجمهورية وحضرة المعظم سيدي محمد الناصر باشا باي صاحب المملكة التونسية فالمجلس البلدي يلتمس منكم ان تشرفوه بالحضور في هذه الحفلة التي ستكون ذات صبغة رسمية مطلقة

وتفضلوا ايها السيد بقبول تاكيدات اعتبارنا العالي

رئيس المجلس البلدي	والي السين
غالي	دولاني

فلما وصل الموكب الرئيسي الملوكي لسراية المجلس كان رئيسه ووالي مقاطعة السين ومحافظ باريس واعضاء الادارة البلدية في انتظاره بالباب وذاك صدحت الموسيقى بالسلام الملوكي والنشيد الفرنساوي وتقدم الموكب نحو بهو السراية ثم حل بقاعة « القديس يوحنا » وفيها وقع تعريف

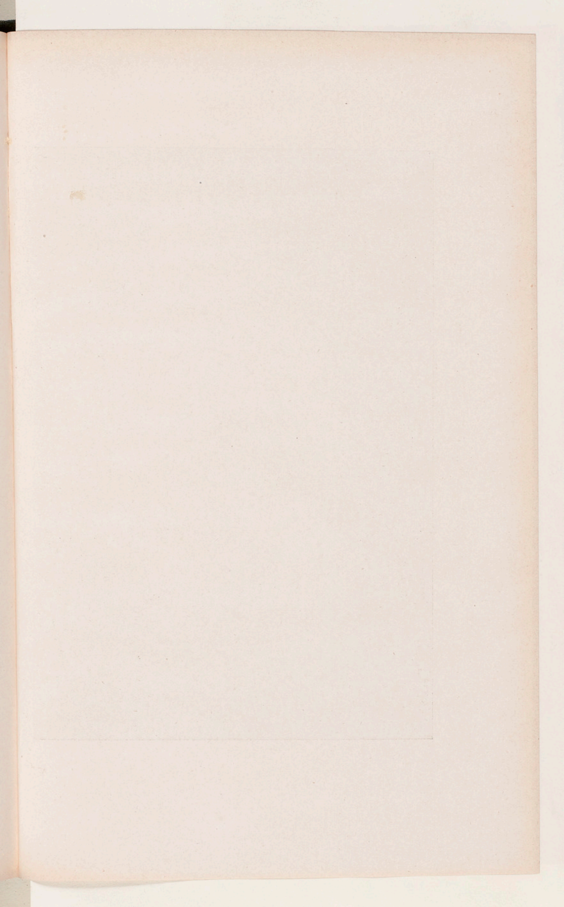
سمو الحضرة العلية بكافة الذوات الحاضرين ثم دخل الموكب للصحن الكبير وكان آية في الزينة والتنميق والترصيع بجذوع النخيل وعرايش النباتات تخفق على جدرانه الرايات والبنود فوق رؤس اسمطة العساكر البلدية وكانوا متجملين بملابس الزينة والاعياد ومن هنالك ارتقى فخامته العالي وسموه مدرج الشرف ودخل لغرفة الآداب فغرفة العلوم فغرفة الفنون الجميلة حيث جلسا فوق دستين توامين اقيما بقصد جنابهما واذاك تقدم جناب مسيو غالي رئيس المجلس البلدي والقى الخطاب البديع الاتي

يامولاي المعظم

ان مدينة باريس والجيوش الفرنساوية سيحتفلون غدا بمحضر فخامة رئيس الجمهورية بالعيد الجنسي الفرنساوي وان باريس لسعيدة بالسلام على الضيف الكريم الذي شرفها بالمشاركة في افراحها هذا وفي هاته الساعة التي تخفق فيها رايتنا على ضفتي البحر المتوسط قد اصبحت تونس اختا لنا لان مقاليد شئونها العزيزة عليكم صارت مرتبطة بنفس مقاليد شئون فرنسا كيف لا وان شعرائنا تغنوا بعجائب وجمال حاضرتكم ذات الصوامع المشرقة البياض والقباب الشاهقة العلو والمرجو ان مدينتكم الزاهرة والمحبوبة والمحمية بفرنسا تزداد دائما ثروة وعمرانا وحسنا وجمالا وان مدينة باريس يامولاي لما تصدع فرحا بكم تعرب بذلك ايضا عن نفس الشعور الذي بقلب سموكم يعني حب الخير والسعادة للعمالة التونسية ولاجله سنحتفظ هنا على ذكر هذه الزيارة التي نفتخر بها ونعتبرها كعربون ثمين للمودة الراسخة



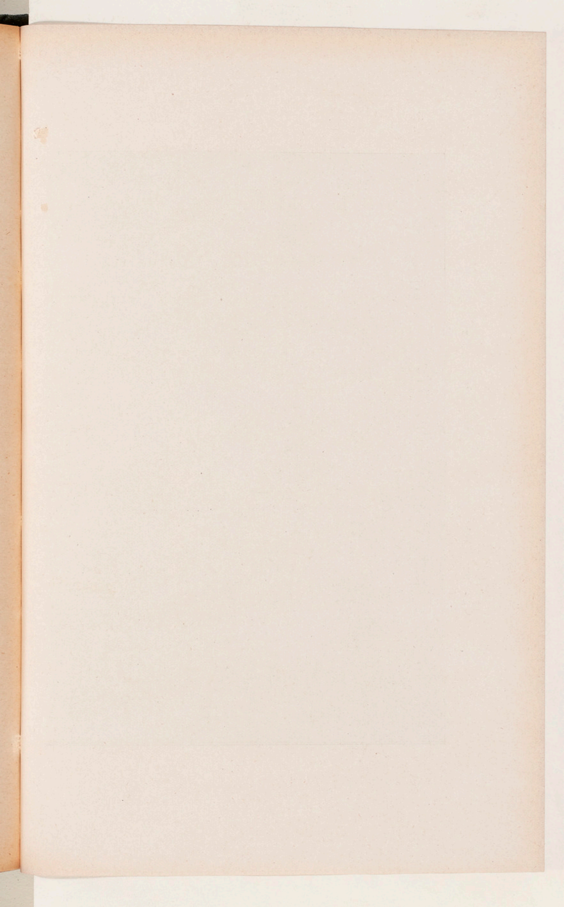
الموكب الرئيسي الملوكي عند زيارة المجلس البلدي بباريس





قدوم الحضره العليـة لزيارة المجلس البلدي بباريس

92



المترجمة صراحا عن روابط الالفة التي اصبحت باحساس القلب وحكم العقل غير قابلة للانفصام بعد ابدا

ولما اتم جناب رئيس المجلس البلدي خطابه نطق على اثره جناب والي مقاطعة السين بالخطاب الاتي

يامولاي المعظم

لتكن حضرتكم العلية على يقين من انها ستجد بهذه الدار البلدية صدى صادقا من اصوات الشعور الذي يختلج بجوارح باريس نحو ملك بلاد تجمعها ببلادنا روابط وداد قديم مسنون ففي الزمن الماضي كتب الداي اسطا مراد لدولة فرنسا عبارة جاء ضمنها قوله « اني تعلمت حب الفرنساويين من زمن بعيد ولا شيء اشهى لقلبي من معاشرتهم على بساط السلام » وفي الاعصر التالية نال قنصلنا شرف الامتياز بحضور احتفالات الدولة الحسينية كلها وشاركت الجالية الفرنساوية بتونس في الافراح المقامة بمناسبة اعراس اسلافكم الاكرمين كنفس مشاركتها في افراح المواسم الفرنساوية عينها واليوم صارت فرانسا وتونس ذات مصالح واحدة لذلك كانت زيارة فخامتكم لنا في هذا اليوم الذي سيعقبه غدا عيد ١٤ يوليه جديرة بعظيم الامتنان منا اليكم لانها ادخلت علينا فرحا وبشرتنا بفال مبارك والمرجو من حضرتكم العلية ان تتفضل بقبول ادعيتنا بالسعادة لسموكم ولبيتكم وللمملكة التونسية

وقد اجابت الحضرة العلية كلا من الخطيبين بعبارات بديعة الحسن اخذت بمجامع قلوب الحاضرين ونصها

يا جناب الرئيس

يا جناب الوالي

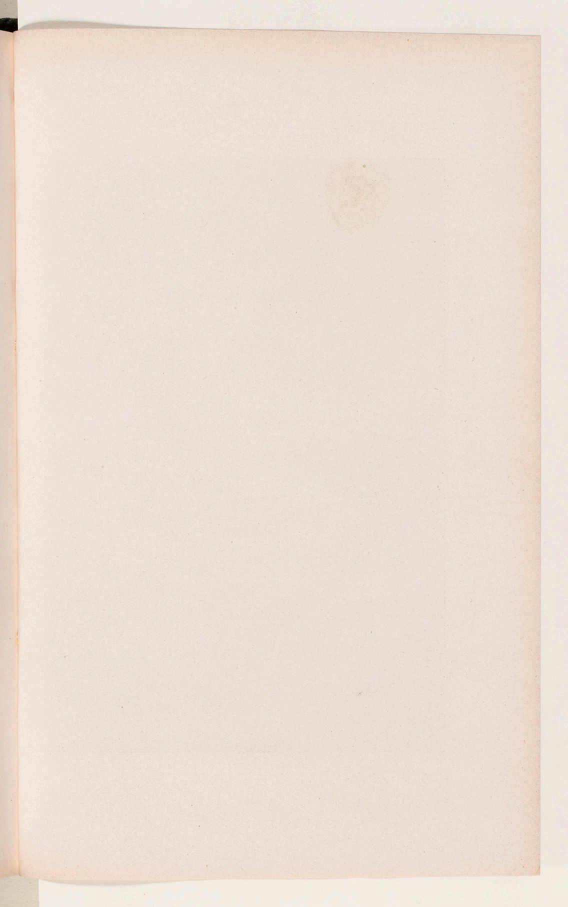
قد كنت في شوق كبير لرؤية مدينة باريس التي انتشرت انوارها على العالم اجمع حتى اصبحت سمعتها مما يزيد في صيت ونفوذ فرنسا وسلطتها كيف لا ومن شيمها اكرام الضيف مع حسن الاخلاق حتى صارت تستملك لب كل من زارها وتجعله حبيبا مخلصا نحو بلادكم العظيمة اما اذا كان لضيوف باريس علايق قديمة رابطة لهم بفرنسا مبنية على تبادل المنفعة وكانوا ممن يعترف لها بالجميل فقبول باريس يصير والحالة ما ذكر معربا عن شواهد الحسن الموثق لتلك العلايق الى ما شاء الله

لا جرم ان تشكراتي تتوجه باديء بدء لفخامة رئيس الجمهورية عن استدعائي لهذه الحفلة التي مكنتني ورعيتي من الحصول على هذه الاحساسات التي افصحتم لنا عنها الآن

ثم ان فخامة الرئيس والحضرة العلية واهل الموكب دخلوا لمائدة السماط فتناولوا شيئا من الحلاويات والمرطبات وقبل انفصال الموكب قدم رئيس المجلس لسموه « الدفتر الذهبي » فرسم حضرته بيده الكريمة امضاءه الشريف حذو امضاء الملوك وعظماء الرجال الذين زاروا المجلس تخليدا لذكرى زيارته للدار البلدية الباريسية حسب العادة المألوفة وبعد ذلك بارح الموكب دار المجلس البلدي مخفورا كما في المجيء بكوكبة من الخيالة فعاد سموه لسراية كريون مصحوبا بفخامة رئيس الجمهورية وريثما دخل سموه للسرايا عاد فخامة مسيو فليار لقصر الرئاسة الجمهورية

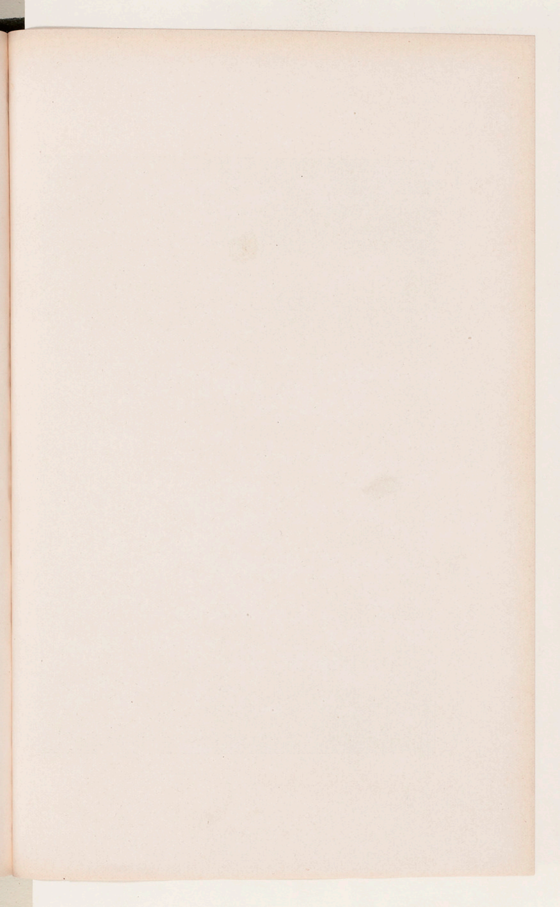


خروج وزراء الحضرة العلية وشيخ المدينة بتونس من زيارة المجلس البلدي





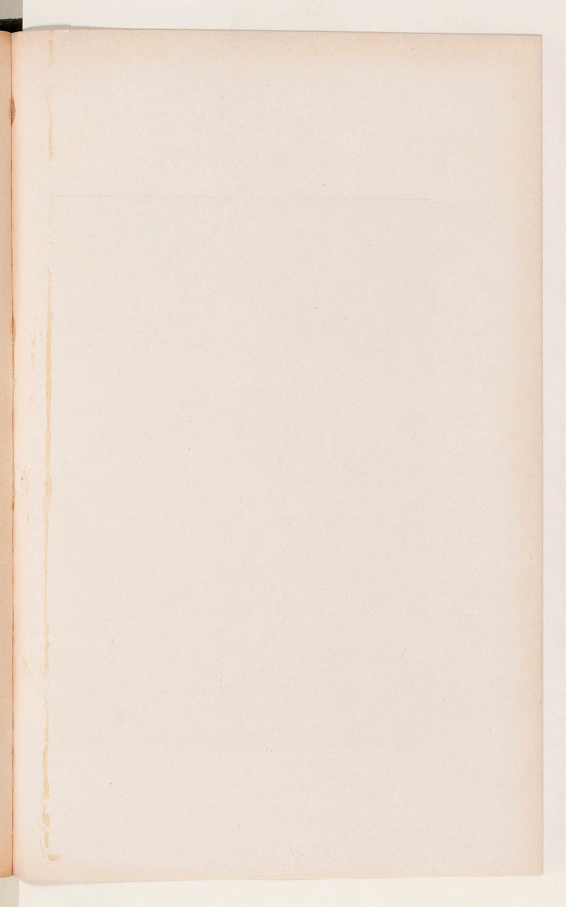
جناب الوزير مسيو روا الكاتب العام للعدلية وليساره جناب القنصل مسيو قوتي مدير الامور التونسية بالوزارة الخارجية
امام المجلس البلدي بباريس





رجوع الركاب الرئيسي الملوكي من زيارة المجلس البلدي

96



وعلى الساعة السابعة ونصف دخل سموه لمائدة الطعام بصحبة وزراءه والذوات الحاضرين فتناول العشاء الآتي بيانه

شوربة مجريطية جامدة

مداس ملوكية

قدة بقري اكل بلنياك

دجاج الهند مشوي

سلاطة تونسية

فاصولية فرنساوية

مقرقب شرقي

لذائذ باريسية

مقطف الفواكه

ثم بعد منادمة لطيفة في مسامرة معيته دخل سموه لبيت نعاسه في نحو الساعة العاشرة ونهض باكرا في صبيحة الغداة للتاهب لحضور حفلة ١٤ يوليه .

اليوم الثالث

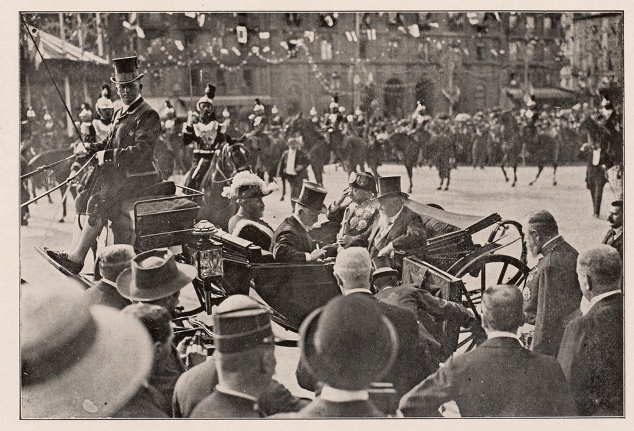
من زيارة الحضرة العلية لباريس

(يوم الاحد الموافق ١٤ يوليه ١٩١٢)

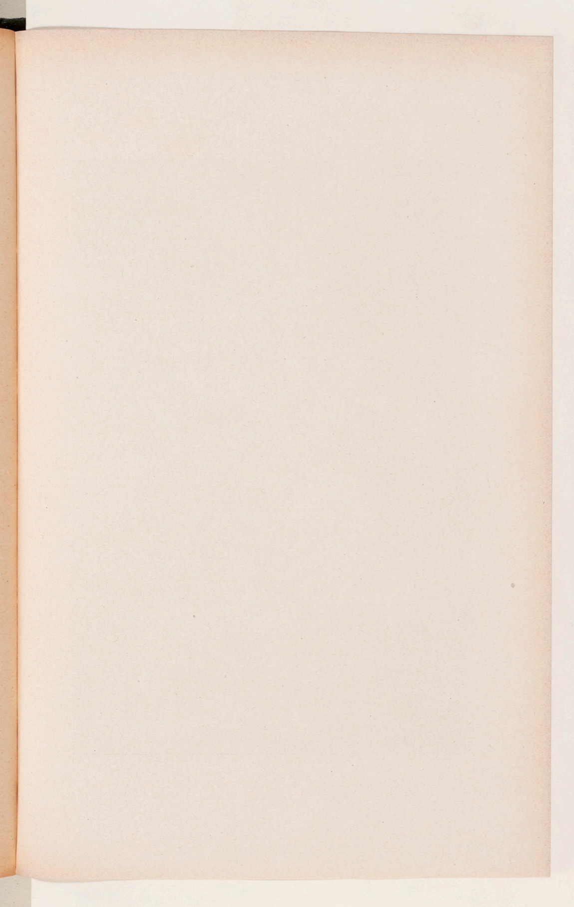
استفتح المولى الامير هذا النهار بالنظر في الرسايل الواردة على سموه ثم اصدر اوامره ونواهيه بالتاهب لاستقبال فخامة رئيس الجمهورية وريثما لبس سموه كسوة التشريفة الكبرى ولبس انجاله ووزراءه وحاشيته ملابس

الزينة والاعياد قدم فخامة الرئيس على سراية كريون مصحوبا بجناب وزير الحرب فاستقبله رجال المعية السنية وبعد ان جلس فخامته هنيئة في مجلس الحضرة العلية ركب فخامته وسموه العربة الرئيسية فجلس فخامته الى اليسار وجلس سموه ليمينه وجلس امامهما جناب وزير الحرب وجناب الوزير المقيم العام وركب بقية اهل الحاشيتين بقية العربات الرسمية ثم تحرك ركابهم قبيل الساعة الثامنة مصحوبا بالابهة والاجلال قاصدا ميدان « لونشان » لاستعراض حامية باريس بمناسبة عيد ١٤ يوليه وكان الموكب مخفورا بفرقة عظيمة من الخيالة يتقدمه باش سائس الاسطبل الرئيسي حسب النظام المالوف عند خروج رئيس الجمهورية مصاحبا بوجه رسمي لاحد الملوك الوافدين على باريس وكان مسيو فليار موشح الصدر بشريط الشرف الفرنساوي ومثله الحضرة العلية وكلاهما مطوق الرقبة بنيشان البيت الحسيني ولدى وصول الموكب لساحة الاستعراض قامت ضجة بلغت لعنان السماء لان المتفرجين هنالك كانوا نحو مائتي الف او يزيدون فضلا عن الاربعين الف من الجنود الساعين للمرور امام انظار الرئيس الفخيم والملك الكريم واذاك تقدم الموكب مارا على جبين الفرق العسكرية من كل الاسلحة على نغمات نشيد المرسلياز والسلام الملوكي الحسيني وعلى طنين المدافع وقعقعة السلاح الممثلة لمعاني السطوة والقوة الفرنساوية

ثم بعد ان استوفى فخامة الرئيس والمقام الملوكي المرور امام كل الصفوف عاد ركابهما مخفورا بضباط الدول الاجنبية معتمدي السفارات الحربيين وكان منظرهم بسبب تلون ازيائهم وتنوع لبوسهم يستهوي



الموكب الرويسي الملوكي متوجه لاستعراض الجيوش بميدان لونشان يوم ١٤ يوليه



الالباب ولما وصل الموكب لوسط الدائرة الواقعة امام تختوان الشرف نزل فخامة الرئيس والحضرة العلية الى الارض وتقدما نحو ضباط الاي العساكر الطيارين واذاك كان المقام مهيبا رهيبا والناس كانما على رؤوسهم الطير وعندئذ اخذ مسيو فليار راية هذا الالاي المحدث التاسيس وقبلها في طياتها ثم سلمها بيد الكلونيل قائد الالاي المذكور وخاطبه بما نصه

ايها الامير الاي

نسلم بيدكم نيابة عن حكومة الجمهورية راية الاي الطيارين الحربيين المحدث تاسيسه وان هذه الراية التي تنحني لديها احتراما رؤوس الشموخ الجنسي كما انحت من قبل لدى اخواتها الكبرى ستخفق بالجيش منادية بعبقرية فرنسا حالة كونها تذكر تلك الضحايا الموجعة يعني هلاك عدة من الضباط والعساكر الطيارين ذوي الشجاعة التي خلدت لهم الذكر الجميل واقامت الدليل على ما لعساكرنا من البسالة والتفاني في خدمة الوطن حتى لقد اصبحوا في كل يوم يغالبون الاخطار بجسارة وصبر زاحموا بهما اخوانهم الطيارين المدنيين الذين هم ايضا لسوء الحظ لم ينجوا من المصائب والاحزان

والمامول ان هذه الراية ستحقق الظن في مستقبل الايام بالجيش الذي نسلمها اليوم لامانته على رؤوس الاشهاد

ثم ان فخامة الرئيس استحضر الضباط المنعم عليهم بالنياشين وقلدهم بمحضر المقام الملوكي الاوسمة والرتب المحسن بها اليهم وبعد ذلك صعد فخامته وسموه لتختوان الشرف وجلسا بصدارة المقام يحفهما السفراء والوزراء واعضاء البرلمان وكان في جملة المعزومين للفرجة هنالك حيث

جلسوا بمقعد مخصوص المدام رنفاو وملكة مدغشقر المخلوعة وابناء الوزير المغربي السيد محمد المقري

واذاك امر وزير الحرب باستعراض الجيش فمر على انظار الحاضرين وكان عددهم اربعون الفا من العساكر البواسل فانسحبوا بما عهد فيهم من النظام والانسجام حتى انهم كانوا كالبنيان المرصوص وكان المتفرجون يصفقون لهم استحسانا وطربا سيما عند مرور تلامذة المدارس الحربية الذين هم آمال الامة ونخوتها في مستقبل الايام وفي تلك الاثناء كانت الطيارات الحربية تتماوج على صفحات الجو فوق ميدان الاستعراض وفي الختام قام فخامة الرئيس والحضرة العلية وقام الحاضرون اجلالا وتعظيما لقيامهما وانحنوا جميعا لديهما وقامت ضجة هتاف حتى كان القيامة قد قامت واذاك تقدم جنابهما العالي وركبا العربة الرئيسية وركب اثرهما رجال الحاشيتين وسار الموكب الرئيسي الملوكي مخفورا بالعساكر عائدا لسراية كريون فوصلها على الساعة العاشرة ونصف وبعد ان وادع فخامة الرئيس سمو الحضرة العلية عاد لقصر الايليزي وكتب في الحال خطابا لجناب وزير الحرب هذا نصه

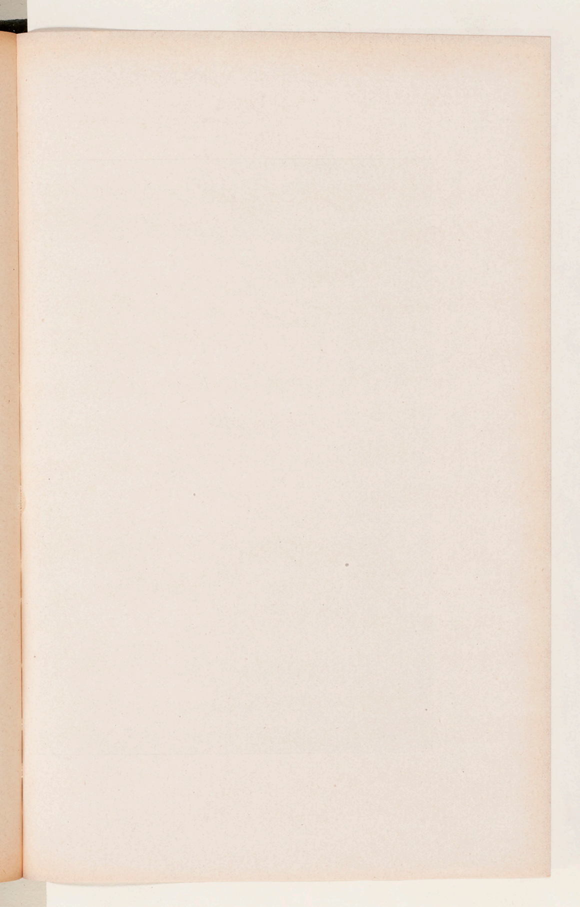
باريس في ١٤ يوليه ١٩١٢

وزيري العزيز

ان الجيوش التي استعرضتها مع سمو باي تونس الذي هو اليوم ضيف فرنسا الكريم قد زادت ابهة وشعشعة في الحفلة العسكرية التي اقيمت بمناسبة عيدنا الجنسي لان عساكرنا كانوا ذوي بهجة ونشاط وتمرين بديع وقد ظهر من فرق البحرية وعساكر الجبال والعجلاتيين ذوي النظام



البرنس سيدي المنصف باي واخوه البرنس سيدي الهاشمي باي متوجهان لحفلة استعراض الجيوش يوم ١٤ يوليه بباريس



الحديث ما سمح باعتبارهم في درجة واحـدة مع بقية جيوشنا ذوي القوة والباس الضاربين بمدينة باريس حتى ان البسالة والفخر كانتا باديتين على وجوههم وناطقتين بشعور قيامهم بالواجب احسن قيام لذلك نهدي لاولئك العساكر البواسل عبارات التهاني اصالة عن نفسي ونيابة عن الحكومة الجمهورية ونوصيهم بالتعلق والتفـاني في سبيل شرف العـلم الفرنساوي وسعادة الوطن شان النفوس العالية والقلوب الكريمة

وتحققوا يا وزيري العزيز فائق ودادي الامضاء ـ فليار

ثم ان فخامة الرئيس اقام بقصره عند زوال ذاك اليوم مادبة عظيمة اكراما لقـواد الجيوش الـذين حضروا الاستعراض استدعى لهـا الحضرة العلية ورجال حاشيتها والكثير من الاعيان نخص منهم بالذكر

البرنس سيدي المنصف باي

البرنس سيدي الهاشمي باي

الجنرال جيلنسكي قائد عموم اركان الحرب بالروسية

الجنرال جيشكفيتش من قواد الجيش الروسي

الاميرال برنس ليفن قائد عموم اركان البحرية بالروسيا

جناب مسيو بونكاري رئيس الوزراء بفرنسا (رئيس الجمهورية الآن)

جناب مسيو ميلران وزير الحرب

جناب مسيو دلكاسي وزير البحر

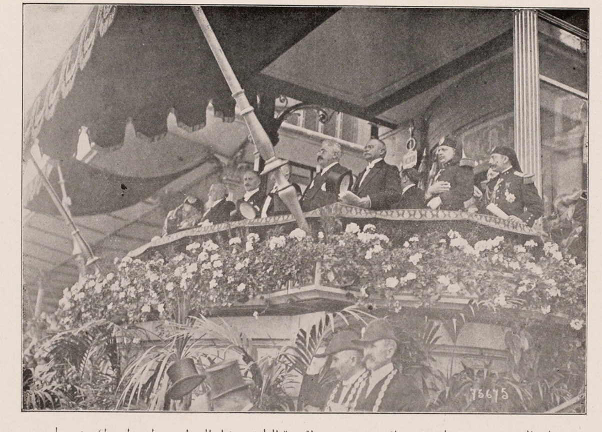
الجنرال فلورنتان امين نيشان اللجيون دونور

الجنرال جوفر قائد اركان الحرب بفرنسا

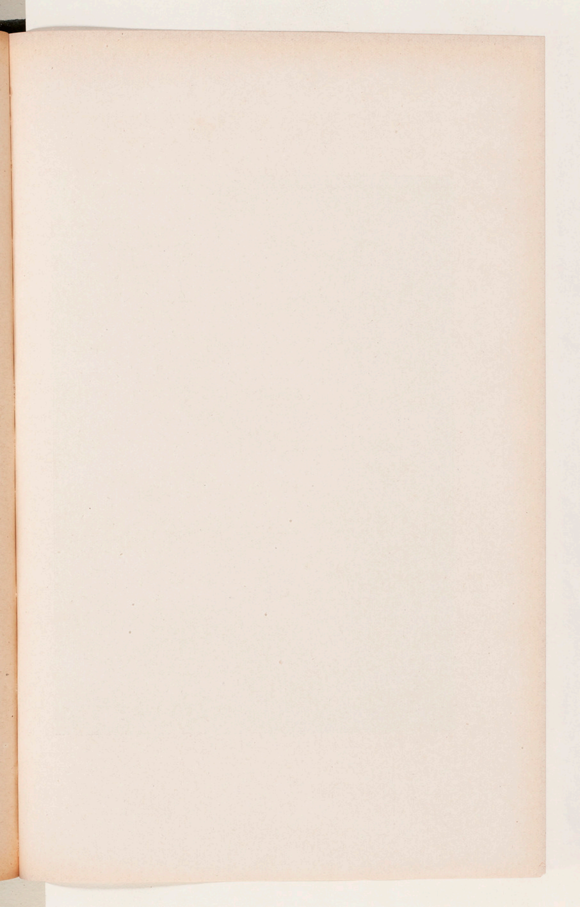
الجنرال مونوري حاكم باريس

الجنرال غاليني من قواد الجيش الفرنساوي

الجنرال ميشال	مثله
الجنرال بو	مثله
الجنرال شومير	مثله
الجنرال منسنزال	مثله
الجنرال ماريون	مثله
الجنرال لافون	مثله
الجنرال دولاديبات	مثله
الجنرال فوتي	مثله
الجنرال كوربير	مثله
الجنرال لوقران	مثله
الجنرال كلافيل	مثله
الجنرال دوزواي	مثله
الجنرال بولجير	مثله
الجنرال روك	مثله
الجنرال شابيل	مثله
الجنرال دوبوا	مثله
الجنرال كورنيل	مثله
الجنرال فيريبي	مثله
الجنرال كالوبان	مثله
الجنرال دينيو	مثله



تختوان الشرف وبه فخامة رئيس الجمهورية وسمو الحضرة العلية وسفراء الدول يوم استعراض الجيوش بباريس



الجنرال دولاتوال مثله

الجنرال دوليني مثله

الجنرال فيلنو مثله

الجنرال ليتي مثله

الجنرال بوشيز مثله

الجنرال سوسيون مثله

الجنرال بارود مثله

الجنرال سلفاستر مثله

الجنرال لوفات مثله

الجنرال روسنيول مثله

الجنرال بوردريات مثله

الاميرال جوركبيري من قواد الاساطيل الفرنساوية

الاميرال دوجنكيار مثله

الاميرال فيليبير مثله

الاميرال اوبير مثله

الاميرال لاكاز مثله

جناب مسيو الابتيت الوزير المقيم العام بتونس

جناب سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر

جناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم

جناب مسيو رامندو باش كاتب قصر الرئاسة

جناب مسيو مولار الوزير المفوض ومدير التشريفات

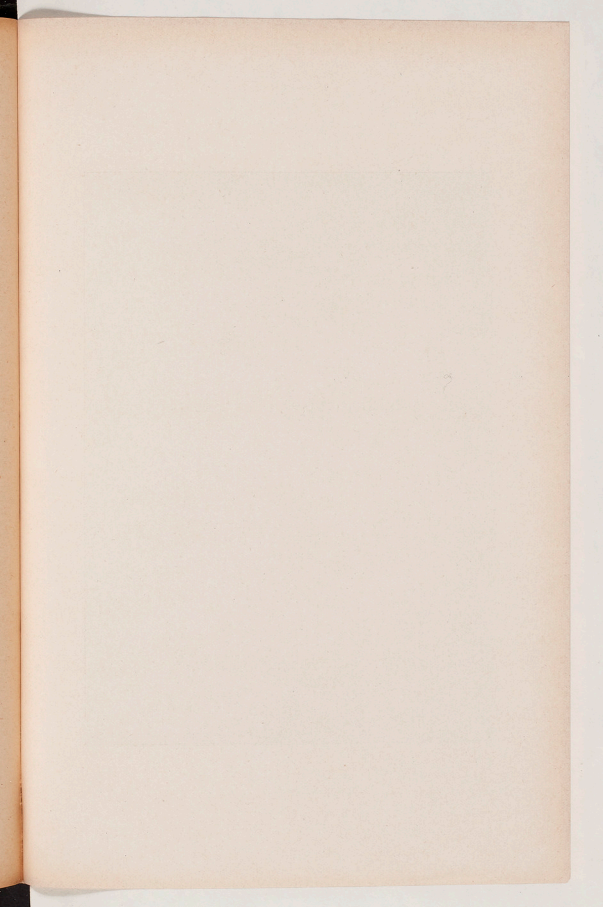
جناب مسيو روا الوزير المفوض والكاتب العام
امير اللواء السيد صالح بودربالة رئيس العسة المصونة
الامير الاي السيد مصطفى دنقزلي شيخ المدينة
الامير الاي السيد رشيد زكريا كاهية رئيس العسة المصونة
القايمقام السيد احمد قارة معين الحضرة العلية
الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية

وغيرهم من الاعيان وقواد الجيش في رتبة امير الاي وضباط البحرية في رتبة قبطان فرقاطة فما فوق واليك قائمة الاطعمة التي تناولها الحاضرون

بطيخ مبرد في الكيرش
ببوش امريكاني
سلته شنبنواز
ارز بلحم العجل
طورطة بلحم الطير
حلاويات انكليزية
دجاج البر بالترفاس المشوي
لسان مثلج
سلاطة
قرع محشي طلياني
لوبية حلوة طرية
جلاطو مثلث الالوان
فواكه مقاطف النخيل



الاياب من حفلة استعراض الجيوش يوم ١٤ يوليه



وكانت الموسيقى تترنم بالالحان الشجية في بساتين القصر والمجلس بالغا حد الغاية من المجاملة والانس والحضرة العلية محل جميع الانظار لما اودع الله فيها من جمال الطلعة ومكارم الاخلاق التي اخذت بمجامع القلوب وفي نحو الساعة الثانية ونصف انفصل الموكب فتوادع فخامة الرئيس والحضرة العلية وعاد ركابها في ابهة عسكرية وفخامة ملوكية الى سراية كريون

ثم في الساعة الخامسة بعد الزوال لبست الحضرة الشامخة كسوة مدنية موشحة الصدر بشريط اللجيون دونور لاغير ولبس ابناؤها ووزراؤها ورجال حاشيتها لبوسا مدنية ايضا علقوا بحاشيتها علامة النيشان المذكور وركب الموكب عربات الاتوموبيل مصحوبا بجناب الوزيرين مسيو الابتيت ومسيو روا وقصد الجميع سراية رئيس الجمهورية لحضور حفلة رقص وموانسة اقامها مسيو فاليار في اصيل ذلك اليوم على وجه الاكرام بمناسبة العيد الجنسي حضرها خلق كثير من ارباب السياسة والعلماء واهل الفن والمغنين وجمع عظيم من الشبان فتيان المدارس الحربية وفتيات من بنات الاعيان ومما زاد في انبساط الحاضرين كون السماء صاحيا والهواء عليلا لذلك دامت الموانسة والخلاعة حتى الغروب وفي تلك الاثناء كان فخامة الرئيس باذلا جهده في اكرام الحضرة الملكية ونجليها الاسعدين والحديث يدور على البلاد التونسية وعلى ما بقي بمحفوظ فخامة الرئيس من شئون زيارته للحاضرة وما لاقاه فيها من مظاهر الاكرام والاحترام

وفي نحو الساعة السابعة عاد المقام الملوكي لسراية اريون حيث تناول طعام العشاء بصحبة وزرائه ورجال حاشيته وهاك برنامج الاطعمة التي تناولها تلك الليلة

شوربة سلطانية

سمك الاميرال

لحم على اسلوب براكانص

كبود الاوز بالجلاطينة

سلاطة على ذوق التابعين

دجاج بري مشوي

لوبيا خضرا في الزبد

جلاطو كريون

حلاويات الظرفاء

فواكه شتى

وعلى الساعة العاشرة مساء ركب سمو الحضرة العلية مصحوبا بجناب الوزير المقيم العام والكولنيل الدبير معين رئيس الجمهورية والقنصل مسيو كوتي وخرجوا للتفسح في شوارع باريس التي كانت تلك الليلة بدعا في الزينة والاسراج تحاكي قصة من قصص كتاب الف ليلة وليلة ناهيك ان المجلس البلدي بباريس زاد عناية في هذا العام بزينة العاصمة الفرنساوية لحضور المقام الملوكي في ضيافة الدولة الجمهورية حتى ان المبالغ التي

خصصها لذلك كانت لا تقل عن ثلاثمائة واربعين الف فرنك نال منها الفقراء والمساكين وابناء السبيل نحو الثلث وصرف الثلثان في الاسراج والتزويق والتنسيق وفي اقامة حفلة نارية يعني قذف المشاريخ في احشاء الجو ولقد اخذت هذه الحفلة بلب المتفرجين لانها كانت بديعة في بابها اعجب بجمالها المقام الملوكي اي اعجاب

وباريز بالتبريز في الحسن برزة   وخطابها العشاق لم يغلهم مهر

هذا ويجدر بنا عند الكلام على عيد ١٤ يوليه ان نشير لتاريخ نشاة هذا الموسم عند امة الفرنسيس لانه اكبر مواسمهم السياسية والجنسية ونقصد بذلك من وجه آخر اتمام الفائدة لقراء هذه الرحلة من التونسيين لان هذا العيد كما راوا وعرفوا هو اعظم الاعياد التي تحتفل بها دولة الحماية في تونس فعيد ١٤ يوليه وقع تاسيسه في سنة ١٧٩٠ الموافق لعام ١٢٠٤ من الهجرة الشريفة وكان الداعي لتاسيسه هو اقامة يوم يذكرهم واعقابهم انتصار الحكم الشوري على حكومة الاطلاق التي استعبدتهم قبل وحملهم على مسح قلعة « الباستيل » من لوحة الوجود وهذه القلعة كانت سجن الحياة كلها لمن يرسله اليه ملك فرنسا من زعماء الحرية لذلك اتفق نواب الامة يوم ١٤ يوليه سنة ١٧٩٠ واصدروا لعامة الناس امرا هذا نصه

ان الجمعية الجنسية اظهارا لاعجابها بجسارة المتصرين على سجن « الباستيل » قد حكمت نيابة عن الامة باقامة شاهد علني عن رضائها على صنيع الفرنساويين الذين عرضوا والقوا بانفسهم للتهلكة في سبيل خلع

ربقة الاستعباد واعادة نصاب الحرية للوطن واهله ولذلك امرت بان يشترى من صندوق بيت المال ثوب وسلاح تام العدة حسبما يقتضيه النظام الجنسي لكل انسان انتصر في تلك الواقعة قادر على حمل السلاح وبان ينقش على زناد كل بندقية وعلى نصل كل سيف شكل الطغراء الملية وعبارة تنبه على ان ذلك السلاح منحته الامة لصاحبه فلان المنتصر في وقعة الباستيل وبان يرسم في الجهة اليسرى من الثوب المذكور او داخل حاشيته من الجهة المذكورة شكل تاج جداري وبان يرسل لكل فرد من اوليك الغالبين براءة تشريف وتكريم يذكر فيها مزاياهم على الامة واقرارها اليهم بالجميل وبان يمنحوا في كل كتب يذكر فيه اسمهم لقب « غالب سجن الباستيل » اما المنتصرون على السجن المذكور من غير القادرين على حمل السلاح فيمنحون ايضا شهادة تشريف وتكريم وكذلك ارامل ويتامى من قتلوا في ذلك السبيل لتبقى بيدهم عنوانا على شكر الامة اليهم واشعارا بما لهم من مزية الشرف المخول لكل من نصر سلطان الحرية على سلطان الاستبداد اهـ

وقد بعثوا بتلك الشهادات لاصحابها واستحلفوهم يمين الاخلاص بعبارة نصها « احلف اني اكون مخلصا للامة وللقانون وللملك واني استعمل ما في طوعي للمحافظة على النظامات الاساسية واوامر الجمعية الجنسية المصادق عليها من ملك فرنسا » فكان اول احتفال لهم ليوم ١٤ يوليه هو تلقي تلك اليمين من الفرنساويين المنتصرين على قلعة الباستيل في الرابع عشر يوليه سنة ١٧١٠ في حفلة اقاموها بباريس بالجهة المشيدة بها

اليوم المدرسة الحربية حيث نصبوا يومئذ منبرا يرتقى له بثمانين درجة بخروه بالطيب والند والعلك وزينوا مراقيه باواني الخزف الرفيعة واقاموا بالقرب منه قوس نصر نقشوا بجداره شعار الحرية وكان اعيان الامة حتى النساء يخدمون بايديهم في بناء ذلك ويتسابقون لجر الاثقال بانفسهم على نغمات اناشيد الفخر والحرية فلما تمت الاعمال استدعوا الملك وهو لويس السادس عشر الذي قتلوه فيما بعد لنقضه عهد الحرية ولما حضر اجلسوه في صعيد واحد مع شيخ الجمعية الجنسية واذاك تقدم رجال الكنيسة في عدد الثلاثمائة راهب وطلعوا لراس المنبر حيث باركوا مشروع الحرية فكانت آثار الفشل بادية على وجه الملك وعيون زوجته الملكة « ماري انطوانيت » تذرف دمعا سخيا

ثم بتعاقب الازمان اخذ هذا العيد في الظهور عاما فعاما الى ان بلغ بهجته وشهرته المعروفة اليوم لدى العالم اجمع ومنه يظهر ان جيل الفرنسيس من الامم التي لا تتحمل الضيم وانهم يبذلون النفس والنفيس في سبيل الحرية لذلك كانت امتهم هي الحاكمة في نفسها ولكنها والحق يقال لم تنل ذلك إلّا بعد استعدادها لاجتناء ثمرة ما غرس اسلافها من شجرة التمدن ونشر الوية العلم وإلّا لعادت عليهم الحرية بنقيضها لانها متى اعطيت لامة غير متهياة لتلقيها كانت عليها خطرا عظيما كمن يعطي سلاحا في يد طفل صغير فان اول شيء يعمله بتهافته هو اطلاقه ذلك السلاح على نفسه

ولابد من شيخ يريك عويصها وإلّا فنصف العلم عندك ضايع

اليوم الرابع

من زيارة الحضرة العلية لباريس

(يوم الاثنين في ١٥ يوليه ١٩١٢)

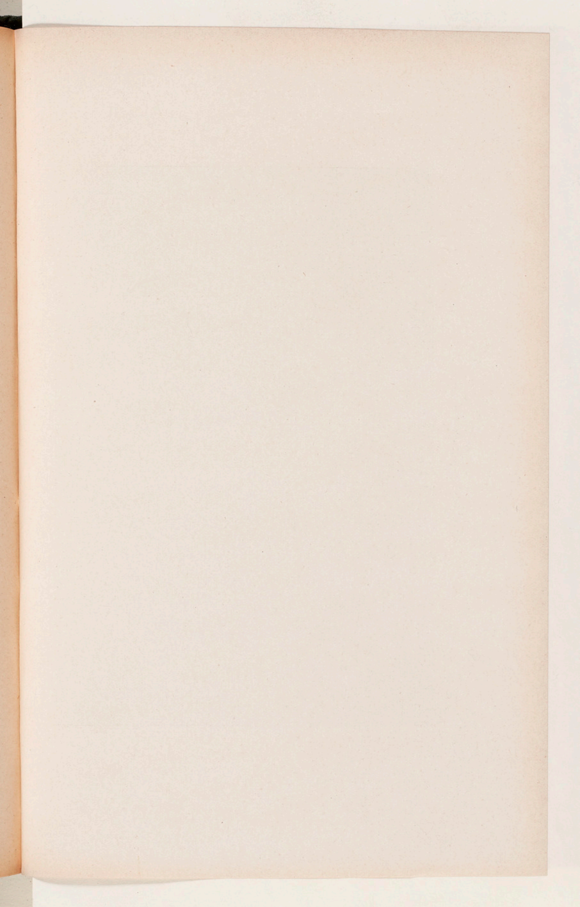
هـذا النهار من اعظم ايام الرحلة الملوكية لان الحضرة العلية زارت فيه قصور مدينة فرساليا ونسبة هذه المدينة وقصورها من باريس كنسبة باردو وسرايته من تونس فباردو هـو دار الملك الحسيني وفرساليا هي دار ملوك فرنسا إلّا ان الفرق بين الاثنين بعيد فقد سال مـولانا ابقاه الله حال زيارته لتلك القصور التى هي عـبرة الدهر عما انفق من اجلهـا الملك لويز الرابع عشر وكان سماعه للجواب باذن ملؤها الاعتبـار والاستعجاب حيث اخبر سموه بان الخزينة الفرنساوية صرفت لبنائها وتعمير بساتينها ما لا يقل عن ستين مليونا بسكة ذلك الوقت التي تبلغ بصرف زماننا الحاضر الى نحو اربعمائة مليون فرنك وكل من زار فرساليا و راى قصورها امتلا قلبه عبرة وعظة ويكفي في التعريف بفخامتها ان يقال انها دار ملوك فرنسا في القديم قال الشاعر

ان البنـاء اذا تعـاظم قـدره اضحى يدل على عظيم الشان

انتظم الموكب الملوكي ضحوة ذلك اليـوم وخرج من سراية كريون في حدود الساعة العاشرة وكان المقـام العالي مصحوبا بجناب الوزير المقيم العام وقرينته المصونة فركب سموه والوزير ومـدام الابتيت عربة سريعة وركب انجاله ووزراءه وبقية رجال حاشيته في عربات الاتوموبيل وتحرك الموكب في اجمـل مظاهر الابهة والاقبال يطوي الارض طيا فاجتاز سموه



الموكب الملوكي بقصر فرساليا



بغيضة بلونيا وهي عبارة عن ندحة من الارض متلاوحة الاطراف في طول عشرة من الاميال كلها رياض وحياض ومماشي وضلال ممتدة تجري من تحتها الانهار ذات طرق ممهدة ومقاعد وشلالات ينحدر منها الماء وآجام وخانات وملاهي ومسارح للطير كانها راموز من الجنة وفي طرفها بستان للنباتات احتوى على راموز من كل ما ولدته الارض باطرافها حتى انك لتجد نبات البلاد الحارة تحت قباب الزجاج يسقى بالماء السخن الملائم لمزاجه كذلك يوجد به من اصناف الحيوان ما يعجز القلم عن وصفه وفي هذا المقام شاهدت امرا غريبا بذلك البستان اثناء رحلتي لفرنسا اثر زيارة الحضرة العلية لباريس ذلك اني رايت في قسم الاسود بذلك البستان اسدا محبوسا في قفص من حديد ومعه لبوة بشبليها ولدا هنالك في اواخر فصل الربيع الواقع في عام ١٢٣٠ وكنت اعتقد ان الحيوانات المفترسة اذا وقعت في قيد الاسر ينقطع نسلها لان نظام حياتها يصير مخالفا لطبائعها كما قرر ذلك ولي الدين ابن خلدون وغيره اللهم إلّا ان يقال ان القاعدة هو ما قرره ذلك الفيلسوف الحكيم وان ما راته عيني من قبيل الامر الشاذ والشاذ لاحكم له كذلك استجلبت الدولة الفرنساوية في هذه السنين الاخيرة اقواما من بلاد السودان وانزلتهم بذلك البستان في ضمن المخلوقات الغريبة ولقد زرت مواطنهم وسالتهم عن حالهم فوجدت فيهم من يومن بالاسلام كما رايت بينهم زنوجا على العقيدة الوثنية وهم عالة على جماعة المسلمين هنالك وهؤلاء على ما هم عليه من التاخر الحسي والمعنوي يانفون من الامتزاج باوليك الوثنيين ويرون انفسهم بفضل نور الايمان المضيئة في قلوبهم اشرف منهم كما هو الدين والعقل ولقد اداني حب الكشف

عن امرهم ان سالت امراة منهم عن اسمهـا فقالت « فاطمة » وانها من اقليم « فوطه جالون » بالسودان الغربي ثم عكست علي السؤال قائلة « وانت ما اسمك » فاجبتها اني عبد الله محمـد فقالت على البديهة « اللهم صل على من اسمه محمد احمد حامد محمود احيد وحيد الخ » وهكذا ذكرت على التوالي من محفوظها عددا وافرا من اسمائه الشريفة صلى الله عليه وسلم فلم نتمالك عن الثناء على صحة ايمانها وبيضت كفها الاسود بقطعة فضية جعلتها ترقص فرحا ثم تركتها وانصرفت في حال سبيلي

ولنرجع للكلام على زيارة المقام الملوكي فنقول ان ركابه العالي اجتاز غيضة بولونيـا في الطول والعرض ولمـا استوفى زيارتهـا خرج منهـا وعلايم البشر بادية على محياه الكريم لمـا حصل لسموه من الانشراح والانبساط اثناء ذلك التفسح فسار ركابه قاصدا قصور فرساليا فوصلها بعد حين وكان في انتظاره هنـالك وكيل القصر وشيخ المدينة وواليها فتقدموا لاستقبال سموه ورحبوا بمقدمه السعيد وفي الحال ابتدا سموه في التجول خلال تلك الديار فزار سموه غرفة الحروب التي تمثل صور جدرانها كل الوقايع الحربية المشهورة فغرفة حروب نابليون فغرف حروب العصور الاولى فحروب الصليب فحروب افريقيـا والجزائر حيث صـور حروب الامير عبد القادر واستسلامه للدولة الفرنساوية ثم دخل ابيت البلور ومنها كشف على بساتين القصر حيث المنظر يستهوي المهج والقلوب لجمال غراستها المزوقة والمزركشة بزرابي وحواشي نباتية ملونة يحلف الناظر من بعيد انها من اتقن المنسوجات الصناعية ومن هنالك شاهد ايضا انفجار المياه

في اشكال هندسية من اعمدة واقواس وشبابيك الى غير ذلك مما يحار العقل في كيفية وضع منابعه وقنواته

ثم زار قسم وقايع القرن الثامن عشر وبعد ذلك دخل للبيت الموقوف على البرلمان الفرنساوي لاجتماعاته في المناسبات الكبرى كانتخاب رئيس الجمهورية وما شاكل ذلك من الحوادث الهامة وختم زيارته بالدخول لمساكن لويس الرابع عشر حيث وقف معتبرا امام فراش ذلك الملك الذي عمر في كرسي الملك اكثر من سبعين سنة وبذر من الاموال في اللذائذ والشهوات ما دونه بذخ كافة ملوك الاطلاق من جميع الملل والنحل وبعد ان استوفى زيارة القصر الكبير خرج وحاشيته لتناول طعام الفطور في اعظم مطاعم المدينة واسمه « خان السبابل » فجلس سموه بصدارة المقام يحفه ذات اليمين وذات الشمال جناب الوزير المقيم العام وقرينته المحترمة وجناب والي فرساليا وشيخ المدينة بها ووكيل المتحف وجناب الوزير المفوض مسيو روا والقنصل مسيو ڤوتي ورجال الحاشية السنية وتناول الحاضرون من الاطعمة ما ياتي بيانه

بطيخ مثلج

حوت بارد على اسلوب البنادقة

قدلا بقري

ارز بلحم العجل

دجاج الهند

حلاويات

سلاطة

جلبانه فرنساوية

جلاطو حمراء غرناطة

فواكه متنوعة

قهوة

وكان سموه اثناء الطعام يتجاذب اعنة الحديث باللسان الفرنساوي الفصيح مع جناب والي المدينة وجناب المقيم العام ويستمع باذن واعية لتاريخ تلك القصور التي كانت في مبادي امرها دار خلاعة للملك لويس الثالث عشر ايام خروجه للصيد والقنص ثم دار ملك لاخلافه لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر ولويس السادس عشر وهولاء هم الذين عمروها بالابنية الشاهقة والاجنة البديعة وبعد انتهاء الطعام توجه الموكب لزيارة القصر المسمى تريانون حيث مساكن الملكة « ماري انطوانيت » زوجة لويس السادس عشر فمساكن الانبراطور نابليون الاول وهنالك شاهد سموه كيفية كسو تلك المساكن وما احتوت عليه من الفراش والرياش المترجمة عن اخلاق ذلك الرجل العظيم وهنالك قلد سموه نيشان الصنف الاكبر لجناب والي فرساليا والصنف الاول لشيخ المدينة بها ومثله لوكيل قصورها وختم زيارته بمشاهدة متحف العربات والسروج وعدة الخيل وهذا المتحف العجيب في بابه احتوى على كروسات ملوك فرنسا التي توجد ضمنها الكروسة التي ركبها الملك كارلوس العاشر يوم تتويجه وهي كادت ان تكون في قطعة واحدة من الذهب ناهيك ان قيمتها بلغت لمليون فرنك ثم خرج سموه من ذلك المتحف مودعا باجمل عبارات التحية

فانتظم موكبه السامي وسار عائدا لسراية كريون بباريس فدخلها على الساعة الخامسة مساء

هذا ولما حل الركاب الملوكي بفرساليا اقام تلامذة مدرستها الجامعة حفلة اكرام لرفيقهم في القديم السيد مصطفى دنقزلي الذي كان يومئذ في جملة رجال الحاشية السنية فرخص سموه للسيد مصطفى بقبول استدعائهم لذلك حل يومئذ بناديهم وشكر مسعاهم وتجاذب معهم حديث ذلك الزمن البعيد الذي مر عليه ربع قرن فاكثر يعني ايام اجتماعه وامتزاجه بهم على حياض التعلم والدراسة ببلدهم الانيس

وبعد ان استراح سموه ردحا من الزمن دخل في حدود الساعة السابعة ونصف لمائدة العشاء حيث دعى للحضور وزراه وكبار حاشيته واليك قائمة الاطعمة الشهية التي تناولها سموه والحاضرون

شوربة بالكرفس

دويدة بالجبن والزبد

تريلية نهر نيفة

كور الارز بلحم العجل

سمانه

سلاطة

باذنجان

جلاطو الملوك

حلاويات اللذائذ

فواكه شتى

ثم بعد ان تناول قهوة الاكرام اذن سموه رجال حاشيته بالتاهب لتلقي فخامة رئيس الجمهورية حيث اعلم الحضرة العلية بانه يقدم لاستدعائها لحضور رواية « شمشون ودليلة » في تلك الليلة بملهى الاوبرة فلما كانت الساعة المعينة لقدوم فخامته حضر جنابه بسراية كريون مصحوبا بباش كاتب القصر الرئيسي وفي الحال دخل فخامته على الحضرة العلية وبعد محادثة لطيفة ركب فخامته وسموه العربة الرئيسية وركب امامهما كل من الباش كاتب المذكور والوزير المقيم العام وركب بقية رجال الحاشية السنية في العرباب المخصصة بهم وسار الموكب قاصدا ملهى الاوبرة وهذا الملهى الذي هو اعظم وافخم الملاهي الفرنساوية وقع انشاؤه في اواسط القرن السابع عشر للميلاد وهو اليوم مركز الفرع الموسيقي من اكدمية الفنون الجميلة التي هي احدى الاكدميات الخمسة المكونة لمشيخة العلم بفرنسا وهذه الاكدمية الخاصة بالفنون الجميلة انشات في سنة ١٧٩٥ وبها اربعون عضوا من اساتذة التصوير والتجسيم والنقش والموسيقى والالحان واما الاربعة الاخرى فهي الاكدمية الفرنساوية ووظيفتها الوقوف على تدوين اللغة الفرنساوية ومعجماتها وهي ايضا تتركب من اربعين عالما في اللغة انشاها الكردينال ريشليو في سنة ١٦٣٠ واكدمية الاداب ووظيفتها تدوين كتب التاريخ والاثار الارضية وبها ايضا اربعون عضوا وكان تاسيسها في سنة ١٦٦٣ واكدمية العلوم السياسية وبها ايضا اربعون عضوا ووظيفتها النظر في المسايل الفلسفية والاقتصاد السياسي واكدمية العلوم وكان تاسيسها في سنة ١٦٦٦ وبها ٦٥ عضوا من العلماء وتنظر في الفنون الرياضية والطبيعية والكيمياوية

اما معهد الاوبرة المتقدم ذكره فانه من افخم المعالم الباريسية واكثرها زخرفة وحسنا وهو محسوب في جملة المعاهد الرسمية والدولة تمده بالمال والرجال حتى ان المبلغ المخصص له من ميزانية الدولة بقصد تنشيط الرواية والتمثيل لا يقل عن ثمانمائة الف فرنك في العام

فلما وصله المقامان الملوكي والرئيسى كان في استقبالهما بباب الملهى جناب مسيو بيرار الكاهية الوزيري للفنون الجميلة وجناب الوزير مسيو مولار رئيس التشريفات وجناب مسيو بروسان مدير الاوبرة وغيرهم من الذوات وبعد ان تلقى جنابهما مراسم التحية والاحترام من رجال الملهى ومديره صعدا للروشن الرئيسي وكان اية في الزخرفة والجمال وقد ازداد حسنا وبهاء بحضور صاحبة المجادة الاصيلة مدام فليار التي تقدم دخولها وصول الموكب الرسمي فجاست مجادتها بمقدمة الروشن حذو المقامين الكريمين وكان الناس كانما على رؤسهم الطير والانظار شاخصة وملتفتة نحو الضيف العظيم والرئيس الفخيم

وريثما استقر بفخامتهما المقام تنغمت الموسيقي بالنشيد الفرنساوي فالسلام الحسيني واذاك وقف الحاضرون اجلالا لهما وشرع الممثلون في تشخيص الدور الثالث من رواية « شمشون ودلية » فكان سمو الحضرة العلية يتتبع ذلك بكل استفادة وارتياح مظهرا مع فخامة الرئيس انبساطه واستحسانه لبراعة الممثلين والممثلات معربا عن ذلك بالتصفيق باليدين حتى ان سموه استحضر لديه مدير الملهى وانعم عليه في ذلك الموكب بالصنف الاول من نيشان الافتخار كما استحضر المغنيتين المبدعتين

مادامواز يل شارني ومدامواز يل زمبالي وهناهما مباشرة عما اظهرتاه من المهارة والابداع في فن التمثيل ولم يبرح سموه الملهى إلّا في حدود منتصف الليل .

اما رواية شمشون ودليلة المشار اليها فحديثها هو الآتي

هي رواية اسرائيلية كما سيأتي تفصيل ذلك وضعها الموسيقار ليزت المجري المتوفى سنة ١٨٨٦ واول ما وقع تمثيلها في حياة المؤلف بمدينة « ويمار » من اعمال المانيا سنة ١٨٧٧ ثم ترجمت للغات الاخرى واقبل عليها الناس اقبالا كليا وهي اليوم مرسومة بطليعة برنامج القصص التي تمثل بملهى « الابرا » بباريس في المناسبات العظيمة لانها تترجم عن عادات واخلاق بني اسرائيل على عهد بابل فهي تحكي بلسانهم تغنيهم باصوات الحسرة والتداعي مما لا يجهله احد عرف ما لليهود من التسارع بالتشكي والتبكي وينجر الحديث بعد ذلك لما كانت عليه بنات فلسطين من الاسواط الرخيمة والالحان التي فازت بها احداهن المسماة « دليلة » المشهورة بالجمال بين بنات مدينة غزة وهي التي كانت لها يد عاملة في تشريد بني اسرائيل عن الارض الموعودة لانها عملت مكيدة للحبر شمشون الذي ارسله الله في زعمهم لانقاذ ابناء يهوذا من ظلم الفلسطينيين وكان شمشون هذا يعيش حوالي اواسط القرن الثاني عشر قبل المسيح فساط عليه الفلسطينيون دليلة المذكورة وكان عليقا بها فكشف لها السر الذي يستمد منه قواه الاسدية المانعة لاعدائه من التغلب عليه قائلا ان تلك القوة تكون ملازمة له بدوام شعوره نابتة براسه فاسرعت دليلة لاعلام الفلسطينيين

بذلك لما كانوا وعدوها به من الجائزة والمال الوافر ثم لما نام شمشون وكان واضعا راسه بحجرها اخذت دليلة موسى وحلقت راسه ونادت لاعدائه فافاق من نومه إلّا انه درك ان الله انتزع منه قـواه فلم يقدر حينئذ على الدفاع عن نفسه ووقع في الحال اسيرا في رق الفلسطينيين ولقد اداني حديث هـذه القصة لتشديد البحث والتنقيب عن اصولها في التاريخ العبري فوجدتها بهـذا المعنى وبزيادة تفصيل في الاصحاح السادس عشر من سفر القضاة من كتاب العهد القديم وهاك مختصر ما به الحاجة منه قال « وكان اي شمشون انه بعد ذلك احب امراة اسمها دليلة فصعد اليها اقطاب الفلسطينيين وقالوا لها تملقيه وانظري بماذا قوته العظيمة وبماذا نتمكن منه لكي نوثقه لاذلاله فنعطيك كل واحد الفا ومائة شاقل فضة فقالت دليلة لشمشون اخبرني بماذا قوتك العظيمة وبماذا توثق لاذلالك فقال لها شمشون اذا اوثقوني بسبعة اوتار طرية لم تجف اصير ضعيفا واصير كواحد من الناس فاصعد لها اقطاب الفلسطينيين سبعة اوتار طرية لم تجف فاوثقته بها والكمين لابث عندها بالحجرة فقالت له الفلسطينيون عليك يا شمشون فقطع الاوتار كما يقطع فتيل المشاقة اذا شم النار ولم تعلم قوته فقالت دليلة لشمشون ها قد ختلتني وكلمتني بالكذب فاخبرني الآن بماذا توثق فخـادعها باجوبة كاذبة مرة ثانية وثالثة وهي لم تزل به حتى قالت له كيف تقـول احبك وقلبك ليس معي هـو ذا ثلاث مرات قد ختلتني ولم تخبرني بماذا قوتك العظيمة ولمـا كانت تضايقه بكلامها كل يوم والحت عليه حتى ضاقت نفسه الى الموت فكشف لها كل قلبه وقال لها لم يعل موسى راسي لاني نذير الله من بطن امي فان حلقت تفـارقني

قوتي واضعف واصير كاحد الناس ولما رات دليلة انه قد اخبرها بكل ما بقلبه ارسلت فدعت اقطاب الفلسطينيين وقالت اصعدوا هذه المرة فانه قد كشف لي كل قلبه فصعد اليها اقطاب الفلسطينيين واصعدوا الفضة بيدهم وانامته على ركبتيها ودعت رجلا وحلقت سبع خصل راسه وابتدات باذلاله وفارقته قوته وقالت الفلسطينيون عليك يا شمشون فانتبه من نومه وقال اخرج حسب كل مرة وانتفض ولم يعلم ان الرب قد فارقه فاخذه الفلسطينيون وقلعوا عينيه ونزلوا به الى غزة واوثقوه بسلاسل نحاس وكان يطحن في بيت السجن اه بحروفه من التوراة ولم يزل الى اليوم بفلسطين من بلاد الشام على مقربة من مدينة صرعة محل يعرف بخربة عسلين به قبر شمشون المذكور الذي ربما قد اطلنا في الكلام على حكايته وليس لنا من العذر في ذلك سوى ما اعتدته حيثما كتبت من اشباع القول عند كل حديث ننقله لادباء التونسيين مما لم يعتادوا على سماع مثله كهذا الذي قدمناه وان قضيت في مراجعته وتحريره برهة طويلة

يغوص البحر ملتقط اللئالي ومن رصد السها سهر الليالي

هذا وكان خروج المقامين الساميين من الاوبرة في حدود نصف الليل فركبا العربة الرئيسية وسارا نحو سراية كريون حيث دخلت الحضرة العلية بعد ان ودعها فخامة مسيو فليار باجمل عبارات التحية ومن هنالك استمر الركاب الرئيسي سائرا نحو قصر الايليزه ولقد شاهدت الحضرة العلية تلك الليلة كما شاهدت اثناء تفسحها بالليلة قبلها معاني حياة ابناء باريس وتهافتهم على ساحات الزهو والخلاعة في ظلام الليل بمقدار ما عندهم من الكد والجد في بياض النهار وقد قلت في ذلك

يرى بالليل عندهم مجون   ولهو وانبساط وانشراح

وكد ثم جد في علوم   تضيء الكون ان طلع الصباح

وفي هذا المعنى يقول الشيخ رفاعة الطهطاوي وهو رجل ثقة درس اخلاق الفرنسيس وعاشرهم طويلا وكتب فيهم تصنيفا جامعا قال فيه ما لهم وما عليهم

ايوجد مثل باريس ديار   شموس العلم فيها لا تغيب

وليل الكفر ليس له صباح   لعمري هذا وحقكم عجيب

ويرى الناظر ان الشيخ رفاعة استعمل لفظ الكفر في البيت الثاني ولو عاش لزماننا هذا لاعتاض ذلك اللفظ بكلمة اخرى كاللهو مثلا لان امة الفرنسيس صار يغلب عليهم عدم التدين و بالفعل فان دولتهم قاطعت البابا في بحر هذه العشر سنوات الاخيرة وقطعت عنه المدد الذي كانت كنيسة الحواري بطرس ترتوي من فيوضاته ولا يكاد يوجد بالعالم الاروباوي قوم اكثر تجاوزا وتسامحا في مسالة العقايد من الفرنسيس ناهيك ان من نظاماتهم الاساسية اعتبار سائر الملل في منزلة واحدة سواء في ذلك النصرانية والاسلام والاسرائيلية وكل من عرف اعيانهم وفضلاءهم سمع منهم ما يؤيد هذه الحقائق التي شاهدتها من خيارهم في مناسبات كثيرة وهذه الاوصاف القائمة بجيلهم الحاضر ورثوها عن اسلافهم وزادوا اليوم فيها مبالغة سعيا وراء تمهيد السبيل لنشر نفوذهم وسلطتهم ببلاد الاسلام لذلك قرر ديوان مشورتهم في هذه الازمنة تشريك العنصر الاسلامي في حكومة بلادهم بافريقيا الشمالية رغم انوف من يقول بحصر السلطة الحاكمة في يد العنصر الفرنساوي وحده وهذه السياسة التي ستملكهم قلوب الناس

لان النفوس جبلت على حب من احسن اليها كادت ان تكون من الامور المسنونة في حكومتهم منذ قرن فا كثر ناهيك ان نابليون الاول كان يتزي بالملبوس العربية ويدخل مجامع العلماء بمصر رغبة في الامتزاج بهم لتطمين نفوسهم ولكي ينسيهم لوعة المحكومية والمغلوبية ولو نشر اسلافنا من قبورهم بعد ما ماتوا على ما تعلق بذهنهم من شنايع حروب الصليب وانتهاك حرمة المسلمين في كثير من المواطن وراوا اليوم ان سفير فرنسا بتونس وما ادراك ما له من الحول والطول بهذه البلاد يقف احتراما عند مدرج جامع الزيتونة ولا يتعداه وان فخامة رئيس الجمهورية بطم طميمه تحاشا عن الدخول في سنة ١٢٢٩ لجامع عقبة بن نافع بالقيروان، راعاة لجانب المسلمين لسبحوا لله حمدا وشكرا ولحملوا اعقابهم على شكر هاته النعمة التي نرجو من الله دوامها والتي نثني من اجلها على حسن عهد الامة الحامية تلقاء الامة المحمية

والخلاصة ان اهالي باريس كبقية سكان المدن الجامعة باوروبا اصحاب كد وجد في النهار اذ هم يسعون ويعملون عمل من ينوي الخلود واذا جن الظلام قامت بينهم جنون الهوى والخلاعة يعني الغانيات الناعمات غير السيدات المحصنات فهن على غاية من العفة وصيانة العرض اما الاخريات فلا تسال عن احتيالهن ومكائدهن وبراعتهن في نصب الشراك لكل من ساقه سوء الطالع الى الوقوع في حبائلهن قال الشاعر

لا يكن ظنك إلّا سيئا بالنسا ان كنت من اهل الفطن
ما رمى الانسان في مهلكة قط إلّا ظنه الظن الحسن

وفي معنى البيت الثاني يقول الطغرائي

وحسن ظنك بالايام منقصة فظن شرا وكن منها على وجل

اليوم الخامس

من زيارة الحضرة العلية لباريس

(يوم الثلاثا في ١٦ يوليه سنة ١٩١٢)

اقتضى برنامج هذا اليوم الذي هو آخر ايام الزيارة الرسمية الملوكية لباريس زيارة مشهد نابليون الاول ثم حضور المادبة التي اقامها جناب رئيس الوزراء ووزير الخارجية بسراية رصيف ارساي اكراما للحضرة العلية ثم زيارة متحف اللوفر المشهور لذلك انتظم الموكب الملوكي في صبيحة ذلك اليوم فركب سموه مصحوبا بجناب الوزير المقيم العام وركب نجلاه ووزراءه وبقية رجال الحاشية وتحرك الموكب في حدود الساعة العاشرة ونصف قاصدا تكية العواجز من الجند حيث مدفن الانبراطور نابليون الاول ولما وصل سموه كان في استقباله الجنرال نيوكس حاكم التكية فرحب بسموه وخطب بين يديه معربا عن احترامه وامتنانه لمقامه العالي ثم اخذ بيد الحضرة العلية ودخل بها لبطحاء التكية فللبرطال المشرف عليها فلابنيتها وغرفها فلتربة نابليون التي هي من المشاهد التي لا يستغنى احد جاء باريس عن زيارتها اما التكية فهي من انشاءات الملك لويس الرابع عشر اقامها لايواء سواقط العساكر إلّا ان نابليون الاول هو الذي احكم نظامها ووفر في مرافقها حبا في الجيش لذلك كان من المتعين دفنه بها عند ما تمكنت الدولة الفرنسازية من استخلاص جثته من يد الانكليز في سنة ١٨٤٠ وهو العمل الذي توج به يومئذ الملك لويس

فيليب مفاخر دولته ومعلوم ان نابليون الاول سقط في يد الانكليز سنة ١٨١٥ فاخذوه اسيرا الجزيرة الصالحة هيلانة الواقعة بالمنطقة السحيقة من افريقيا الغربية وهنالك ضيقوا عليه ان لم يكن حسا فمعنى الى ان عاجلته المنية في سنة ١٨٢١ وكان عمره اذاك لا يزيد عن خمسين سنة ويقال انه مات مغتالا من يد الحكيم الذي عينه لتدبير مزاجه وسواء صحت هذه الرواية او كذبت فان شبح نابليون قد مات الان اسمه بقي وسيبقى حيا الى ما شاء الله فلما وقف المقام الملوكي السامي على ضريحه داخلته سنة الاعتبار ودام صامتا ومفكرا طويلا ناظرا بعين بصيرته في مرآة الخيال الممثلة لادوار دولة ذلك الفاتح العظيم الذي دوخ العالم جميعا بجسارته وقوته وبطشه

اين عاد اين فرعون ومن رفع الاهرام من يسمع يخل

ثم ان الجنرال نيوكس عرض على انظار الحضرة العلية كسبات صاحب القبر فاخذ سموه بيده الكريمة سيف نابليون وتامل منه بتفكر واعتبار قائلا ما معناه « سيوف الملوك ملوك السيوف » فلما راى الجنرال نيوكس ما حصل لسموه من التفكر والاعتبار عند تامله من ذلك السيف داخله الخشوع واغرورقت عيناه بالدموع فاستلم السيف وقبله ثلاثا وبعد ذلك نزل سموه لدائرة القبر وهو عبارة عن حجارة من نوع المرمر اليماني طولها نحو الستة اذرع في عرض وثخن ثلاثة اذرع وضع التابوت في وسطها وافرغ عليه مذاب النحاس ليبقى هنالك عبرة ناطقة حول السنين والدهور ويعلو جميع ذلك قبة عظيمة صيغت من نحاس المدافع التي كان غنمها نابليون

في حروبه منقوش باحد اركانها العبارة الآتية على لسان نابليون وهي « اني اروم ان اعظمي تواري التراب بضفاف نهر السين بين ظهراني هذه الامة التي تفانيت في حبها »

ولما صعد سموه من دائرة القبر دخل لمتحف الاسلحة وهو عبارة عن مستودع للمغانم الحربية الفرنساوية في كل العصور ومما استلفت انظاره الشريفة غرفة المغانم الماخوذة اثناء حروب الجزاير التي منها مدافع لا يقل طولها عن عشرة اذرع مزبور بالنقش عليها باللسان التركي اسم صاحبها وتاريخ احداثها ولما استكمل سموه زيارته لذلك المعهد لم يتمالك عن ابداء اعجابه واستعظامه لقوة الجيوش الفرنساوية في القديم والحديث التي شاهد راموزا جديدا منها يوم استعراض الجنود في موسم ١٤ يوليه كما شاهد انموذجا مباركا من مفاخرها بهذا المتحف الذي هو عبرة الدهر واذاك اهداه الجنرال نيوكس باذن جناب وزير الحرب بندقية حربية من الطراز الجديد الذي ابتكره الفكر الفرنساوي العسكري فتلقى سموه تلك الهدية بمظاهر الشكر واثنى على كل من وزير الحربية والجنرال نيوكس الموما اليه

ولما كانت الشمس في كبد السماء بارح الركاب الملوكي تكية العواجز الحربية وسار قاصدا سراية كريون بقصد التاهب للتوجه للمادبة التي اقامها اكراما لسموه جناب مسيو بوانكاري رئيس الوزارة وقرينته المصونة وبعد هنيئة خرج سموه متجملا بملابس فاريق يتبعه اهل حاشيته فركب وجناب المقيم العام عربة سريعة وركب نجلاه وجناب الوزير المفوض مسيو روا وجناب الوزير الاكبر وجناب وزير القلم وبقية رجال المعية

العربات المخصصة لهم وسار الموكب بين عبارات الدعاء والهتاف قاصدا سراية الوزارة الخارجية فوصلها بعد الزوال باربعين دقيقة واذاك كان جناب رئيس الوزارة بباب السرايا منتظرا قدوم المقام العالي فاخذ بيد مولانا المعظم وبالغ في تحيته والترحيب بسموه وكانت بطحاء السرايا مرصعة بعساكر العسة البلدية قدموا لاداء مراسم السلام للحضرة العلية فدخل المقام الملوكي والجناب الوزيري والحاضرون بهو السرايا وارتقوا مدرجها وكانت ٠اية في الزخرفة والتزويق والتنميق اما الذوات الذين وقع استدعاءهم للتشرف بالفطور مع الحضرة العلية فاليك بيانهم

البرنس سيدي المنصف باي

البرنس سيدي الهاشمي باي

جناب مسيو دوبست رئيس مجلس الشيوخ

جناب مسيو ديشانيل رئيس مجلس الامة

جناب مسيو بريان وزير العدلية

جناب مسيو بامس وزير الفلاحة

جناب مسيو ميلران وزير الحرب

جناب مسيو دلكاسي وزير البحر

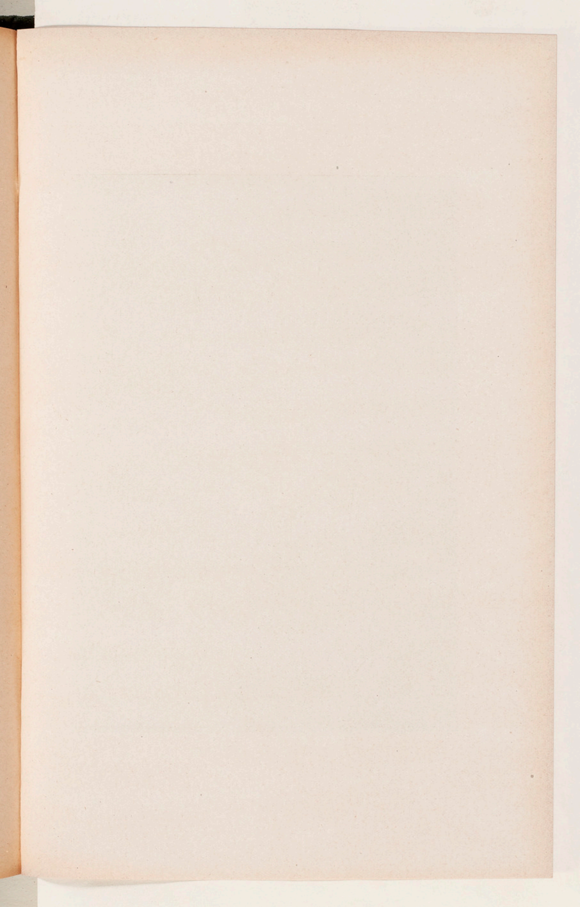
جناب مسيو ستيق وزير الداخلية

جناب مسيو ڤيسطو وزير المعارف

جناب مسيو كلوتز وزير المال



التوجه للفطور بالوزارة الخارجية



جناب مسيو دافيد وزير التجارة والصناعة

جناب مسيو لوبران وزير المستعمرات

جناب مسيو موريل الكاهية الوزيري بالداخلية

جناب مسيو شومي الكاهية الوزيري بالبوسطة والتلغراف

جناب مسيو الابتيت الوزير المقيم العام

جناب مسيو روا الوزير المفوض والكاتب العام

جناب امير الامراء سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر

جناب امير الامراء سيدي الطيب الجلولي وزير القلم

جناب مسيو مرتان العضو بمجلس الشيوخ

جناب مسيو كوشري العضو بمجلس الامة

جناب مسيو لابين قائد البوليس

جناب مسيو كوتي مدير الامور التونسية بالوزارة الخارجية

جناب مسيو غالي رئيس المجلس البلدي بباريس

جناب امير اللواء السيد صالح بودرباله رئيس العسة المصونة

جناب الامير الاي السيد مصطفى دنقزلي شيخ المدينة

جناب مسيو ده نارسي رئيس المجلس العام لمقاطعة السين

جناب الجنرال منوري حاكم باريس

جناب مسيو رمندو باش كاتب قصر الرئاسة الجمهورية

جناب مسيو بليلوك مدير الامور السياسية والتجارة بالوزارة الخارجية

جناب مسيو بيزو مدير قسم المحاسبة بها

جناب مسيو مولار رئيس ديوان التشريفات

جناب مسيو ديشير مدير دائرة الرئاسة الوزيرية

مسيو بيشون رئيس الكتابة الخاصة بها

الامير الاي السيد رشيد زكريا كاهية العسة المصونة

القائمقام السيد احمد قاره معين الحضرة العلية

الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية

هذا وكان جلوس الحضرة العلية ليمين مدام بوانكاري وليسارها جناب مسيو دوبست رئيس مجلس الشيوخ وكان ليمين جناب مسيو بوانكاري جناب مسيو بريان وزير العدلية وليساره سمو البرنس سيدي المنصف باي وكانت المائدة آية في الترصيع والتنميق مزدانة بالاوعية الفضية والتحف الزخرفية ومقاطف الزهر التي جعلتها تحاكي جمال الربيع واليك بيان ما تناوله اوليك الذوات بتلك المادبة الفاخرة

بطيخ مثلج

سمك مداس

فراخ دجاج

لحم خروف

بط بلد نانط

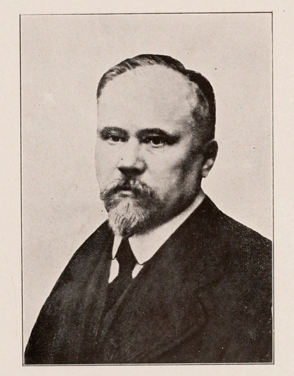
صحن عذراء الزهور

فاصولية بالزبد

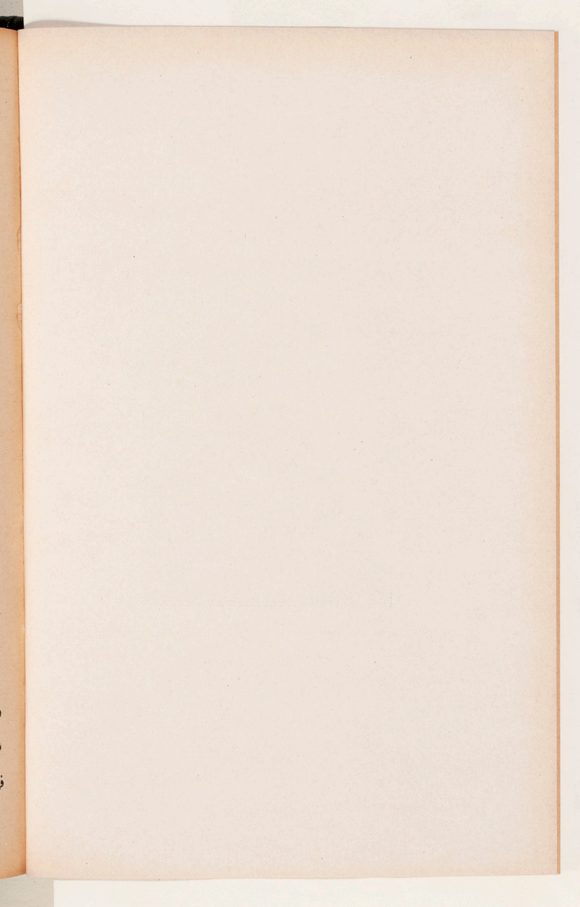
جلاطو سلومه

فواكه شتى

119



صاحب الفخامة مسيو بوانكاري رئيس الجمهورية الفرنساوية



وكانت الحضرة العلية اثناء الفطور محط الانظار ومحل المجاملة والاكرام البالغ حده من جناب رئيس الوزارة وقرينته المصونة وكانت الاسماع متجهة لما كان يفوه به سموه من الحديث المليح باللسان الفرنساوي الفصيح وفي نهاية الطعام اعرب جناب مسيو بوانكاري عن امتنانه وتشكره للحضرة العلية التي ملكت بلطفها المهج والقلوب واجابه مولانا العلي مترجما عما حصل له من الانشراح والسرور بزيارة العاصمة الفرنساوية ثم على الساعة الثانية بعد الزوال بارح موكبه الملوكي الوزارة الخارجية عائدا لسراية كريون حيث تلقى زيارة بعض الاعيان الراغبين في تقديم مراسم احترامهم وولائهم لمقامه العالي ولما كانت الساعة الرابعة ونصف تحرك موكبه قاصدا زيارة متحف اللوفر الواقع بقلب مدينة باريس وهذا المتحف من افخر معالم باريس ومبانيه مشمخرة مسامتة لبعضها ومتماثلة في الوضع والشكل وهو ذو طبقات متعددة واقعة حول بطحاء واسعة رصعت اعاليها بتماثيل عظماء الفرنساويين من شعراء وفلاسفة وحكماء وعلماء وقواد على اختلاف العصور والدهور وهو ذو قاعات فسيحة ومعارج كانوا عليها يظهرون وقد تم بناءه في مدة تربو على الستمائة سنة لان الشروع فيه كان على راس القرن الثالث عشر للميلاد واتمامه كان اواسط القرن التاسع عشر وبوسطه من اثار الثروة وغرايب الاثار ما قام ببيانه التاريخ الفرنساوي واشتهر ذكره في الخافقين قال صاحب كشف المخبا عن فنون اروبا « وتفصيل ما فيه اي متحف اللوفر يغني عنه قولنا انه كان مقر سلاطين فرنسا وفيه سرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة»

ولا يكاد يوجد في الدنيا متحف اكثر منه ثروة وبسطة لان به من الحجارة الكريمة والذخاير الفاخرة ومجموعات التصاوير والتماثيل والخرايط والرسوم الحربية ما لا يعرف بعاصمة اخرى وهذه التصاوير تمثل سائر الوقايع المشهورة بالعالم من ابعد عهود التاريخ ليومنا هذا واغلب ذلك تجمع من سبايا حروب نابليون الاول بالمانيا وايطاليا واسبانيا بحيث يمكن ان يقال ان اللوفر هو متحف متاحف الدنيا ولقد زادوه في هذه الاثناء مجموعات اخرى وقفها عليه رجل من اغنياء الفرنسيس اسمه شوشار كان صاحب ثروة واسعة لا تقل عن ثلاثمائة مليون من جملتها مجموعة صور وتماثيل قدرت بستين مليونا وهبها شوشار المذكور لمتحف اللوفر ففتحوا لها قسما خاصا بها عنونوه باسمه تخليدا لذكر هذا المحسن العظيم

ويرى القارى من هذه الحسنة الكبرى مقدار ما لاهل الثروة باروبا من العناية بترفيع شان امتهم وبسط سمعة بلادهم في الافاق ولو كان لاحد من المسلمين في هذا الوقت ثروة كثروة شوشار المذكور لاعرض عما ينفعه في الدنيا والاخرة ولاشترى الف جارية والف عود وظن ان ذلك هو الخلود واليوم الموعود قال الشيخ ابراهيم العلاقي من ادباء الجريد

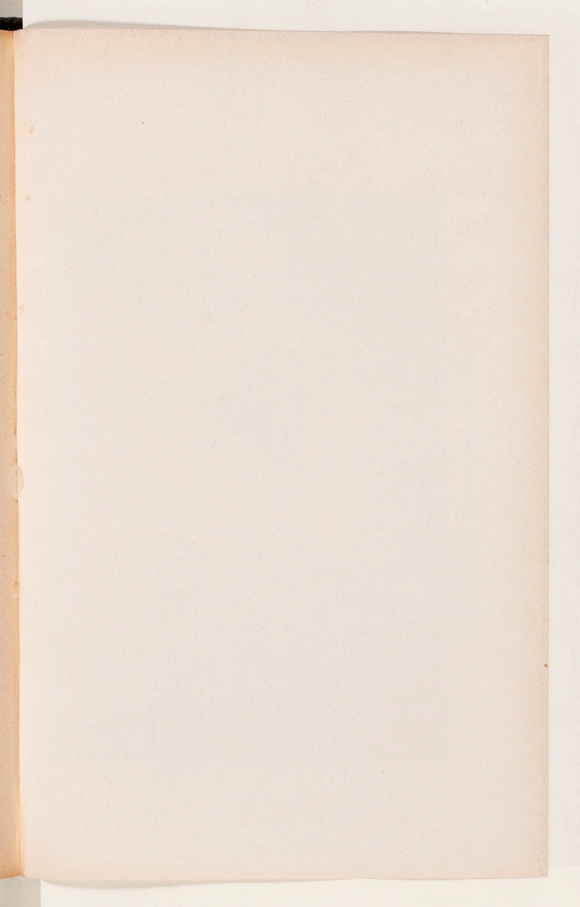
وخير الكسب ما تعطيه مهرا   لغانية تلاعب في الفراش

فمن نال الغناء ولم ينلها   فذلك في الانام بلا معاش

وهكذا كان حال عموم المسلمين في العصور المتاخرة فان الله انما قضى علينا لاننا

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا   فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

الحضرة العلية عند خروجها من متحف اللوفر بباريس



هذا ولما وصلت الحضرة العلية لمتحف اللوفر كان في استقبالها هنالك جناب مسيو بر جاليت وكيل المتحف فرحب بمقدمها السعيد وصاحب سموها خلال غرف المتحف مترجما بشروح ضافية عن تاريخ كل قسم منه وكان المقام السامي معيرا سمعه اليه مظهرا الاستفادة من تلك البيانات الغريبة التي استافتت كامل الانظار الملكية عند حضورها امام تيجان الملوك المرصعة بالحجارة الكريمة التي منها واحدة هي ثالثة ثلاثة من اليواقيت الفريدة بالعالم اجمع وكانت هذه الزيارة في نظر سموه من احسن الاعمال التي استفادت منها حضرته ذلك اليوم حتى ان مقامه العالي اعرب عن فرط انشراحه اليها بالانعام على وكيل المتحف بوسام الصنف الاول من نيشان الافتخار في ذلك الجمع المشهود والموكب المعدود

هذا وبعد خروج سموه من متحف اللوفر توجه موكبه لمتحف « قريفان » الذي وقع انشاؤه في سنة ١٨٨٢ بشارع « مونمارتر » الذي هو من اجمل انهاج باريس وهذا المتحف وظيفته تمثيل الوقايع بالصور المجسمة بالشمع بكيفية تحاكي صورة الاصل ومن ابدع ما عرض فيه بعد افتتاحه تمثال الوزير غمبيطا حال وقوفه بمنبر الخطابة بمجلس الامة والاعضاء شاخصون نحوه وصورة جنازة اسكندر الثاني قيصر الروسيا الذي قتله رجل من حزب « النهليست » في سنة ١٨٨١ وموكب تتويج حفيده نيكولا الثاني قيصر الروسيا الحالي ومجلس التوقيع على معاهدة القصر السعيد وموكب القرابين والضحايا البشرية بمجلس ملك الداهومى قبل استيلاء فرنسا على بلاده واخيرا شخصوا بهذا المتحف موكب سلطان

المغرب مولاي عبد الحفيظ وهو المنظر الذي شاهدته الحضرة العلية يوم زيارتها لذلك المتحف المحتوي ايضا على عدة مناظر اخرى لحوادث وذوات تاريخية شهيرة اهمها كيفية اقامة نابليون الاول في منفاه بجزيرة الصالحة هيلانه الى غير ذلك

وبعد ان اتم سموه زيارته لمتحف قريفان رجع ركابه لسراية كريون لتلقي الاعيان الذين استدعاهم سموه مساء ذلك اليوم لتناول الطعام على مائدته الفاخرة حيث اقام سموه تلك الليلة مادبة اكرام فائقة دعا اليها بصفة رسمية اربعة وستين من الذوات والاعيان نخص منهم بالذكر

الماجدة الاصيلة مدام الابتيت قرينة المقيم العام

مسيو دوبست رئيس مجلس الشيوخ

مسيو بوانكاري رئيس الوزراء

مسيو كلوتس وزير المالية

مسيو بامس وزير الفلاحة

مسيو لوبران وزير المستعمرات

مسيو موريل الكاهية الوزيري بالداخلية

مسيو الابتيت الوزير المقيم العام

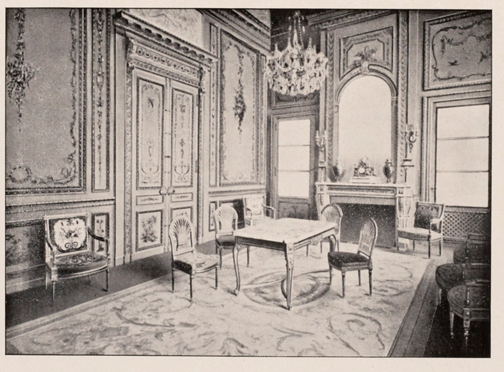
مسيو ملي الوزير المقيم سابقا بتونس

الجنرال هيرسون قائد جيش الاحتلال سابقا بتونس

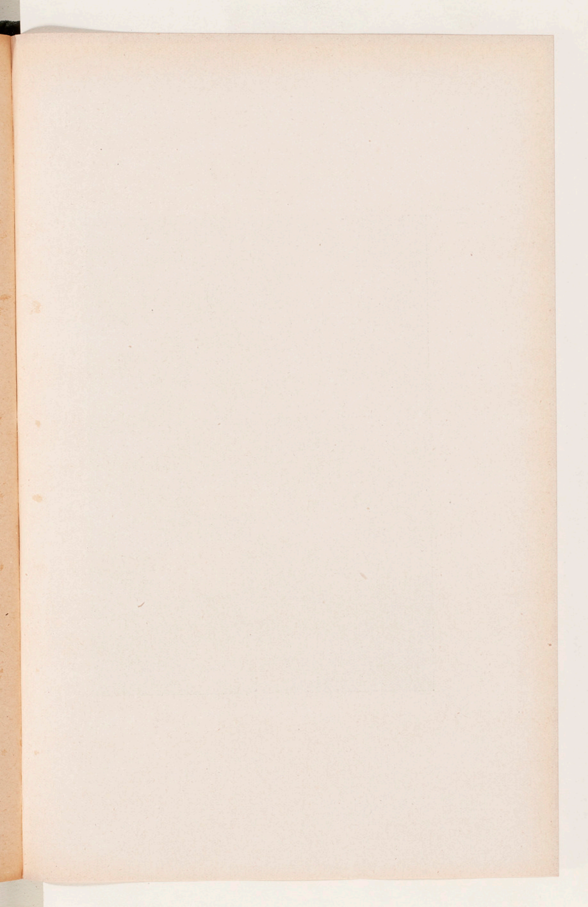
الجنرال روكس مثله

مسيو رينيو الكاتب العام سابقا بتونس

السفير مسيو روا الكاتب العام للامور العدلية



قاعة الاستقبال بسراية كريون



البرنس سيدي المنصف باي

البرنس سيدي الهاشمى باي

امير الامراء سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر

امير الامراء سيدي الطيب الجلولي وزير القلم

مسيو فابري رئيس المحكمة الفرنساوية سابقا بتونس

مسيو بيرج مثله

القنصل مسيو فوتي كاهية الكتابة العامة سابقا بتونس

مسيو هانطو وزير الخارجية سابقا بفرنسا

مسيو لابين محافظ البوليس

الجنرال فلورنتان وكيل نيشان اللجيون دونور

الجنرال جوفر رئيس اركان الحرب

الوزير مسيو مولار رئيس ديوان التشريفات

مسيو رمندو باش كاتب القصر الرئيسي

مسيو موجو من الوزراء الاقدمين بالدولة الجمهورية

مسيو كوشري مقرر الميزانية التونسية سابقا

الكلونيل قيز معين رئيس الجمهورية

الكلونيل الدبير مثله

مسيو ده فارين كاتب انسر لفخامة رئيس الجمهورية

مسيو بونتي والي افريقيا الغربية

مسيو بيليت مدير السكة الحديد

مسيو مورو مدير البنك التونسي

مسيو غالي رئيس المجلس البلدي بباريس

مسيو جونار وزير الخارجية الحالي والعضو بمجلس الامة

مسيو ريبو رئيس الوزارة سابقا والعضو بمجلس الشيوخ

مسيو بيرار الكاهية الوزيري للفنون المستظرفة

مسيو دة نارسي رئيس المجلس العام لمقاطعة السين

مسيو شابسال احد مديري الوزارات

الجنرال منوري حاكم باريس

مسيو اندري فليار نجل فخامة رئيس الجمهورية

الوزير مسيو روفيي المقيم العام سابقا بتونس

مسيو فونتان من ماموري الخارجية

مسيو بيزو مدير قسم المحاسبة بالوزارة الخارجية

الوزير مسيو باليلوك مدير الامور السياسية والتجارية بها

القبطان بوا معين المقيم العام

امير اللواء السيد صالح بودرباله رئيس العسة المصونة

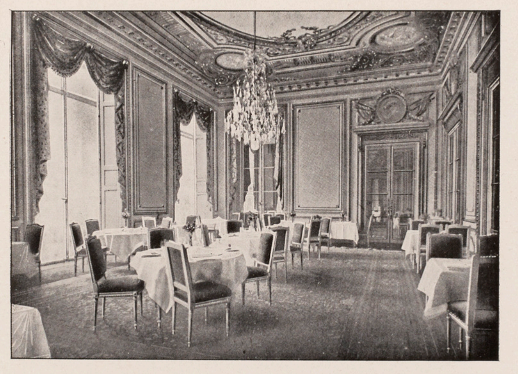
الامير الاي السيد مصطفى دنقزلي شيخ المدينة

الامير الاي السيد رشيد زكريا كاهية العسة المصونة

القايمقام السيد احمد قارة معين الحضرة العلية

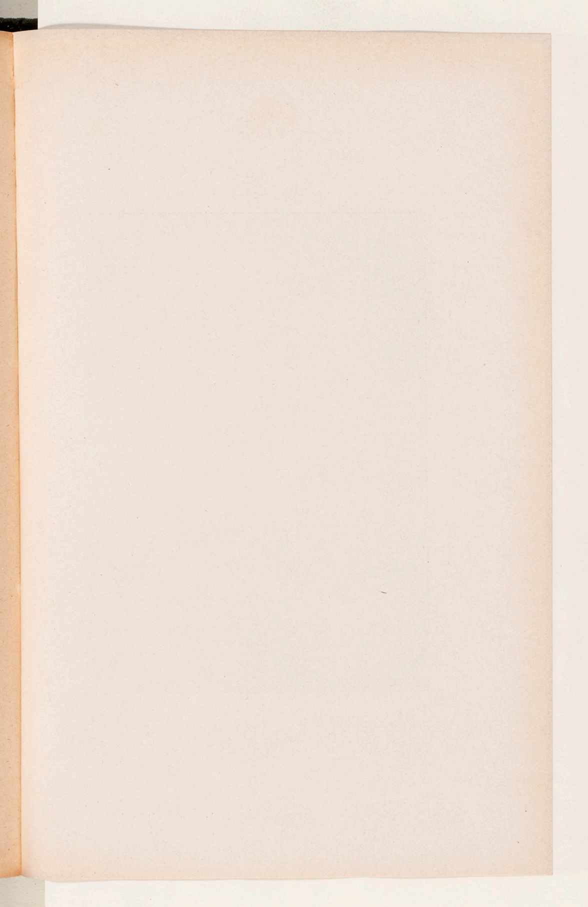
الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية

مسيو لوكور كربانتي مدير جريدة الديبش تونزيان



غرفة النسور بالطاق الاعلى من سراية كريون

125



مسيو ارندنار رئيس قسم الاستعمار التونسي بباريس

مسيو مازويار مدير البوسطة سابقا بتونس

وفي اثنــاء الطعام كانت المدام الابتيت جالسة ليمين الحضرة العلية ويليها جناب رئيس الوزارة وكان جناب مسيو دوبست رئيس مجلس الشيوخ ليسار سموه ويليه جناب مسيو ريبو العضو بمجلس الشيوخ ولم تحضر هذه المادبة من الآنسات غير المدام البتيت اما مجلس الطعام فكان على غاية من الانس واللطف وفيه اعربت الحضرة العلية عن انبساطها وانشراحها لاجتماعها باوليك الذوات الذين تجمعهم بالمملكة التونسية روابط قديمة ووثيقة وخصصت بثنائها افرادا تعرفهم بالذات عند مباشرتهم بتونس كالسفير مسيو ملي الوزير المقيم كان والجنرال هيرسون والجنرال روكس قائدي جيش الاحتلال سابقا ومسيو فابري ومسيو بيرج رئيسي المحكمة الفرنساوية بتونس سابقا ومسيو رينيو الكاتب العام كان الخ واليك قائمة الالوان الشهية التي تناولها الحاضرون بتلك المادبة الملكية التي وقع نصبها بالغرفة البديعة المسماة « قاعة المرمر » بسراية كريون

بطيخ مثلج

شوربة بالحليب

صحن تيودوره

لحم عجل على ذوق ارلوف

دجاج البر مستنبط مطبخ كريون

حلاوي برتقانية

سلاطة على ذوق لويزة الصغيرة

انابيب السكوم بالكريمة

قنارية على ذوق مرناي

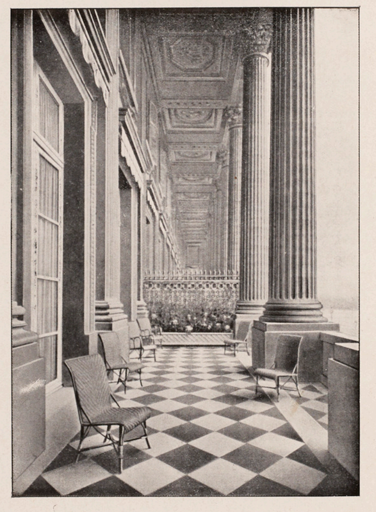
جلاطو على ذوق مارية

مقطف فواكه الاعيان

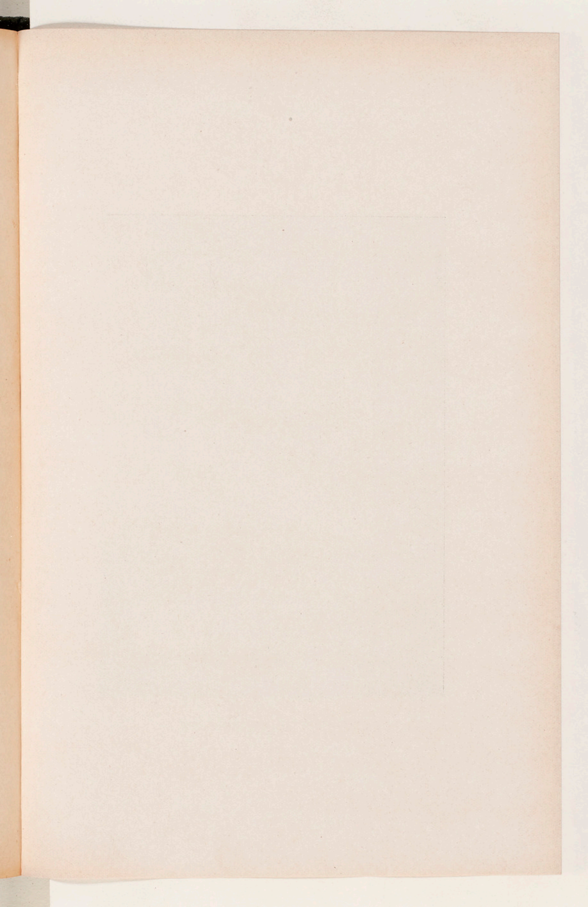
غلال

وبعد ان تجاذب سموه اعنة الحديث الظريف مع كافة الحاضرين تناول واياهم قهوة الاكرام ثم تلقى من جميعهم مراسم السلام والاحترام عند حلول ساعة الانصراف ودخل لسمر وزرائه ثم في نحو الساعة الحادية عشر دخل لبيت نعاسه حيث قضى ليلته بعافية وسلام

وهذه الحفلة هي خاتمة الحفلات الرسمية اثناء رحلة سموه بفرنسا وما حصل بعدها من الزيارات والحوادث كان كله بصفة غير رسمية لان سموه ابقاه الله قرر من قبل السفر انقسام رحلته لقسمين قسم رسمي وهو الذي ابتدا من يوم دخوله لفرنسا الى ختام اليوم السادس عشر يوليه وقسم غير رسمي يبتدي باليوم السابع عشر من الشهر وينتهي بمبارحته لارض فرنسا وكان القصد من هذ التنويع هو استبقاء الحرية لذاته الشريفة بعد اتعاب المواكب الرسمية ليقضي اياما في التفسح والزيارة من دون تلك الحدود والقيود الرسمية وهكذا يفعل كل الملوك الذين يزورون باريس لاول مرة لان احكام ديوان التشريفات وهي كالكتاب المنزل عند اهل العالم المتمدن الاروباوي لا تمكن احدا من التمتع بالمشاهدة والاستطلاع حسب امياله النفسانية لانها تقرر لكل يوم عمله وتقف عند ذلك الحد ولا تتخطاه قيد شبر ولو هوت الافلاك



برطال سراية كريون ببطحاء اوفاق



اليوم السادس

من زيارة الحضرة العلية لباريس

(يوم الاربعاء في ١٧ يوليه سنة ١٩١٢)

قضى سموه ضحوة هذا اليوم في التفسح وزيارة بستان النباتات وهو بستان شامل جامع لكل غرس وحيوان كالبستان الاخر الذي تقدم بسط حديثه في جملة اخبار الايام المتقدمة من الرحلة وهنالك سرح سموه طرف الطرف في تلك الغياض النضرة وتفرج على اقفصة الاسود والحيوانات المفترسة والقردة والطير متاملا في تلك المخلوقات بعين التوحيد لله الذي خلق كل شيء وله ما برا وما ذرا

ثم بعد ان استوفى زيارته لذلك البستان خرج سموه قاصدا نهر السين فركب وحاشيته زوارق ادارة الشرطة وهي زوارق بخارية سريعة جدا سارت بسموه متفسحا فيما بين باريس وبلد « اوتاي » وفي حدود الزوال عاد موكبه السعيد لسراية كريون حيث تناول طعام الفطور مع انجاله ووزرائه ورجال حاشيته واليك قائمة الاطعمة الشهية التي تناول منها سموه ذلك النهار

مفتح متنوع

بيض اكل سوزيت اللطيفة

ضلع خروف مشوي

بطاطس باريس

دجاج في المرق الجامد

قلب الخص

معقودة

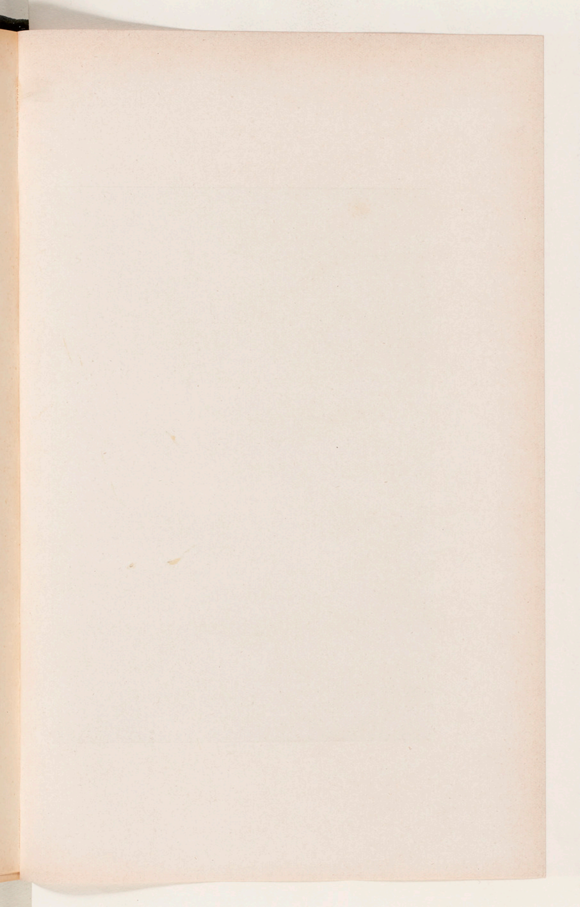
حلاويات

فواكه شتى

وبعد ان قضى قيلولة يومه اذن بانتظام موكبه السامي للذهاب لقصر «تروكاديرو» بقصد التفرج عليه لانه من اعظم وافخر الابنية الدولية بباريس وهذا القصر الذي في شكل نصف دائرة تعلوها صوامع شاهقة وقع تاسيسه في سنة ١٨٧٨ الموافقة لعام ١٢٩٥ من الهجرة الشريفة بقصد اقامة معرض ذلك العام فيه وكان ذلك المعرض هو اول مشروع عظيم انجزته فرنسا بعد حربها مع المانيا فابهرت به ابصار العالم الاروباوي وكان صنيعها الثاني هو نصب حمايتها على تونس في سنة ١٢٩٨ في ظروف تقدم بسطها بالقسم الاول من هذه الرحلة المباركة اما القصر المترجم له فقد زاره يومئذ ملوك الامم ومنهم الشاه ناصر الدين الذي اغتالته فيما بعد يد اثيمة عند خروجه من زيارة ضريح عبد العظيم ببلاده وممن زاره اذاك من فضلاء التونسيين الشيخ محمد بيرم دفين حلوان مصر ولقد اطنب رحمه الله في وصفه بما يشفي الغليل ومن اراد زيادة البيان فعليه بمراجعة الجزء الثالث من كتاب صفوة الاعتبار واما الحضرة العلية فبعد ان استوعبت كامل القصر واعجبت بحسن بهجته وانتظامه دخلت لمشاهدة مسارح الاسماك حيث حياض الزجاج المختومة والحافظة لانواع المخلوقات البحرية التي تلعب هنالك طولا وعرضا وكان تامله من تلك المجموعات الحيوانية المائية تامل استفادة واعتبار شان ذوي الابصار



الزيارة الملكية لبستان النباتات



ثم بعد ان استوفى زيارته بذلك المقام تحرك ركابه لزيارة صرح ايفل المشهور الذي هو عبرة العصور والدهور وفيه يقول صاحبنا المرحوم الشيخ محمد السنوسي في مطلع قصيدة طويلة

لم يبد ابدع مما كان امكان   فيما افادته ازمان وامكان

وقريب منه قول الغزالي « ليس في الامكان ابدع مما كان » لذلك لم يرشقه جهرة مشيخة عصره باقلام التنكيت كما فعلوا عند قول صاحبنا المرحوم الشيخ محمد الحشايشي في الرد على مزاعم المنجم فالب الذي تنبا بفناء العالم في اليوم الموافق لثالث عشر تشرين الثاني سنة ١٨٩٨

حديث خرافات واوهام كاذب   مقالة احلام المنجم فالب

الى ان قال وهو بيت القصيد

ايرضى حكيم الكون اعدام هيكل   يدل على من كان اول واجب

فلما حلت الحضرة العلية بمدخل الصرح كان رجال ادارته على قدم وساق ومنع دخوله على عامة الناس ليتمكن المقام السامي من مشاهدة حاله وقوة مبناه حيث كانت اصوله وفروعه كلها من الفولاذ ومعلوم ان ارتفاعه ٣٠٠ ميتر وشهرته تغني عن التعريف به فارتقى سموه للطاق الاعلى ومن هنالك وقع تبليغ مخابرة بالتلغراف اللاسلكي على لسان سموه لعائلته الكريمة بسراية المرسى فبلغت في الحال وبعد ان تفسح سموه بغرف الطاق الاوسط وبيرطال الطاق الاول المطل من سائر جهاتها على كافة مدينة باريس المتلاوحة الاطراف الطافحة بالعمران البالغ عدد سكانها لثلاثة ملايين من الانفس نزل ابقاه الله لساحة الصرح وركب عربته وسار معظما مكرما بين هتاف الالوف مخترقا صفوفا بعد صفوف الى ان بلغ سراية كريون

ولدى وصوله اذن حاشيته بالتاهب لحضور مادبة الوداد التي ادبها جناب مسيو بامس وزير الفلاحة اكراما لحضرته العلية

فلما كانت الساعة السابعة ونصف تحرك موكبه السامي قاصدا خان مجريط بغيضة بلونيا حيث اقام جناب مسيو بامس تلك المادبة وكانت بدعا في الترصيع والتانيق والزخرفة والتنميق حضرها وزراء الدولة الفرنساوية والدولة التونسية ورجال الحاشية السنية كما حضرها نخبة من العظماء والاعيان ممن لهم مساس وعلاقة بالمملكة المحمية وهاك بيان الاطعمة التي قدمت لسموه في تلك الليلة الرائقة والموانسة الفائقة

مفتتح متنوع

بطيخ مبرد

شوربة الصحة

تربلية في مرق هولانده

بطاطس البوخار

لحم بقري على ذوق اهل النهضة

دجاج مجريط

اذناب السرطان بالجبن

حلاويات روانية

سلاطة نينة

قنارية الشط

خوخ سكري

حلاويات اللذائذ

مقطف الفواكه

وبعد انتهاء مجلس العشاء وموانسة دامت لساعة متاخرة من الليل عاد ركابه السامي لسراية كريون مخترقا محجة « شانزيلزي » التي معناها بالعربية « روضة الاصفياء » وكل من ساعفه الحظ على التفسح بهذا النهج لا يسعه إلّا الاعجاب بجماله وحسن انتشاقه وشدة عمارته ووفرة عمرانه

اليوم السابع

من زيارة الحضرة العلية لباريس

(يوم الخميس في ١٨ يوليه سنة ١٩١٢)

استفتح سمو الحضرة العلية هذا النهار بالخروج لزيارة معمل زرابي « غوبلان » الواقع على مقربة من باريس وهو معمل نسيج وحده يوجد من منسوجاته اهدنا هذا زربية فاخرة وثمينة جدا في شكل معلقة جداريه بقاعة الاستقبال الكبرى في سراية باردو المعمور تمثل ذات الملك لويس فيليبا كان أهداها هذا الملك لحبيبه الباي احمد باشا وكان تاسيس هذا المعمل بعناية جماعة من الصباغين حوالي القرن الخامس عشر للميلاد فلما آلت الدولة للملك لويس الرابع عشر اشتراه منهم وجعله ملكا للامة واعتنى بترقيته اعتناء فائقا الا ان نجمه كاد ان يفل ايام الثورة الفرنساوية الى ان تداركه الانبراطور نابليون الاول فاحي عمارته ونشط رجاله بالمال الوافر

وهكذا فعل من تولى الامر بعده الى ان صار هذا المعمل في مقدمة معامل النسج الفايق باروبا

وبعد زيارته للمعمل المذكور توجه سموه لزيارة قصر «لوكسنبورغ» حيث اجتماع مجلس الشيوخ وهذا القصر من الهياكل العظيمة بباريس وبه بستان انيق ومتحف جميل وكان بناءه اوايل القرن السابع عشر للميلاد ومن هنالك توجه لزيارة هيكل «البنطيون» حيث مدفن عظماء الفرنسيس واول من دفن به من مشاهيرهم الفيلسوف «فولتير» وآخر من دفن به منهم الرئيس «كارنو» والقصصي «زولا» والكيمياوي «برطلو» وقد سمي هذا الهيكل بلفظ «البنطيون» نسبة للهيكل المقام لجميع الالهة بروما القديمة وكان بناءه بباريس على اطلال كنيسة عتيقة في عهد الملك لويس الخامس عشر وهو الذي جعل شكله مماثلا للكنيسة العظمى بروما ووقفه مدفنا لاعيان القوم باذن مجلس المشورة في عام ١٧٨١ للميلاد وكتبوا على بابه هذه العبارة ايذانا بذلك وهي «الوطن ممنون لفضلاء امته»

وعند خروج سموه من الهيكل رجع موكبه لسراية كريون وبها تناول طعام الفطور

ثم خرج موكبه في عشي اليوم لزيارة معمل سيفر المشهور بصنع اوعية واواني الخزف الفائقة التي انفردت بها فرنسا بين امم المعمورة ناهيك ان الهدايا الملوكية والسلطانية التي تتحف بها دولة فرنسا ضيوفها الكرام تكون في الغالب من مصنوعات معامل سيفر الخزفية لانها تفوق كل نظائرها حتى الاوعية الصينية ذات الشهرة المطبقة ولا شك ان تلك المعامل لا تصنع إلّا الاواني الفاخرة لانك رايت ان فرنسا تتحف بها الملوك

والسلاطين ولا تكون الهدية إلّا على قدر مهديها ومعلوم ان فرنسا اذا
هادت ابدعت واذا اعطت اغنت وكان تاسيس تلك المعامل في سنة ١٧٥٦
للميلاد (١١٧٠ للهجرة) وطريقة طبخ الطين وتلوين وتزويق الاواني
يقع حسب قواعد فن الكيمياء الصناعية حتى ان المدير والصناع هم في
درجة كبار الاساتذة الكيماويين ويتقاضون من الدولة الجرايات الواسعة
ومن اشهرهم في العهود الاخيرة المعلم « ديك » استاذ صناعة الفرفوري

واذاك اقترح سمو الحضرة العلية ان يزور تلك المعامل بالجملة
والتفصيل فدخلها بين مظاهر التكريم والترحيب وزار متحفها الذي هو
عبارة عن معرض لافخر الاوعية والاواني الثمينة ثم عاين كيفية عجن
الطين ثم وقف معتبرا لما تخطه اقلام المصورين ثم شاهد اساليب التجفيف
والتنضيج وبعد ان طاف ببقية اقسام المعمل قدم له مديره على وجه التذكار
لهذه الزيارة السعيدة صحنا ثمينا رسم به شعار الملك الحسيني فشكر سموه
سعي هذا المامور العالي وخرج من المعمل في حدود الساعة السادسة فتحرك
ركابه العالي قاصدا مضمار الطيران الحربي ببلد بوك وهنالك تلقاه الكلونيل
رموتي مدير المضمار والكلونيل فويار كمندان فرقة الطيارين وبعد ان
تلقى سموه مراسم السلام والاحترام منهما ومن بقية الضباط الحاضرين شرع
الضباط في ارتقاء الجو على اجنحة طياراتهم الى ان تجمع منها على صفحات
الهواء خمسة عشر طيارة واذاك كان المنظر ياخذ بمجامع القلوب لجسارة
اوليك الضباط البواسل حتى ان الحضرة العلية لم تتمالك عن اهداءهم ثناءها
الملوكي مرارا وفي الختام تفضل سموها فقلد كمندان الفرقة الطيارة وسام

الكمندور من نيشان الافتخار كما احسن بعدة وسامات من الصنف الثالث لبقية الذوات

ثم بعد رجوعه لسراية كريون وتناول طعام العشاء في صحبة وزرائه وحاشيته خرج سموه يتهادي في شوارع باريس وشرف بزيارته ملهى الصور المتحركة بشارع كليشي وهنالك شاهد بالذات مناظر مواكب الاحتفال به اثناء دخوله لباريس وبقصر رئاسة الجمهورية وبميدان استعراض الجيوش في موسم ١٤ يوليه وهلم جرا ثم عاد في نحو الساعة الحادية عشر لسراية كريون وفيها قضى بقية ليله بتحية وسلام

اليوم الثامن

من زيارة الحضرة العلية لباريس

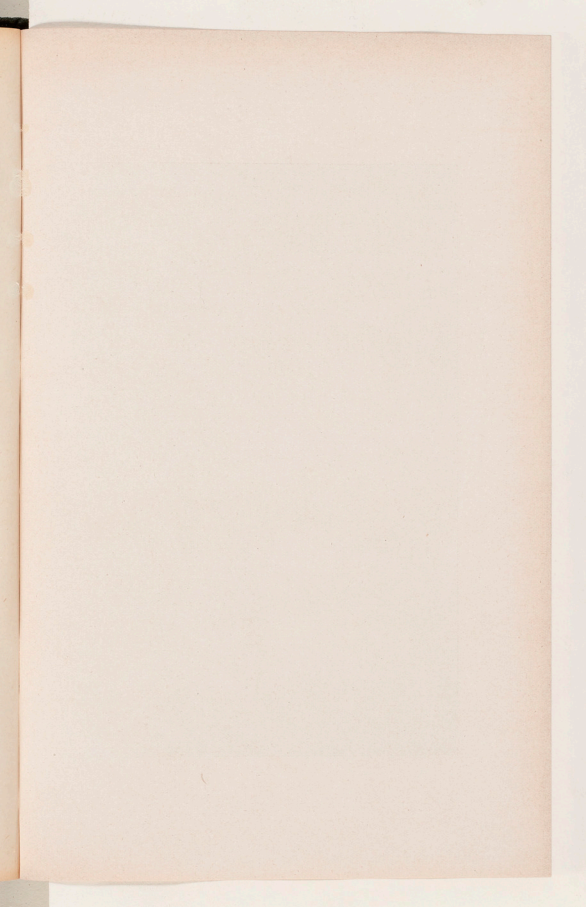
(يوم الجمعة في ١٩ يوليه سنة ١٩١٢)

في صباح هذا اليوم زارت الحضرة العلية معامل الباتنيول الصناعية الواقعة باحواز باريس وهي معامل ذات قوة وباس تديرها الهندسة وتحركها الكهربائية واليها تنسب قاطرات السكك الحديدية بفرنسا والمستعمرات ولدينا بتونس نموذجات منها كثيرة كالماكينات التي تجر الاثقال والوف القناطير المقنطرة فوق السكك الحديدية بين تونس والجزاير وبين تونس ومدن العمالة الى جهاتها السحيقة فتامل سموه من تلك المعامل تامل استفادة و باذن واعية للبيانات الوافية التي كان يلقيها مدير المعامل على مسامعه الشريفة ثم زار معرض المزجيات والالات البخارية بالمعمل وخرج



الحضرة العلية تقلد اوسمة الافتخار للضباط الطيارين بميدان بوك

133



منه بعد ان استوعبه بالتمام فقصد ركابه التفسح ببلد شنتيلي وهو من بلدان الخلاعة بضواحي باريس وهنالك اقام جناب الوزير الاسبق مسيو كوشري من اعضاء البرلمان الفرنساوي ومن اكابر ملاكة الزيتون بصفاقس مادبة حافلة وانيقة بخان كوندي اكراما لسموه العالي حضرها مقامه الاسمى ونجلاه الاسعدان وجناب الوزير المقيم العام وجناب مسيو هانطو وزير الخارجية سابقا وجناب مسيو جوسران سفير فرنسا بالولايات المتحدة بامريكا وجناب الوزير الاكبر وجناب وزير القلم وبعض وزراء الدولة الفرنساوية ونخبة من الذوات والاعيان ورجال الحاشية السنية واليك قائمة الاطعمة الشهية التي دارت بين يدي سموه بتلك المائدة الفائقة :

بطيخ مالطة في الثلج

كنبار

ارز تركي

خروف مشوي

فاصولية في القصعة

بطاطس على اسلوب الدوفين

دجاج البر

سلاطة دستراي

معقودة نرويجيه

حلاويات

فواكه

ثم ان سموه لما خرج من القطور توجه لزيارة قصر الدوك دومال الذي استولى على زمالة الامير عبد القادر بالجزاير ايام دولة والده الملك لويس فيليب وهذا القصر المتشامخ من افخر القصور واكملها عدة واتمها رونقا وبهجة فتامل مولانا من غرفاته وزار طبقاته بالتمام وهنالك شاهد مقدار ما انفق من الاموال الطائلة لبناء ذلك القصر وانجاز عمارته بالصورة التي هو عليها ثم ان موكب سموه بارح بلد شانتيلي عائدا لسراية كريون بباريس فوصلها في حدود الساعة السابعة مساء وبها تناول طعام العشاء فكانت الالوان المتقدمة لديه هي الاتية

حسا بلاد منتي كارلو

كنبار اميريكاني

لحم العجل

بط مشوي

سلاطة الدوك

فاصولية البدو

كريمة بالشكلاطه

حلاويات

فواكه وغلال شتى

وبعد ان تناول سموه قهوة التاي تحرك ركابه مصحوبا بجناب المقيم العام والنجلين الاسعدين والوزيرين الافخمين وجناب الكاتب العام ورجال الحاشية السنية قاصدا ملهى الابرة لحضور رواية عائدة التى وقع تمثيلها تلك الليلة مجاملة واكراما لحضرته العلية وهذه الرواية عبارة عن قصة غرامية

من اشهر الروايات القصصية دبر اسلوبها الموسيقار المبدع فردي الطليـاني المتوفى سنة ١٩٠١ بمطلب من الخديوي اسماعيل باشا ليفتتح بها دار اللهو (تياتر) التي اسسهـا بمصر وافتتح العابها برواية عائدة المذكورة حيث حضرها بنفسه ليلة عيد الميلاد سنة ١٨٧١ وقد اعجب باسلوبها فاحسن لمبتكرهـا فردي المذكور بجائزة قـدرها مائة الف فرنك هكذا كنا سمعنا من المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية اما حديث هذه الرواية فهو عبـارة عن واقعة خيالية حدثت بمدينة منفيس المصرية على عهد الفراعنة ايام « امونصرو » نجاشي الحبشة الذي هـو والد عائدة وكان امونصرو هذا في حالة حرب وعداء مع فرعون زمانه فوقعت ابنته عائدة في اسر خصمه فرعون وبذلك دخلت في رق ابنته « امنريس » البديعة الجمـال فتعلق كل من البنتين بالضابط « ردامس » رئيس الجيش الذي جهزه فرعون لمحاربة النجاشي إلّا ان هذا الضابط احب عائدة حبا شديدا وكان يجهل انها ابنة النجاشي المامور بمقاتلته فاحدث عشق ردامس لعائدة في قلب «امنريس» ابنة فرعون غيرة شديدة وبينما كان الامر كذلك انتصرت جيوش فرعون المتامر عليها « ردامس » على جيوش النجاشي ووقع امونصرو اسيرا بين يدي فرعون ففرح فرعون بذلك واراد مـكافاة ضابطه ردامس بتزويجه ابنته « امنريس » إلّا ان « ردامس » كانت اميااله القلبية مصوبة نحو « عائدة » ابنة النجاشي المغلوب وكان للنجاشي احساس بغرام « ردامس » نحو ابنته فحملها على استعمال الحيلة نحو عشيقها للكشف عن اسرار برامج

الاعمــال الحربية التي بقي لفرعون اجراءها بالحبشة وبينما كان النجاشي وابنته عائدة والضابط ردامس يأتمرون ضـد فرعون اطلعت « امنريس » ابنة فرعون على حديثهم واسرعت باعلام ابيها سعيا منها ليفتك فرعون بضرتها عائدة إلّا ان اباها كان امر الضابط ردامس اكثر من غيره فحكم عليه بان يقبر حيـا وعندئذ سعت « امنريس » لانقاذه لانها كانت تحبه إلّا انها لم تفلح فلما علمت عائدة بما سيئول اليه امر عشيقها ردامس من دفنه حيا سبقته سرا للقبر لتموت معه في آن واحد

اليوم التاسع

من زيارة الحضرة العلية لباريس

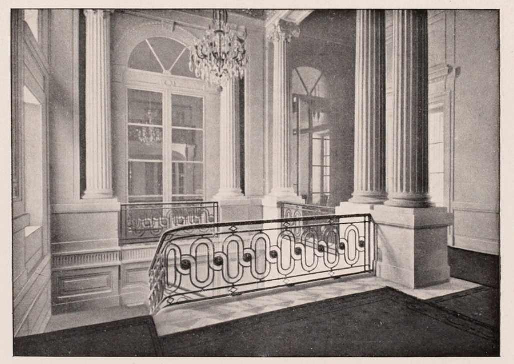
(يوم السبت في ١٠ يوليه ١٩١٢)

في صباح هذا اليوم الذي هو ختام ايام الزيارة الملكية لباريس تلقى سمو الحضرة العلية مراسم الوداع من الذوات والاعيان وعند زواله اقـام سموه مادبة فاخرة بسراية كريون دعى اليها الكثيرين من اهل الحيثيات وممن لهم عـلاقة بمملكته المحروسة وكانت اطعمة تلك المادبة المرصعة بافخر واثمن المواعين هي الاتية

مفتح روسي

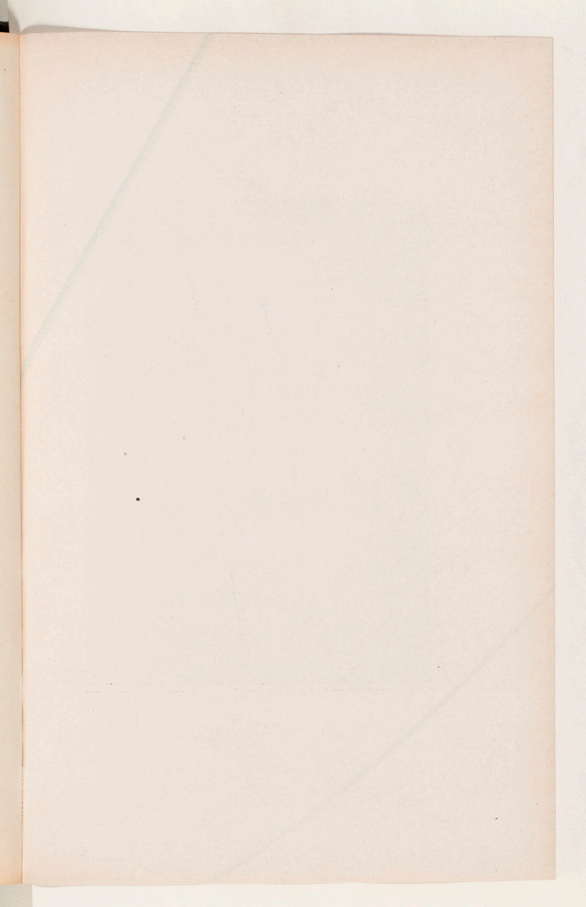
بيض الجنة

لحم بقري بارد



مطلع المدرج الكبير بسراية كريون

136



خضرة الملكة

مرق المنتهة

سلاطة الايالة

لوبيا خضراء بالزبد

جلاطو ملوكي

حلاويات اللذائذ

فواكه شتى

وكان اذاك رئيس العسة المصونة وشيخ المدينة وبقية اهل الحاشية ورجال السرايا على قدم وساق في تهيئة اسباب السفر وفي انجاز الاوامر والنواهي الصادرة من سموه لاتمام ذلك فكانوا يباشرون ذلك بكل نصح وحزم وواصلوا بالنهار ليلتهم حتى الصباح وشاع خبر اقتراب سفر سموه بين اهالي باريس على السنة الصحف السيارة مما حمل ابناء باريس على القدوم وفودا اثر وفود لبطاح الوفاق بقصد مشاهدة طلعته السنية التي رسمت جرائدهم شمائلها الكريمة في اعدادها اليومية اثناء اقامته بباريس ولما جن الليل غصت البطاح بالخلائق وعلت الاصوات حتى كادت ان تبلغ السماء سيما عند وصول وفود المدارس الذين اقاموا تحت نوافذ السرايا الملكية هتافا عظيما ازداد مهابة وتاثيرا بمرور عصابات ووفود المشاعل والدفوف العسكرية التي مرت تلك الليلة تحت انظار سموه ببطاح الوفاق وشوارع باريس

اليوم العاشر

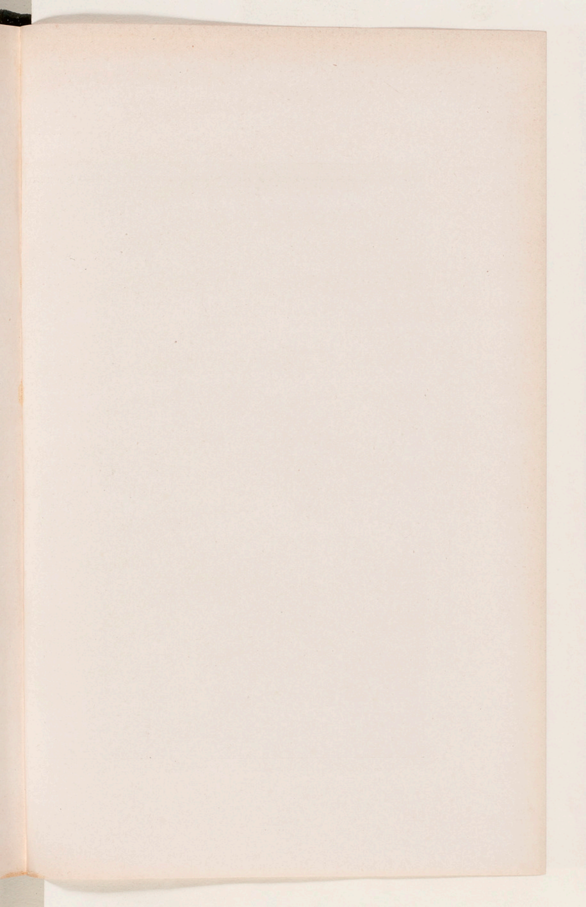
من رحلة الحضرة العلية وهو يوم الرحيل من باريس

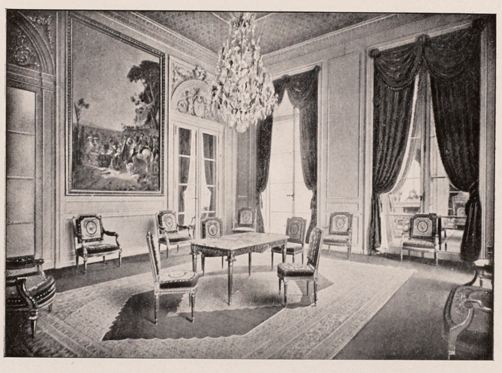
(يوم الاحد في ٢١ يوليه ١٩١٢)

في صباح هذا اليوم تحرك الركاب الملوكي قاصـدا قصر الرئاسة الجمهورية بقصد السلام على فخامة الرئيس مسيو فليار قبل مبارحة الديار الفرنساوية وكان مولانا الكريم مصحوبا بجناب الوزير المقيم العام وبجناب الوزير المفوض كاتب الدولة العام وبانجاله ووزرائه ورجال حاشيته فلما دخل الموكب السامي لبطحاء القصر ادى لسموه السلام طابور من عساكر التريس تتقدمهم موسيقاهم وتخفق على رؤسهم راية الطابور وكان في استقبال حضرته العلية هنالك جناب الوزير مسيو مـولار رئيس ديوان التشريفات والكولنيل فينلون كمندان العسة وبقية رجال الدائرة الرئيسية وفي الحال ارتقى سموه مدرج القصر فتلقاه فخامة الرئيس بالبـهو الكبير ودخلا قاعة الاستقبال حيث جلس فخامته وسموه يتحادثان نحو الاربعين دقيقة وكان مجلسهما موسوما بمظاهر الولاء الوثيق وشعائر الوداد الراسخ وفي نهاية المجلس توادع جنابهما العالي باجمل عبـارات الوداع وكادت مصافحتهما لا تنفك لفرط الاشتياق والتعلق ثم صافح فخامته النجلين الكريمين والوزيرين التونسيين والمقيم العـام والكـاتب العام وتكرم بمصافحة كافة اهل الحاشية السنية داعيا في آخر حديثه بسعادة الحضرة العلية وعمران المملكة المحمية

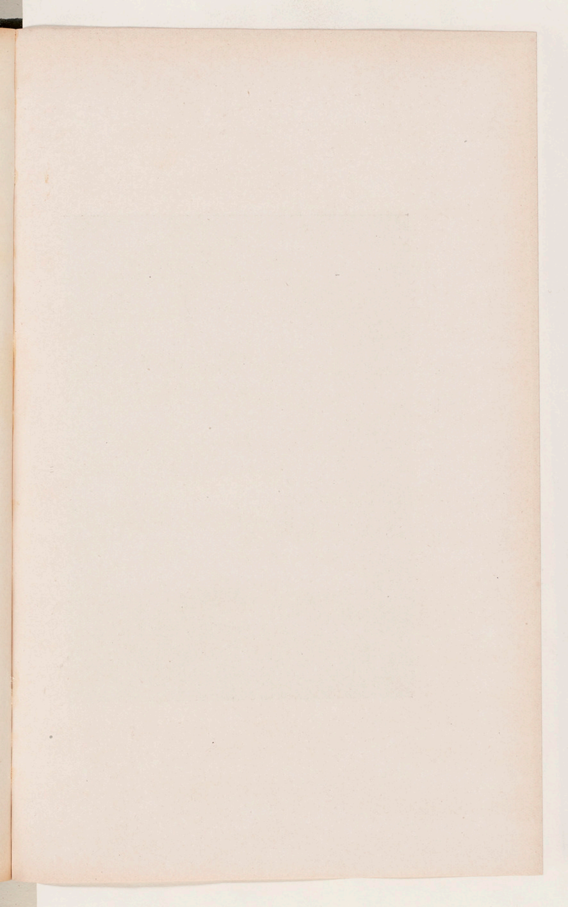


موكب الحضرة العلية عند توجه سموها لزيارة فخامة رئيس الجمهورية بقصر الرياسة





قاعة التشريفات بسراية كريون



140

ومن هنالك عاد الموكب في بهجته واقباله لسراية كريون حيث تلقى سموه مراسم السلام والاحترام من وكيل السراية ورجالها وفي ذلك الحين امر سموه بالرحيل فركب سموه عربة سريعة مصحوبا بجناب مسيو الاتيت وركب نجلاه وبقية الوزراء واهل الحاشية العربات المخصصة لهم وسار الموكب توا لموقف السكة الحديد

فلما دخل سموه للمحطة كانت واجهتها وجهاتها مزدانة بمجموعات الرايات واكاليل الزهور والرياحين واذاك ادت له فرقة عسكرية مراسم السلام والاحترام وترنمت الموسيقى بالسلام الملوكي الحسيني وحينئذ استحضر سموه الكاتب العام بولاية مقاطعة السين واذن باعطائه الفين من الفرنكات لصندوق الفقراء بباريس فتلقى ذلك المامور العالي تلك الهبة الملوكية بمظاهر الامتنان والشكر الجزيل

ثم ان سموه تلقى مراسم الوداع من الوزراء والذوات الوافدين بقصد السلام على حضرته وكان ضمن اوليك الاعيان مبعوثو فخامة رئيس الجمهورية فاستدني سموه من حضرته جناب باش كاتب القصر الجمهوري وكلفه بتبليغ اعطر التحيات واجمل عبارات الوداد لفخامة مسيو فليار وان يقول له بلسان سموه ان حضرته لا تنسى بعد الاكرام الذي لاقته من الدولة الفرنساوية اثناء اقامتها بباريس كما ان حب فخامته امسى شديد التمكن من قلبه الشريف ثم بعد ان صافح سموه وجوه المشيعين مصافحة الكرام ارتقى وجناب المقيم العام ورجال الحاشية السنية العربة الرئيسية التي خصصها فخامة مسيو فليار لارتحال سموه الملوكي ولما كانت الساعة التاسعة تماما تحرك رتله الخاص مجدا في السير قاصدا مرسى طولون

وكان سموه اثناء السير يسرح انظاره في المغروسات الزبرجدية والمياه الدافقة من كل صوب وحدب وعند الزوال دخلت حضرته وانجاله والوزراء ورجال الحاشية لمائدة الطعام بالقطار فاكل سموه من الاطعمة الاتي بيانها

مفتح متنوع

بيض في القالب

قدة بقري طري

لحم طير

فاصولية فرنساوية

جلاطو

سلاطة

فواكه شتى

وبعد ان انتهى سموه من الفطور اختلى بغرفته الخاصة للاستراحة بقية قيلولة ذلك اليوم ثم استحضر الوزراء في العشي فجلسوا بحضرته وكان الحديث بين سموه وجناب المقيم العام يحوم حول حضارة باريس وما للامة الفرنساوية من السبق في ميدان التمدن والترقيات العصرية التي ستبقى شواهدها محكمة النقش بذهنه الملوكي الى ما شاء الله

ولما حلت ساعة العشاء دخل سموه والاعيان الذين بمعيته لقاعة الطعام فاكل سموه واكلوا من الاطعمة الاتية

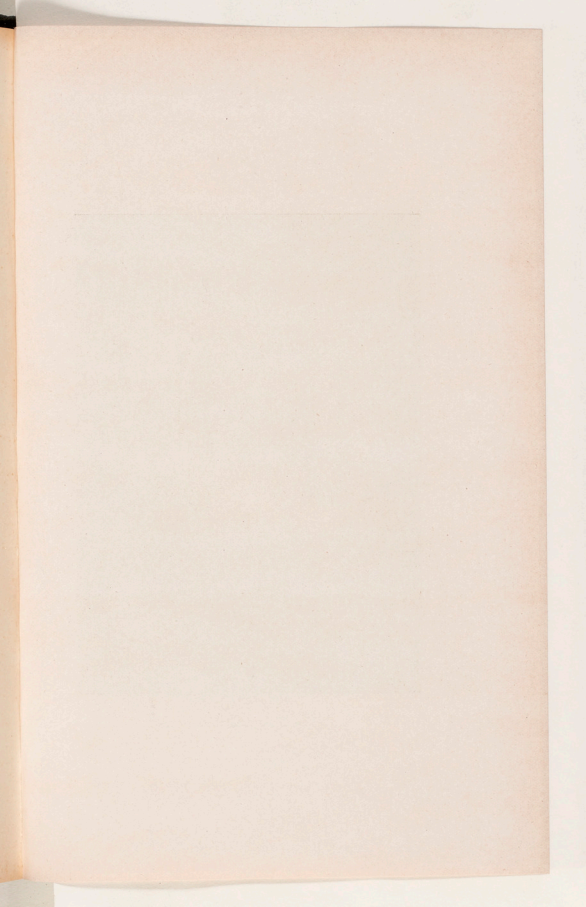
شوربة بالكريمة على ذوق الكنتيسه

طورطة اسبانيولية

سمك على ذوق بلاد دياب



مدخل بستان الشتاء بسراية كريون



لحم بقري على ذوق الاندلس

كرفس طري

دجاج مشوي

سلاطة خص

جلاطو

فواكه متنوعة

ولما خرج سموه من مائدة الطعام كان القطار مشرفا على الوصول لمدينة طولون التي اخذت في تلك الآونة حظها من الزينة والتاهب لاستقبال الملك الكريم والضيف العظيم ولما دخل الرتل الملوكي لمحطة البلد على الساعة العاشرة ليلا كان في انتظاره والي المدينة وحكامها من عسكريين ومدنيين وكانت العساكر من جميع الاسلحة مصطفة سموطا سموطا لاداء مراسم الاحترام لسموه فنزل سموه لرصيف الموقف على نغمات السلام الحسيني والنشيد الوطني الفرنساوي واذاك تقدم اوليك الاعيان نحو سموه وحيوه تحية الملوك فتكرم سموه بمصافحة الجميع وانتظم في الحال موكب المسير من المحطة للترسخانة واذاك ارسل سموه لفخامة رئيس الجمهورية التلغراف الاتي نصه

الى فخامة مسيو فليار رئيس الجمهورية الفرنساوية

مرادي قبل مبارحة التراب الفرنساوي ان انهي لفخامتكم تشكراتي عما لاقيته منكم ومن الحكومة الجمهورية وكافة الامة الفرنساوية من حسن القبول ولقد بقي بذهني من بلادكم وبحريتها الباسلة وجيشها القوي

العتيد ومعاملها النشيطة ومناخ ارضها وجمال عاصمتها وبالاخص لطف بنيها تذكارا جميلا لا يمحوه كر الدهور ويروق لي اليوم ان اصرح لرعيتي ان العواطف الشريفة التي افصحتم وبرهنتم عنها بتاكيد في السنة الماضية اثناء رحلتكم بالمملكة التونسية انما هي عواطف الامة الفرنساوية قاطبة وان هذه الامة لجديرة بامتناننا وتعلقنا الى ما شاء الله

الامضاء — محمد الناصر باي

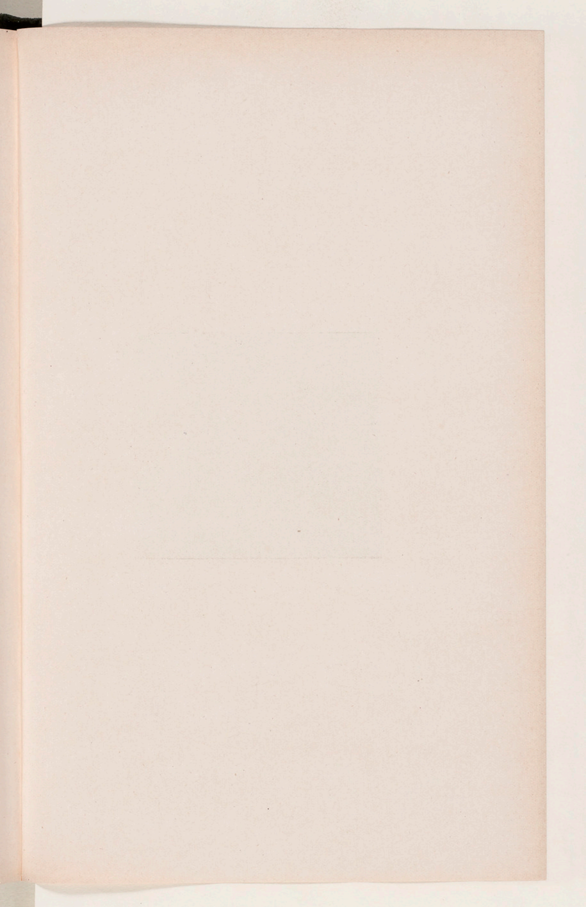
هذا وبمجرد وصول الركاب الملوكي للترسخانة تلقى سموه مراسم الوداع من جناب المقيم العام ومن والي طولون وشيخ المدينة بها وحكامها العسكريين والبحريين ثم ارتقى بين مظاهر التعظيم والتكريم متن الدارعة فيكتور هوقو التي حملت ذاته الشريفة قبل ذلك بعشرة ايام ولما كانت الساعة الثانية عشر ليلا اقلع القابور وكان الجو معتدلا والهواء عليلا

وقبل مبارحة الحضرة العلية لطولون طيرت وزارة البحر اشارة برقية بلا سلك لقائد الاسطول الفرنساوي الذي كان اذاك باكمله بصدد اجراء مناورات بحرية على مقربة من شرقي جزيرة سردانيا بمحضر جناب مسيو دلكاسي وزير البحر ان يجعل حركة تلك المناورات مدبرة بكيفية تمكن الحضرة العلية عند مرورها في عشي غداة تلك الليلة بمياه سردانيا من استعراض كامل الاسطول الفرنساوي والاشراف على مناورات سفنه القوية العتيدة

اما الحضرة الشامخة فقد قضت بقية ليلة يوم الاثنين بفراشها الناعم وفي صبيحته استحضرت بمجلسها الكمندان كلارك قايد الدارعة التي تشرف بصحبتها في المجي من بنزرت لطولون ثم قضت بقية الصباح في

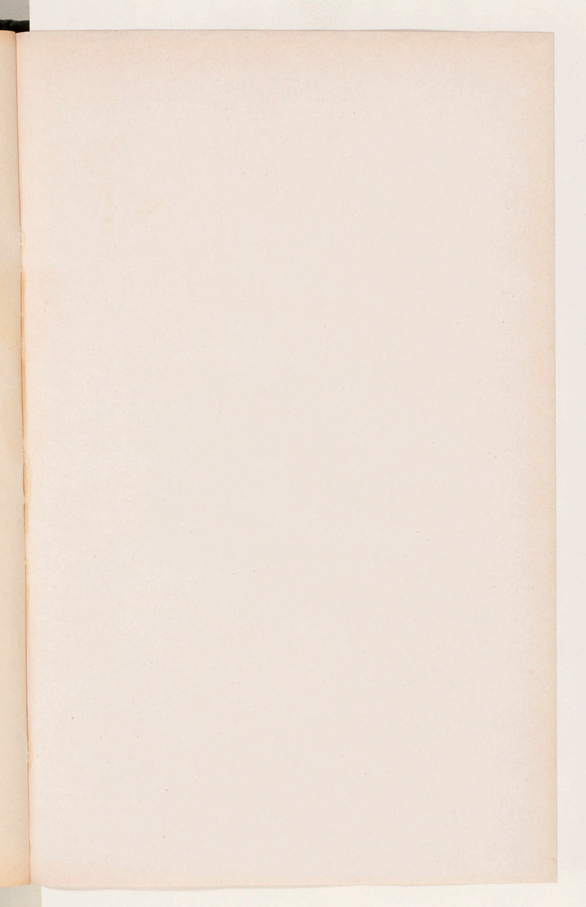


الحضرة العلية وليسارها نجلها الاكبر وكمندان الدارعة





الدارعة فرلنتر وعلى ظهرها وزير البحر
عند اجراء المناورات



145

مناديه وزرائها وفي حديث ما شاهده الجميع من العجايب والغرايب بالديار الباريسية ولما كانت ساعة الفطور شرف سموه مائدة الطعام واكل من الالوان الاتية

مفتح متنوع

بطيخ مبرد

طا طه بالجبن

سمك من نوع المداس

لحم الخروف

قلب الخص

لحم طير مشوي

سلاطة

جلاطو

فواكه

ولما تم الفطور كانت الدارعة فيكطور هوكو على مقربة من جزيرة سردانيا وبعيد الساعة الثالثة كانت ملاقاتها بسفائن الاسطول الفرنساوي فادى الاسطول باكمله مراسم السلام والاحترام لسموه ونشر وزير البحر الراية التونسية باعلى مدرعته وهتف جميع النوتية بعبارات الدعاء لحضرته العلية فكان المقام مهيبا بحضور الطلعة الملكية رهيبا باصوات المدافع التي كان يرتج لها البحر رجا واذاك شرع قائد الاسطول في اجراء المناورات الحربية تحت انظار سمو الحضرة العلية والدارعة الملوكية آخذة في السير

رويدا رويدا الى ان تم المقصود فاستأنفت سيرها السريع بحساب عشرين ميلا بحريا في الساعة

وبينما كانت الدارعة فيكطور هوقو تشق عباب البحر ورد على سموه رسالة بالتلغراف اللاسلكي من جناب وزير البحر وهذا نصها

اني لمتأثر جدا مما صرحت به حضرتكم العلية من عبارات الثناء على البحرية الفرنساوية والتمس من سموكم ان يتفضل بقبول تشكراتي مع الدعاء لحضرتكم العلية بسلامة الاياب للمملكة التونسية

الامضاء ـ دلكاسي

وعند الساعة السابعة ونصف شرف سموه مائدة العشاء فاكل من الاطعمة الشهية الاتي بيانها

شوربة بيطاطة العشاق

كنبار بوردو

حمام

لوبية خضراء انكليزية

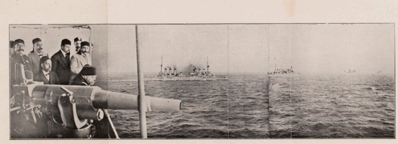
شواء بقري

سلاطة بالخص

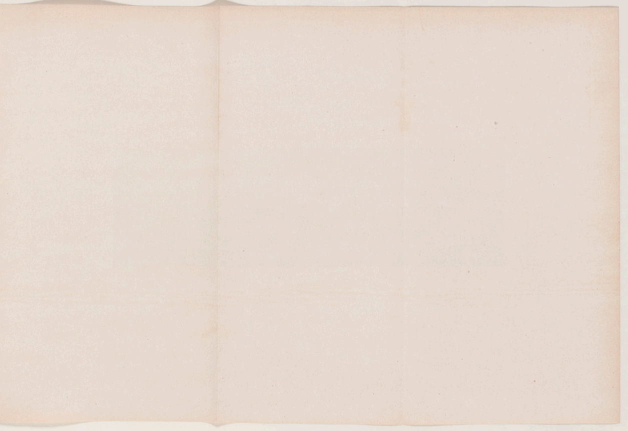
جلاطو

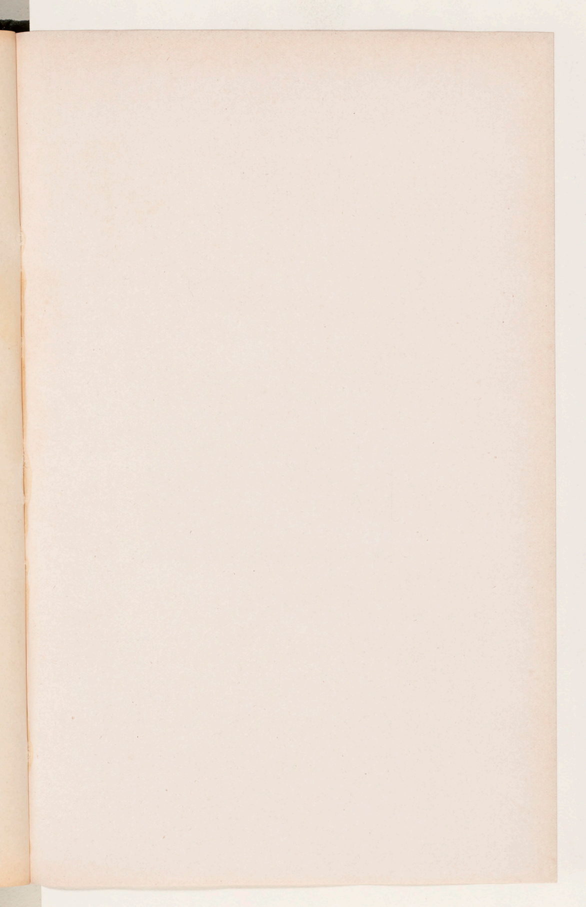
حلاويات محشوة بالثمار

فواكه شتى



المناورات البحرية التي اجريت تحت انظار الحضرة العلية يوم ٢٢ يوليه ١٩١٢ اثناء رجوعها من فرنسا





هذا وبعد تمام العشاء وموانسة لطيفة تشرف بحضورها الوزراء وكمندان الدارعة دخل المقام الملوكي لغرفة نعاسه حيث قضى ليلة الثلاثاء التي اسفر صباحها عن وصول ركابه السامي لعاصمة المملكة التونسية حيث القلوب كانت تخفق فرحا ومسرة ولسان حالها يقول

بقيت بقاء الدهر ياكهف اهله وهـذا دعـاء للبرية شامل

وصول الموكب الملوكي

لميناء حلق الوادي ودخوله للحاضرة التونسية

(يوم الثلاثاء ٢٣ يوليه ١٩١٢)

لما تعين وصول الحضرة العلية لعاصمة تونس صبيحة ذلك اليوم كانت الحاضرة قد اخذت اهبتها لاستقبال سموها الملوكي بما يليق بفخامة الملك الحسيني ويشهد بتعلق حكومة البلاد بصاحب المملكة التونسية فتجلت يومئذ تونس المحروسة في ابدع مظاهر الزينة ولبست من الجمال ثوبا قشيبا فكانت الاكاليل والاعلام خافقة ذات اليمين وذات الشمال من رصيف المرسى الى موقف السكة الحديد بشارع باريس واتخذ المجلس البلدي الوسائل الكافية لتحقيق راحة السكان ووفود المتفرجين وجموع المستقبلين وجعل ترتيبا لسير العربات بالحارة الاروباوية واصدرت الكتابة العامة الارشادات والتعليمات الوافية لادارة المحافظة ولمشيخة المدينة لرسم خطة كل هياة دعيت للمشاركة في الاستقبال

ولما انبلج صبح يوم الثلاثاء كانت الشوارع ممهدة بالكنس والرش والعاصمة معيدة وافواج الاهالي يتقاطرون جموعا تلو جموع الى رصيف

مرسى تونس واهل الحيثيات والمظاهر الرسمية متجملين بملابس الاعياد والمواكب الكبرى وفي مقدمة الجميع اعضاء البيت الحسيني السني وجناب الوزير المفوض مسيو ديبورت معتمد السفارة العامة وجناب وزير الحرب الجنرال بيستور قائد جيش الاحتلال وجناب مسيو بلان الكاتب العام وبقية مديري الادارات الكبرى بالدولة التونسية

وفي حدود الساعة السادسة صباحا اقلعت من مرسى تونس المدرعة النسافة « بيك » وعلى ظهرها كل من جناب المعتمد السفاري وجناب الجنرال بستور وجناب الكاتب العام وقصدت مياه حلق الوادي حيث وصلت لدى وصول المدرعة فيكتور هوكو وفي الحال صعد ثلاثتهم لمتن الدارعة الملكية وقدموا مراسم الاجلال والاحترام والتهنئة بسلامة الوصول للحضرة العلية ثم قدم لسموها جناب المعتمد المشار اليه رسالة تلغرافية وردت باسمها الشريف من طرف فخامة رئيس الجمهورية جوابا عن التلغراف الذي خاطبه به سموه عند مبارحته لمياه طولون ونص ذلك

الى سمو سيدي محمد الناصر باي صاحب المملكة التونسية

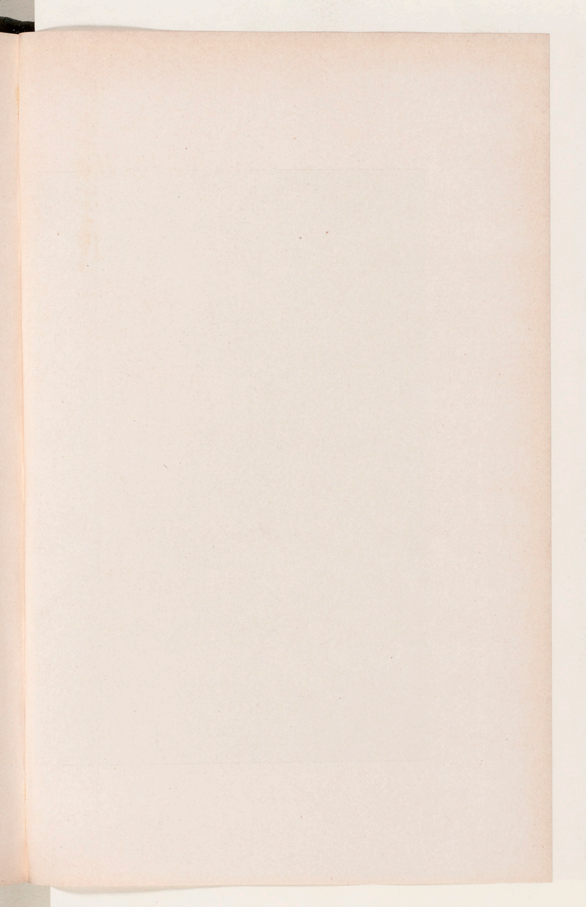
انهي لسموكم تشكراتي عن الرسالة التلغرافية اللطيفة التي خاطبتني بها حضرتكم العلية ساعة مبارحتها لثغر طولون في الاعراب عن ابتهاجها من كون سموكم عاد من رحلته بتذكار جميل وانه امكنه ان يقدر الوداد الخالص الذي يخالج الدولة الفرنساوية نحو المملكة التونسية من اجل ما شاهدته حضرتكم من شعائر الاعتبار والولاء والاحترام

الامضاء ـ فليار



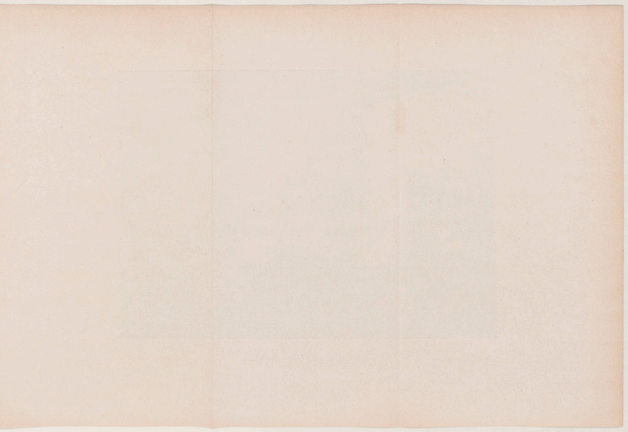
جناب الوزير مسيو دوبلير وجناب الجنرال بستور وجناب الكاتب العام مسيو بلان متوجهون على متن النسافة بيك لاستقبال الحضرة العلية بمياه حلق الوادي

148





الحضرة العلية على متن الدارعة فيكتور هيغو وليمينها جناب الوزير مسيو دو بابر معتمد السفارة وجناب مسيو بلان الكاتب العام
وليسارها جناب الوزير لاكبر يكمندان الدارعة



كذلك سلم جنابه لسموه تلغرافا آخر ورد لحضرته من جنــاب مسيو بوانكاري رئيس الوزراء ووزير الخارجية ونصه

الى سمو سيدي محمد الناصر باي صاحب المملكة التونسية

لقد تاثرت جدا لما اظـهرته حضرتكم السامية نحوي من العنـاية اذ وجهت نجلها ووزيرها للنيابة عنها بمشهد جنازة ابن عمي مسيو هانري بوانكاري واني لمبتهج بالاعراب لسموكم عن امتناني الشديد لهذا الالتفات العظيم ومرغوبي ان اجدد لكم القول بان الحكومة الجمهورية حصل لها السرور بزيارتكم ولهـا الرجاء بان سموكم قد حفظ من اقامته بديارنا ما يحقق لديه شعائر الوداد والامان الجامع حبله بين فرنسا وتونس

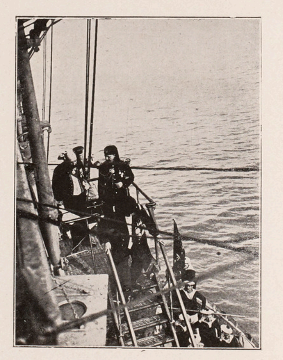
الامضاء ــ بوانكاري

وبعد ذلك انتقل سموه والمعتمد والجنرال والكاتب العـام وانجاله ووزراؤه ورجال حاشيته من الدارعة الملكية للدارعة النسافة واذاك اطلقت المدافع من قلعة حلق الوادي وترنمت موسيقى البحرية بالسلام الحسيني وهتف جميع النوتية بعبارة « هورا » الدالة في اصطلاحهم على معنى الدعاء بالنصر والتمكين ونشرت النسافة « بيك » الراية الملوكية الحسينية بـاعلا صواريها كما كانت اختها خافقة فوق المدرعة فيكـطور هوكو وسارت المدرعة النسافة قاصدة مرسى تونس مخفورة بعدة نسافات حربية اصغر منها حجما ولما كانت الساعة التاسعة وصل سموه لقاعدة ملكه بعافية وسلام وعندئذ تعلق نوتية النسافة « بيك » بشرافات وصواري وحبـال السفينة وابتهلوا بالدعاء المصطلح عليه في عرفهم لسمو الحضرة العلية وفي آن واحد قرعت الطنابير وعزفت الموسيقات العسكرية الفرنساوية والتونسية وكذلك

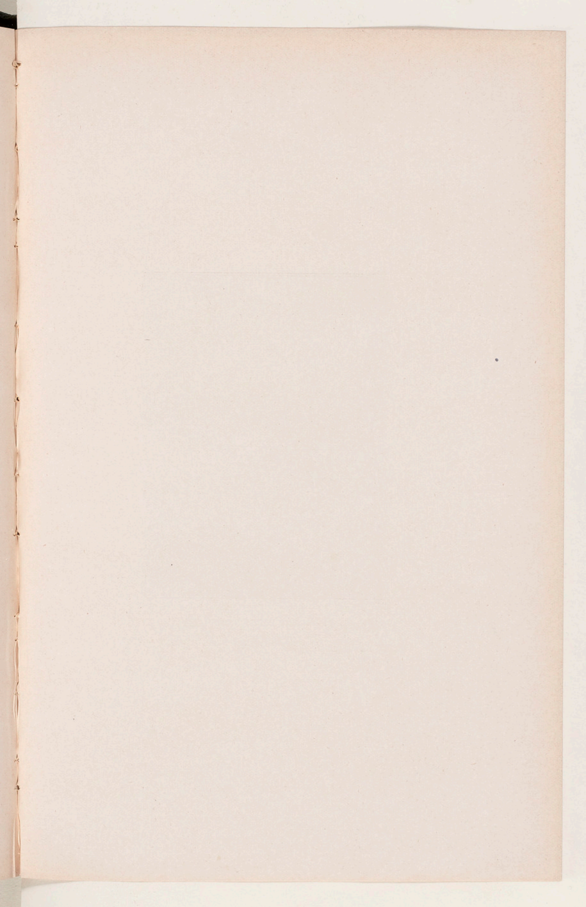
موسيقى الجمعية الناصرية بينما كانت المدافع تبرق وترعد من برج الجلاز فنزل سموه لرصيف المرسى حيث مدت الزرابي وفرش بيت القمرق بافخر الرياش وهنالك تلقى سموه مراسم التهنئة والاحترام والولاء من افراد عائلته الشريفة ثم من الجنرالات والضباط الفرنساويين ثم من اكابر المتوظفين ثم من اعيان المستقبلين وكان في طليعة هولاء اعضاء مجلس الشورى من الاهالي النائبين عن حاضرة تونس والقيروان وسوسة وصفاقس والوطن القبلي وحينئذ قامت ضجة هتاف بلغت عنان السماء وكرر لسان عامة المتفرجين عبارة « الله ينصر سيدنا » مرارا متوالية بما كان له اجمل وقع وابلغ تاثير في نفسه الكريمة لمشاهدته عيانا مقدار ما لسموه من المكانة بقلوب رعيته المتعلقين باذياله تعلق الابن البار بابيه الشفيق

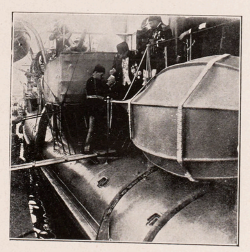
وبعدئذ انتظم موكب سموه فركب جنابه العالي عربته الملوكية وركب ليساره جناب معتمد السفارة الفخيمة وامامه جناب الجنرال بيستور وركب في العربة الثانية البرنس سيدي المنصف باي وجناب الوزير الاكبر وجناب وزير القلم وجناب الكاتب العام وركب في العربات الثالثة والرابعة حتى العاشرة امراء البيت الحسيني وركب بقية الذوات ورجال المعية والحاشية السنية بالعربات المخصصة لهم وسار الموكب محفوفا بمظاهر المهابة والاجلال مخفورا بفرقة من خيالة افريقيا وبفرقة من خيالة البوليس وبخيالة الاوجاق فاخترق اسمطة الجيوش الفرنساوية والتونسية مارا بشارع بيشور فشارع البحيرة الطويل العريض فشارع باريس الى ان وصل موقف السكة الحديد

151

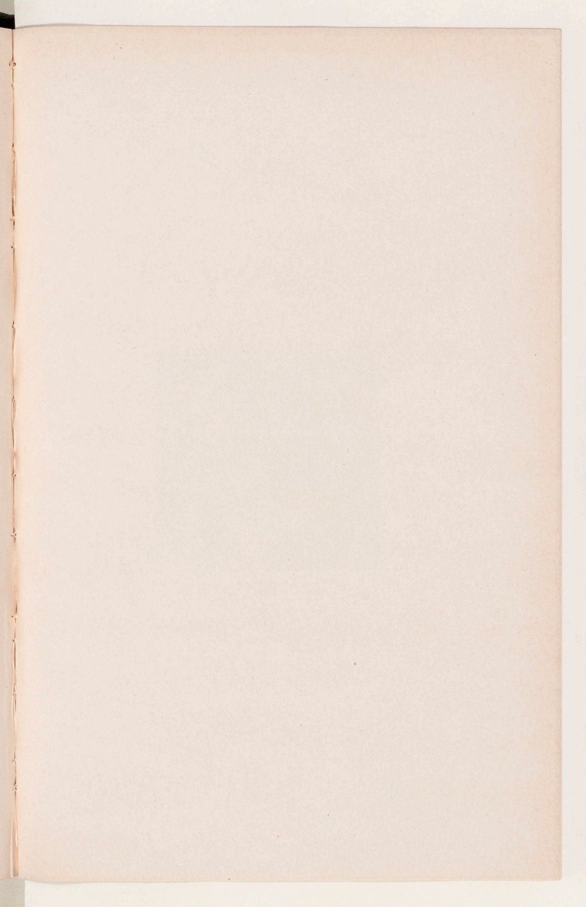


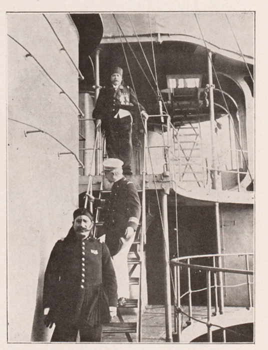
نزول الحضرة العلية من الدارعة لمياه حلق الوادي
وانتقالها للنسافة بيك للدخول لمرسى تونس



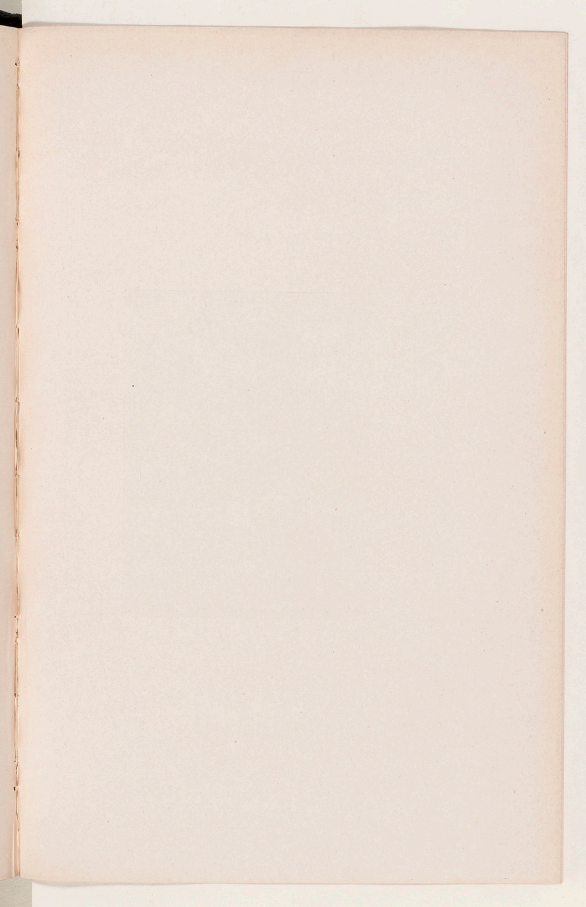


نزول الحضرة العلية من النسافة بيكث
الى رصيف مرسى تونس





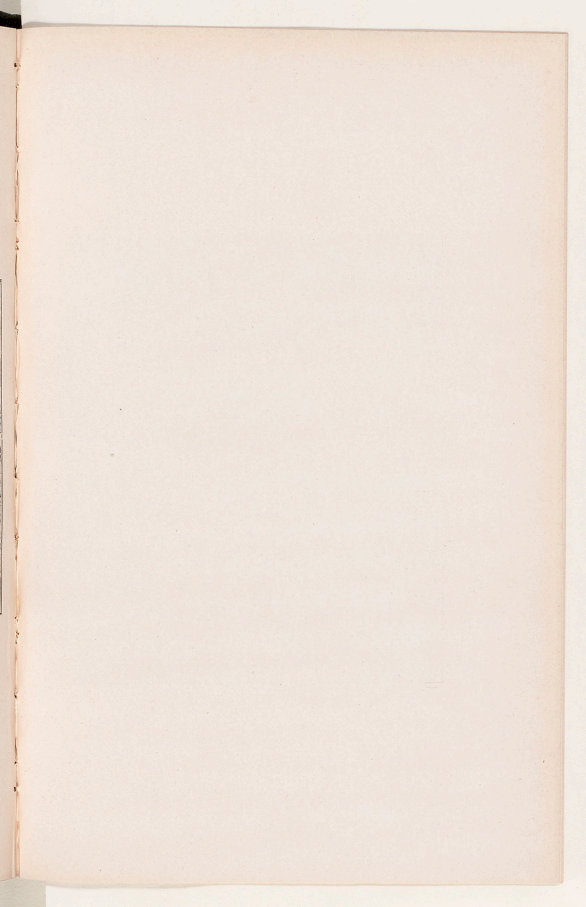
نزول الحضرة العلية الى البر

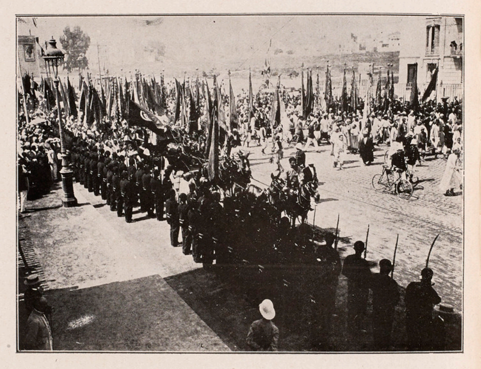




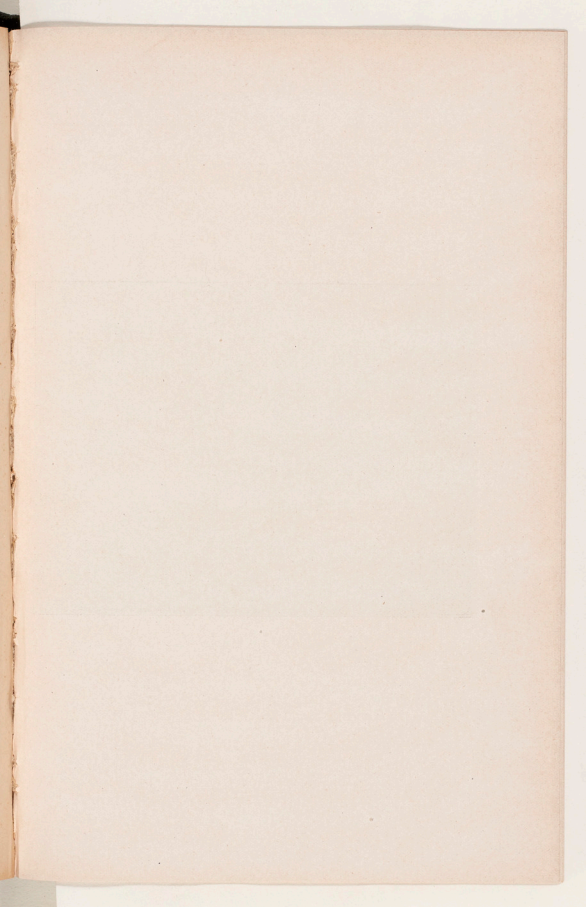
قدوم الحضرة العلية لبهو القمرق الكبير لتلقي مراسم التهاني من رجال الدولتين بالحاضرة

154





موكب الحضرة العلية عند دخولها لمدينة تونس



وكان في تلك الاثناء شيوخ طرق الذكر والمريدون متجمعين باكملهم برصيف المرسى ناشرين سناجق زواياهم وخلواتهم ولسانهم يسبح لله حمدا وشكرا برجوع مولانا الكريم غانما سالما وكان مدير المحافظة وكميسارات البوليس واعوانهم من سائر الطبقات يحافظون على النظام بكيفية استوجبت لهم الشكر المزيد لانه بالرغم عن ازدحام الالوف المولفة من الخلايق من كل الملل والنحل لم يحدث بفضل الله لاحد شيء من القلق والتكدير

هذا وبمجرد وصول ركابه لمحطة السكة الحديد صعد رتل الخاص فصرخ الرتل صرخة الفرح والغرام ونادى ببلد المرسى مقر الملك الضرغام

يا شاطيء المرسة السلا م عليك يانزهة العيون

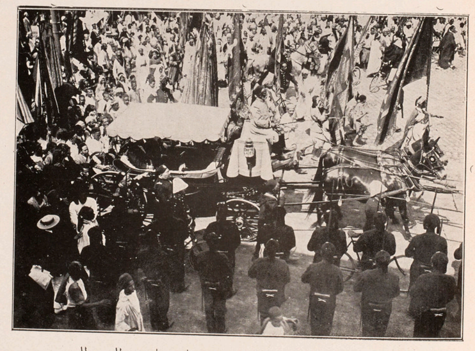
وتقدم وصول القطار الملوكي للمرسى وفود افواج الخلايق من السكان والخلايعية والمتفرجين حتى اليهود بنسوتهم وبناتهم الى ان ملاوا رحب الفضاء فكانت المحطة وابطحتها والطرق غاصة كانه المحشر فلما وصل الركاب السامي قامت ولولة وزغردة نسوانية وتصفيق وهتاف وضجة فرح بلسان عموم الحاضرين كادت ان تصم اليها الآذان واذاك نزل سموه من العربة الملكية ودخل قاعة الاستقبال وكانت ءاية في التنميق والتنسيق لتلقي مراسم الطاعة والولاء من عامة المستقبلين

وتقدم ذلك تشكيل لجنة من اعيان المرسى بعناية الكتابة العامة اخذت على نفسها تحضير ووضع برنامج للافراح التي رغب عامة سكان ذلك البلد المعمور في اقامتها بمناسبة رجوع امير البلاد من سفره الميمون وانضم لتلك اللجنة نخبة من الوجهاء والاعيان نخص منهم بالذكر جناب

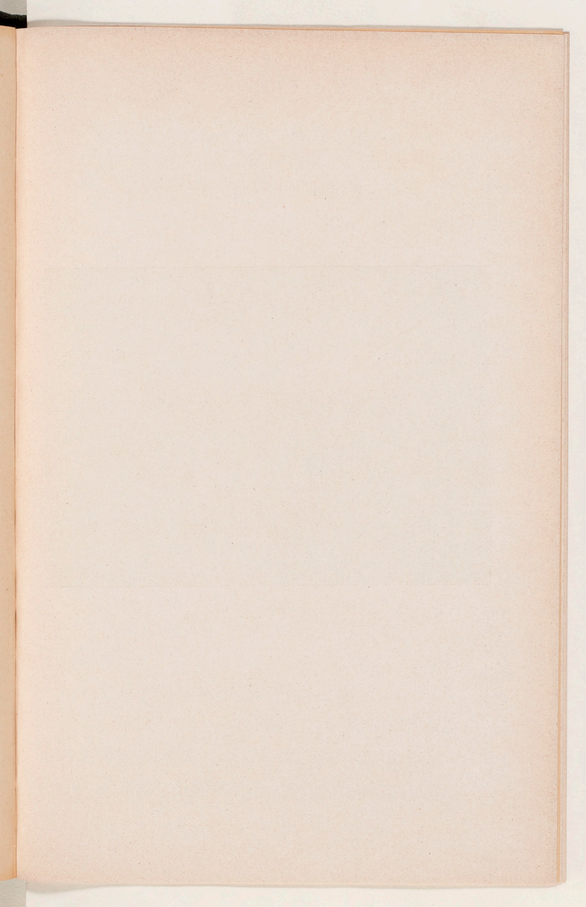
امير الامراء السيد عزوز بن عيسى وجناب امير اللواء السيد صالح بودربله رئيس العسة المصونة وصاحبنا الهمام السيد احمد السقاط عامل الاحواز ورئيس المجلس البلدي بالمكان والوجيه مسيو تيبودي المهندس المدني والكاهية للمجلس المذكور والعلامة الاستاذ صاحبنا الشيخ سيدي الطاهر ابن عاشور العضو بالمجلس المذكور والقاضي المالكي في التاريخ والمحترم الامير الاي السيد رشيد زكريا صهر الحضرة العلية وكاهية رئيس عستها المصونة والباش حانبه السيد شلبي مامي وكيل عمل الاحواز بالمرسى والاخباري مسيو دستري مدير جريدة الكوري دي تونزي

ولقد واصلت هذه اللجنة الكد بالجد والليل بالنهار الى ان احكمت نظام تلك الافراح على ما يرضي الخاصة والكافة وكان لفرع الدوحة المطهرة صاحبنا الشريف الشيخ سيدي محمد محسن الايادي البيضاء في تحقيق آمال اللجنة و رغائبها حتى انه لامكن بهمة هذا السيد الكريم تعميم اوراق الاكتتاب لجمع عطايا المتبرعين في اجل قريب وبذلك تمكنت اللجنة البلدية مع ما تكرم به جناب الشهم الهمام مسيو بلان كاتب الدولة العام من اقامة زينة فاخرة نهارية وليلية ببلد المرسى ايام وصول الحضرة العلية كما تبرع سمو البرنس سيدي احمد باي بتخصيص احدى البطاح التابعة لسرايته لاقامة رواية تياترية تضمنها برنامج الزينة وكما تطوع مسيو ميترال مدير شركة الترمواي الكهربائي بمد الاسلاك واسراج مواقع الاحتفال بالنور الكهربائي على نفقة ادارته

اما كيفية قبول سموها يوم وصولها السعيد فقد قدمنا لك انه لما دخل الرتل الملوكي للمحطة نزل المقام السامي لقاعة القبول بالموقف الحديدي



وصول الركاب الملوكي لموقف السكة الحديد بشارع باريس للتوجه للمرسى



واذاك تقدم لسموه رئيس وكاهية واعضاء المجلس البلدي بالمكان وبعد ان تشرفوا بعرض مراسم الولاء والاخلاص وعبارات التهاني تلى مسيو تيبودي الكاهية الفرنساوي بالمجلس خطابا اداه في الحال للعربية الشيخ سيدي الطاهر بن عاشور وهذا نص عبارته

يامولاي المعظم

بغاية السرور يقدم المجلس البلدي بالمرسى الذي اسس بامر سموكم لعهد قريب وافر اخلاصه وفائق تهنئته لحضرتكم بسلامة القدوم

ان حضرتكم لما سافرتم لاداء الزيارة الى فخامة رئيس الجمهورية الفرنسوية كانت امانينا القلبية مصاحبة لكم فاسمحوا لي الان بان اصرح لحضرتكم بالنيابة عن سكان المرسى من فرنسويين وتونسيين باننا جميعا مبتهجون في مدة اقامتكم بباريس المشبهة بمركز للعالم مما سمعنا من شدة اختصاص العناية الودادية بحضرتكم من الحكومة الفرنسوية ومن شدة الاعجاب والاحترام لكم من السكان الباريسيين

فان الامة الفرنسوية التى يطلق عليها حقيقة عنوان الاخت الكبرى لتونس كانت مفتخرة بابدائها لكم الشواهد العظيمة التي شيدت لها مجد بلادها

ولنا اليقين بانكم قد عدتم من سفركم مقتبسين زيادة رسوخ لارادتكم مهما امكنت الزيادة بمنح المملكة التونسية وسائل النهضة والعظمة اللتين لم تزل لحضرتكم العناية ببذرهما في هذه البلاد . لذلك يا مولاي فان سكان المرسى في ابتهاج برجوعكم من هذا السفر النافع للجميع . ولم يكفهم تقديم اجلالهم لحضرتكم بواسطة المجلس البلدي بل ارادوا جميعا ان

يبدوا مظاهر المسرة واشتركوا في احساسات الاحترام المملوءة بها قلوبهم من غير تمييز بين الاجناس .

وعند انتهاء هذا الخطاب شكر سمو الامير الجليل كافة الهياة البلدية وقال انه يؤمل من اخلاص رجالها منافع جمة للمرسى واعرب عن سروره من اتحاد العناصر المتساكنة فيها قائلا ان احتفالهم بلقائه مما يسره ويسر آل البيت الحسيني ثم اشار الى ما وجده من دولة الجمهورية والامة الفرنسوية من الحفاوة بزيارته وصرح بان هذه الزيارة سيعقبها خير عميم للامة التونسية

وبعد ان فرغ مولانا المعظم من كلماته الذهبية تقدم اليه الفاضل سلالة الكرام السيد محمد محسن والقى بين يديه الفقرات الاتية

يا حضرة مولانا العلي

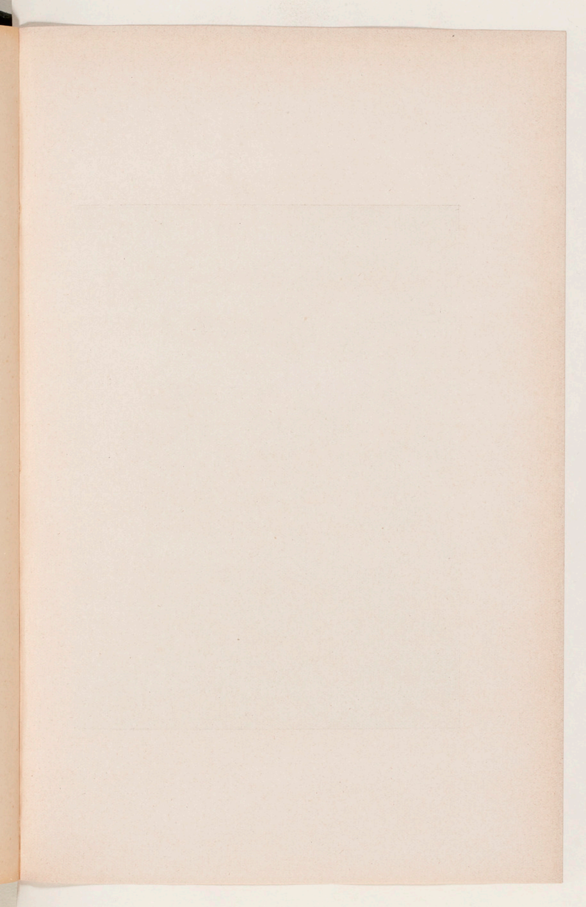
تتشرف اللجنة التي تشكلت لتنظيم قبول حضرتكم العلية بالمرسى المعمورة بان تقدم مراسم التهاني لسموكم الملوكي بمناسبة قدومكم المبارك وبان تحظى برضاكم وبعنايتكم العالية والمسؤل منه تعلى ان يمتعنا بطول بقائكم وبدوام دولتكم السعيدة آمين

ثم ان سموه اظهر بوجه خاص مزيد التفاته للشيخ سيدي محمد محسن الذي احكم بحسن تدبيره وذوقه السليم نظام الافراح المرساوية فرطب هذا السيد الشريف لسانه بصالح الدعاء لحضرته الملكية

واذاك تقدم نحو سموه فتيات مسلمات واسرائيليات في سن العاشرة من عمرهن وبايديهن باقات وردية مرصعة بالزهر رفعنها ليده الشريفة فتنازل ابقاه الله بلطفه المعهود لتناول تلك الرياحين مظهرا انشراحه لذلك



جموع الطرق وابناء الزوايا في استقبال الحضرة العلية عند وصولها لتونس



كما تنازل ابقاه الله لقبول باقة زهرية من يد ابناء الجمعية الودادية التونسية وكانت هذه الباقة موشحة برباط حريري يمثل الراية التونسية وفي آن واحد تناول من يد السيد محمد كردغلي رئيس هذه الجمعية خطابا في التهنئة هذا نص عبارته

الى الناصر الحامي الامارة باقة اذا اشرقت شمس المكارم لاحت
وما هى الا انفس عربية اذا جئتها كان الربيع ففاحت

ايها الملك المحبوب سافرت على الطائر الميمون وعدت والعود احمد بعد ان اطلعت على آداب الامة الفرنسوية الفخيمة وعلومها وفنونها في عاصمتها العصماء وسبرت اخلاقها من حيث ائتلاف القوم واتحادهم الاجتماعي وان الجمعية الودادية الاحتياطية التونسية التي تحاول ان تحذو هذا الحذو في ظلك الضافي ترفع الى مقام سدتك الملوكية عبارات التهاني ومراسم الاحترام بقدومك السعيد الذي ابتهج به القطر وافتر ثغره واتسقت غرره وانتظم دره سائلة الله عز وجل ان يطيل بقاء الملك العزيز وان تتوالى عليه الايام وهي اعياد ومواسم ووجهه وضاح وثغره باسم ومسك الختام ان اقول نيابة عن عبيدك مشتركي الجمعية الموما اليها ليعش سيدنا الناصر المعظم

وكذلك تنازل ابقاه الله لقبول باقة من الزهور من يد ابناء جمعية التعاون الاسرائيلية وتناول من يد السنيور جاك بشموط رئيس هذه الجمعية دعاء محررا باللسان العبري ضمنه صاحبه شعائر الخضوع والتعلق بالبيت الحسيني السني

وبينما كان الناس في جذل وهيام وهتاف تلك الجموع بالغ لعنان السماء ركب سموه عربته وقصد السرايا المعمورة فكان منظر الموكب حينئذ ياخذ بمجامع القلوب ومما زاده بهجة وجمالا حضور طاقم الموسيقى الملوكية ممتزجا بطاقم الموسيقى الناصرية وبشبان الجمعية الرياضية الاسلامية واخوان طرق الذكر فكانت الالسنة تسبح وتدعو والات الالحان تعزف وتترنم باناشيد الفرح والامة تنادي بدوام دولة الملك المحبوب المتظافرة على ولائه الالسن والقلوب

اما الافراح التي اقامتها اللجنة المشار اليها بتلك المناسبة السعيدة فاليك برنامج تفاصيلها

ملعب عربي عظيم دعت اليه اللجنة اشهر فرسان عمل الاحواز

تمرينات رياضية بعناية الجمعية الاسلامية

فصول الحان وغناء باسان الموسيقى الناصرية

العاب سيمياوية تحت ادارة النابغة السيد الهادي الارناووط

جوقة طرب واناشيد بعناية اشهر المغنين بقهوة الصفصاف

العاب نارية بقذف الشماريخ في بطاح الدار الكريمة

تمثيل رواية عربية بعناية جمعية الاداب

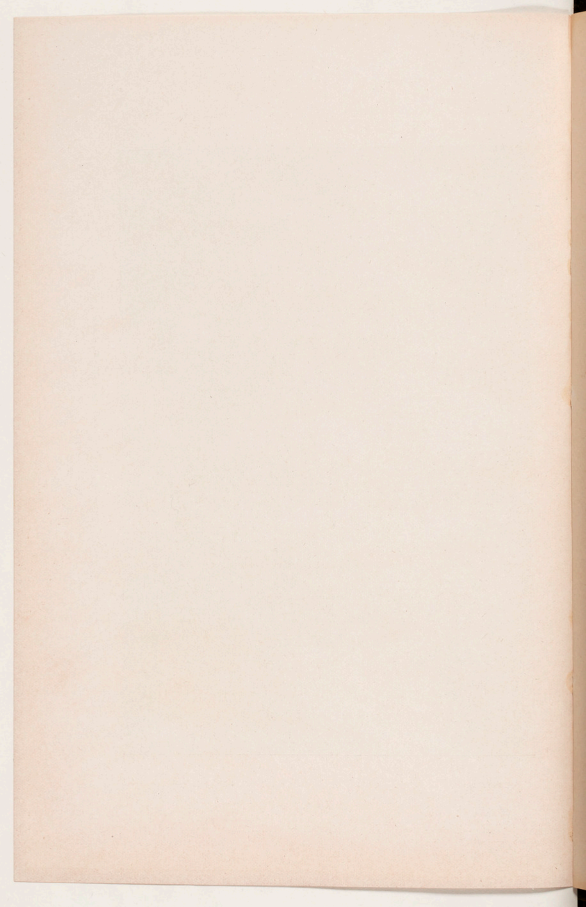
تمثيل روايات هزلية بعناية جماعة المضحك قويطه الاسرائيلي

ومن الاعمال الصالحة التي قررتها لجنة الافراح ان تكون فواضل الاموال المتجمعة بمناسبة تلك الاحتفالات مخصصة لاعانة فقراء الاهالي



الحضرة العلية وعايلتها الشريفة يوم رجوعها من السفر للمرسى المعمورة

161



اما الحضرة العلية فعند وصول ركابها السامي للسرايا الملكية دخلت في الحال لمحلات الحريم حيث اهل بيتها الكريم ولكن سموها علم عند ذلك ان ابطحة السرايا ومعابرها ومماشيها قد غصت بافواج المهنئين فتكرم ايده الله بالاشراف على اوليك الجموع مرارا الا ان اصوات الفرح والسرور كانت تزداد ارتفاعا كلما اقبل وفد جديد وحينئذ اذن سموه بادخال جموع المهنئين الحاضرين فدخلوا للسرايا وتشرفوا جميعا بلثم راحته الكريمة على معنى الطاعة والتحية والهناء

وكان ضمن جموع المهنئين وفد اعيان نابل يتقدمهم شيوخهم وعمدهم فلما امتثلوا بين يدي المقام السامي القى العالم الفاضل الشيخ السيد الطيب المرزوقي خطابا بليغا على اسماع الحضرة العلية وهذا نصه بعبارته

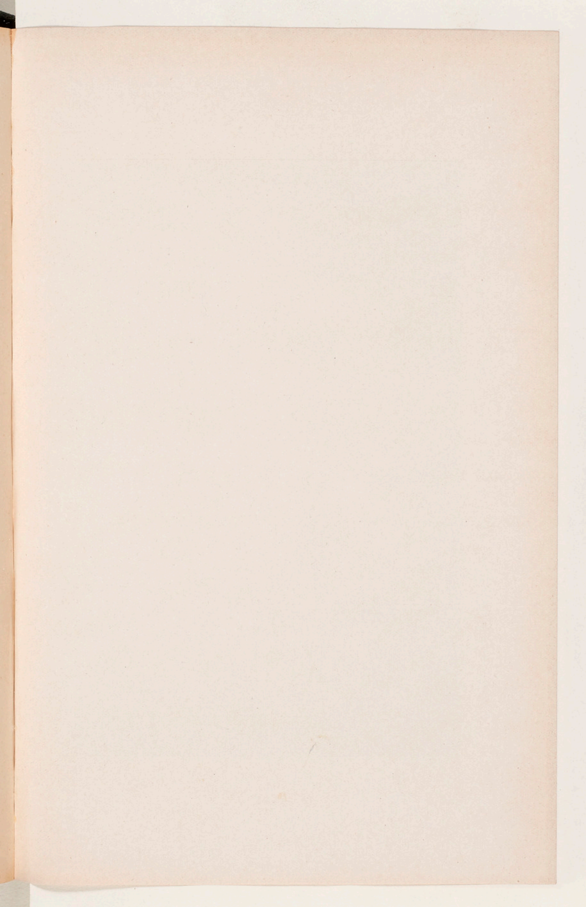
الحمد لله الذي جعل البيت الحسيني شهيرا . وجعل سيدنا ومولانا الناصر لهذا القطر اميرا . والصلاة والسلام على من هو قطب دائرة الوجود . وملجا الخلائق في اليوم المشهود . وعلى آله واصحابه الذين سيماهم في وجوههم من اثر السجود . هذا وقد اظهر الله عز سلطانه كنز سره المكنون . بقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون . فعلم به سر الامر . في قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر . فانه ليس بعد النبوة والرسالة إلّا مراتب الصلاح . ولهذا كانت الرعايا بلا امير كالاجسام بلا ارواح . وما الشريعة إلّا روضة زاهية الثمار . متفتحة الانوار . تجري من تحتها الانهار . والامير متعهد لها بالحراسة . يحميها من كل جان بشوكة السياسة . ولما كان القصد من رحلة حضرتكم العلية . الى الديار الباريسية . لرد الزيارة الى فخامة رئيس الجمهورية . نحمد الله

سبحـانه وتعلى على رجوع سيدنا ومولانا سالما غانما . نائلا من العناية مغانم . وهذا اليوم الذي اسفر صبحه عن بشرى وصـول اميرنا المحبوب . كان كيوم ورود بشرى يوسف على يعقوب . وبالجملة فان الثغور قد ابتسمت لهذه البشرى . وفرحت القلوب بهذه النعمة الكبرى . ولا غرو ان الدر قد عاد الى منازل سعده . وحل في قصر عزه ومجده . ونعرج عن الادعاء . ونصرف القول من باب الخبر الى الدعاء . واستقبل قبـلة الاجابة بخير الدعاء . فنبسط اكف الضراعة لباسط الارض ورافـع السماء بتاييد هذا الملك الذي يعجز عن بيان وصف غرره بنان الافهـام . ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام . الا وهــو الملك الذي ترنمت طيور البلاغة على افنان دوحة الملك بالثناء على محاسنه بافانين التنويه . وابت العناية القدسية إلَّا ان يكون نسخة من ابيه . اللهم اجعل ايام عزه كالشمس وضحاها : وليـالي سروه كالقمر اذا تلاها . اللهم متعنا باهنا العيش في ايامه السعيدة . وانعم علينـا بحفظه وصيانة ذاته الفريدة . اللهم اجعل ايام دولته مبتسمة الثغور . تخدمها السعود وينفح من اردانها عرف السرور . واعنا على القيام بما اوجبت له علينا من الطاعة . واجعل ملك هذا القطر فيه وفي آل بيته الى قيام الساعة . وقو عضده بوزيره الاكبر المفرد العلم . وبامير الامراء حضرة وزير القـلم . اللهم اجعل مساعيه فيما يزيد البلاد رونقا وبهجة رابحة ناجحة . باسرار القرآن العظيم وحرمة الفاتحة .

اما سكان المرسى فقد اخذ منهم السرور كل ماخذ واستووا في الفرح كبيرا وصغيرا وكذلك عامة الخلايعية حتى صغارهم وذراريهم الذين هم في سن الطفولية وقد امتاز من بين هؤلاء الاحداث النابتين النبات الحسن



جموع المستقبلين لركاب الحضرة العلية ببطاح القصر الملوكي بالمرسى يوم رجوعها من السفر



164

الصبي مصطفى بن نيس اذ قدم للحضرة العلية عند التشرف بتقبيل يدها الكريمة باقة من الزهر مطوقة ببيت من الشعر هذه عبارته

قدومك ناصرا لبني الايالة يزيد الشعب ودا لا محالة

ولقد صدق هذا الطفل الف مرة لان التونسيين يعدون رجوع اميرهم ومولاهم سالما غانما من اسعد ايام اعمارهم وفي هذا المقام سمعت من بعضهم التعبير عن يوم رجوع سموه « بعيد الاعياد » فقلت له « للحاضر والباد »

وقد قامت جريدة الزهرة الغراء بصدق واخلاص بالترجمة عن شعائر الاهالي وفرط انشراحهم وابتهاجهم وانتهاجهم بعودة الملك السعيد وعنها اخذنا حديث ذلك الشعور والهيام الذي تعدى نطاق الاوراق الرسمية التي لدينا ومن المعلوم ان الاستظهارات العامة لا تقوم بوصفها إلَّا الصحف السيارة كصحيفة الزهرة المتفانية في خدمة المقام الملوكي والامة التونسية

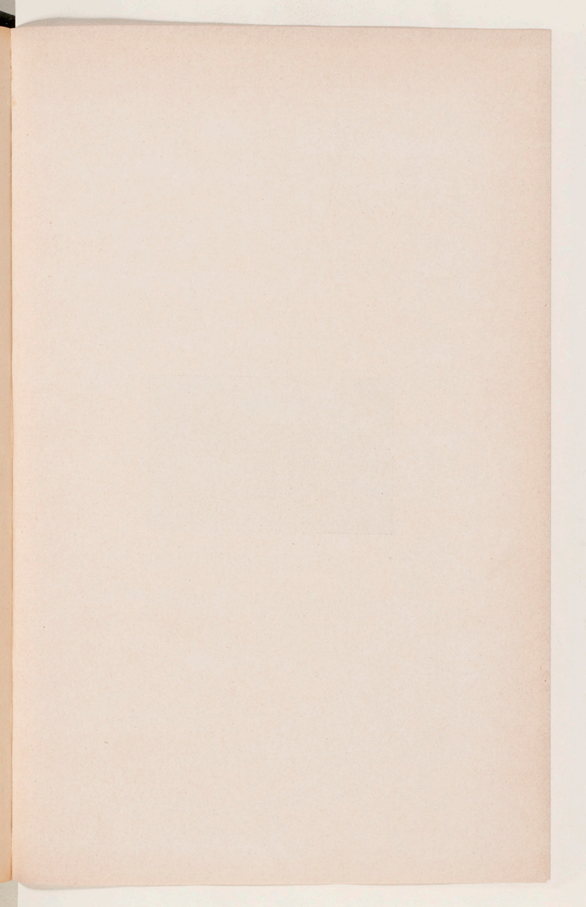
وكانت افواج المهنئين من اهل العائلة الحسينية وممن له علاقة شخصية بالسرايا الملكية يتقاطرون جموعا وافرادا على الدار الكريمة مدا يوم الاربعاء الموالي ليوم وصول سموه وفيه اذنت الحضرة العلية باقامة موكب رسمي بقصر باردو في صبيحة يوم الخميس حادي عشر شعبان لتلقي مراسم الهناء والتبريك من الهيآت المنتظمة والادارات التونسية فلما انبلج صبح اليوم المذكور كان رجال السرايا على قدم وساق وكان الناس يهرعون زرفات ووحدانا لباردو المعمور ولدى وصول المقام الملوكي في موكبه السعيد محفوفا بآل البيت الحسيني والوزراء الفخام ورجال المعية

والحاشية السنية ومخفورا بعساكر الخيالة التونسية ترنمت الموسيقى
بالسلام الملوكي وتقدم الباش شطار والباش حوانب ومشايخ المدينة
والارباض وكمندان العسة المصونة وارتقوا بسموه لقاعة الاستقبال الكبرى
فجلس سموه على عرش اسلافه الاكرمين وشرع في قبول مراسم التهاني
فكان في طليعة المهنئين حضرات شيوخ المجلس الشرعي باكملهم وفي
مقدمتهم صاحبا الفضيلة جناب شيخ الاسلام وجناب الشيخ باش مفتي
المالكي وبعد ان تشرفوا بالسلام على المقام العالي اجلسهم سموه مجلس
الاكرام واذاك تلى الشيخ سيدي احمد بيرم دعاء من انشائه هذه عبارته

الحمد لله ذي المن السابق المستنفد على الحامد جميع المحامد ذي الكرم
الباسق وفي جنبه الى اين يصل شكر الشاكر الواحد والصلاة والسلام على
سيدنا ومولانا محمد روح معنى الممكنات على الاطلاق وروح مغنى قلوب
المؤمنين والمؤمنات في سائر الافاق وآله واصحابه وكل من تعلق بجنابه هذا
وانا لما يسر الله وله المنة من قدوم سيدنا سالما واغتباطنا بولائه وسرورنا
بلقائه في نعمة شاملة وموهبة كاملة يفني حسابها على الحساب العد وتذهب
بالمكاثر لا الى حد وان استوى في اكبارها ومعرفة مقدارها الجمع في
جمعه والفرد فليس لنا في مقابلتها إلّا الحمد نقيمه والشكر نديمه والرغبة
نخلصها الى الله سبحانه في اطالة بقائه وادامة عزه وعلائه بقدر ما في الوسع
والطاقة لا بقدر اسطر هاته البطاقة فله الحمد تعلى ان اقام جنابه العالي من
اهل هذا القطر المحروس مقاما تسر به الخواطر وتنشرح النفوس واراه من
اثر حسن السمعة وجميل الالتفات آيات بينات وبالتالي اعاد شمسه المنيرة



طاقم الموسيقى الملوكية بالمرسى



الى افقها واحلها بالمطلع الذي هو من حقها فعاد اليه عود الضوء الى النـاظر والهدى الى الحائر بل عود عصر الشباب الزاهر واصبحت رياح الامن به سائرة وسحاب اليمن من فوقها جارية متوالية غير وانيه اللهم واصل قدومه من الكرامة باضعاف ما قرنت به مسيره من السلامة وزده مما قسمت له من التبجيل والاعزاز وادم ايام دولته التي هي لثوب الزمان طراز وانله من موفور المنن ما تقر به قلوب اوليائه واحفظه في نفسه واهل بيته ووزرائه والح على دعواتنا هذه اعـلام القبـول ولوائحه ببركة القرآن العظيم وسر آي الفاتحة

ولما انصرف اهـل المجلس الشرعي تشرف بالدخول للتهنئة المشايخ المدرسون بالمذهبين يتقدمهم المشايخ ايمة الجامع واذاك التقى الفقيد الطيب الذكر صاحبنا العلامـة المرحوم الشيخ محمد النيفر بين يدي المتبوع الاعظم دعاء ننقله هنا تخليدا لذكر ذلك العالم العامل ونصه

اللهم يا من لا ترفع الاكف إلّا اليه ولا يعول في جميع الامور إلّا عليه نحمدك على ان حرست اميرنـا المحبوب الذي انعقدت على ولائه شعائر القلوب بعين حفظك التي لا تنام واحطته باسوار من اسرار لطفك الذي لا يرام وجعلت له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من صروف الدهر وحيفه ومددت عليه رواق عنايتك وامددته بتحف تحفيك ورعـايتك واقررت اعين اهل بلاده بدوام عزه وتواصل اسعاده اللهم كما اجزلت نعمك على اهل هذا القطر بسـلامته فاجعل جيد الملك مزدانا بعقد اسـتدامته وانط اسباب دولته باوتاد الدوام واسبل عليه ستر حفظك مدى الايام

والاعوام وانم في ظل امانه وعدله افاريق الانام بحرمة نبيك المصطفى عليه افضل الصلاة والسلام مبلغا جميع الاماني محروسا مع آله بالسبع المثاني

ثم تقدم للتهنئة السادة الاشراف بنو فاطمة البتول وعلي سيف الله وسيف رسوله فتلقاهم المقام العالي بمزيد الالتفات وكامل المراعاة وقبلهم فردا فردا بالذات

ولما كانت الساعة التاسعة حضر للتهنئة متوظفوا الادارات التونسية وفي مقدمة الجميع جناب الهمام مسيو بلان كاتب الدولة العام ولما دخل جنابه على الحضرة العلية صافحه سموه مصافحة الكرام قابضا على يده بشدة برهنت عما لمولانا من شواهد الود والحظوة نحو ذلك الموظف العالي فخاطبه مسيو بلان بكلام نفيس جاء فيه قوله

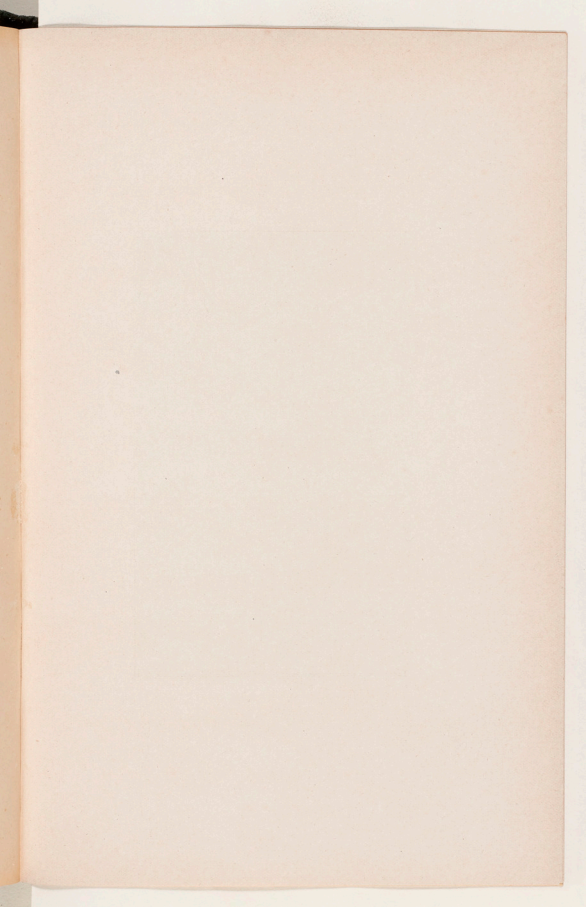
« ان الافكار كانت مبتهجة وانظار الامة التونسية قاطبة شاخصة نحو الديار الفرنساوية وقيام حكومة الجمهورية بمراسم التعظيم والاكرام الفايق لمقامكم السامي »

فاجابته الحضرة العلية قائلة

ان الحفاوة العظمى التي لاقيتها بفرنسا من فخامة رئيس الجمهورية ورجال الدولة الحامية والشعب الفرنساوي الغيور على حريته والذي لا يتظاهر الّا بما تكنه نفسه قد كانت عندي برهانا جديدا على ما لفرنسا باجمعها من العناية بالبلاد التونسية وسكانها وهذه العناية التي نغتبط من اجلها موجبة لسرورنا جميعا وهي مما تقضي علينا ايضا بواجبات اولها ان نداب على العمل لاستحقاق تلك العواطف الدالة على كامل العناية بالمملكة المحمية ولنيل هذه الامنية فاني استعين بما للكاتب العام ولرؤساء دولة



الحضرة العلية وحولها ءال البيت الحسيني السني بسراية باردو



الحماية من الاهتمام والكفاءة التامة حتى يثافنوا على ما عهدته منهم من المساعي لحفظ الصيت الحسن الذي اكتسبته الديار التونسية بالبلاد الفرنساوية

فكان لهذه التصريحات الملكية الناطقة بما لقائلها من الالمام الجامع باحوال وسياسة بلاده اجمل وقع في نفوس رجال الحماية بتونس لانها اكدت للجميع ما هو متعلق بالاذهان من صدق واخلاص الدولة المحمية في مساعدة الدولة الحامية على مشروع التمدن والعمران الذي قامت به فرنسا في تونس

وبعد ان استوفى سموه من قبول بقية الادارات التونسية تلقى مراسم التهنئة والاحترام من المجلس البلدي وكان في مقدمة اعضائه رئيسه وكاهيته ثم تلقى مثل تلك المراسم من وفود الاهالي واعيانهم ومشايخ الطرق وامناء الحرف والصنايع ثم من خليط اعيان الطوائف الاسلامية الاجنبية ثم من جماعة بني مزاب وفي الختام تلقى مراسم الطاعة والتهنئة من اعيان اليهود ولما تشرف مجلس احبارهم بالمثول بين يديه القى عميدهم الربي ليلاه جيرح حخام باشي تونس دعاء بالعبرية هذه ترجمته

اللهم يا واهب النصر للملوك ويا مانح الملك للامراء يا من ملكه ازلي الوجود يا من انقذت عبدك داوود من سيف الهلاك يا من فلقت البحر بارك واحرس واحفظ واعن وانصر وزد في علو ملكنا وسيدنا ومولانا محمد الناصر باشا باي وكذلك وزراءه ورجال دولته اجمعين (آمين) اللهم يا مالك الملوك ارزقه الرحمة واحفظه وادم حياته (آمين) اللهم ابعد عنه كل شر وضير (آمين) اللهم ارفع بفضل رحمتك نجم زمانه (آمين) وادم ايام

ملكه (آمين) اللهم الهم بفضل رحمتك اميرنا وسيدنا العزيز علينا وزراءه ورجاله طريق الخير والحنو نحونا ونحو الاسرائيليين ابناء ملتنا (آمين) اللهم اجعل عيش اليهود في ايام دولته عيش هناء (آمين) اللهم انقذ ملكهو دك وابعث عبدك المنقذ لتخليص بيت المقدس (آمين)

هذا ولما كانت الساعة العاشرة من صبيحة اليوم المذكور انتهى موكب الاقتبالات الرسمية وعاد الركاب الملوكي في رتله الخاص لقصر المرسى العامر

ثم في صبيحة يوم الجمعة تاسع عشر شعبان ١٣٣٠ سمح مولانا الكريم بقبول ادارة المدرسة العرفانية وتلاميذها بسراية المرسى العامرة فيمم ساحة السرايا اهالي تلك المدرسة باجمعهم يتقدمهم مديرهم الحازم النشيط السيد حسن المملوك ولما اجتمعوا هنالك تجلى المقام الملوكي بطلعته السنية على ناديهم فدعوا له لسانا واحدا بالعز والتاييد ثم شرعوا في القاء ما جادت به قرائحهم الوقادة من درر المديح المنظوم والمنثور ابتداء بالتلميذ النجيب محمود يس واليك عبارة خطابه

ايها الملك الكريم السجايا   يا اصيل الجدود طلق المحيا

يا مفدى بالنفس والال طرا   نلت ما ترجى وذكرا عليا

بقيت بالعز والاسعاد يا كهف هذه البلاد ولا زلت رافلا في حلل المسرة وسوابغ النعم بما اوليتنا من واسع الفضل والكرم

فهذا اليوم سيحفظه التاريخ اجمل ذكرى نباهي به السابقين ونفاخر به ملوك الاقدمين من الخلفاء العباسيين والامراء الاندلسيين اذ هولاء قد مجد التاريخ اسماءهم وحفظ لهم صحيفة بيضاء خالدة الاثار لما كان لهم

169

من العناية بالعلم واهله الا انه لم يصل لحضرتهم إلّا كل مبرز من الفحول سمت به قريحته حتى اهلته لخطاب الملوك واني لهم بذكر مثل ذكركم الذي فاح عبيره فعطر الاكوان وسارت به في الافاق احاديث الركبان

فسموكم ايدكم الله وصانكم لم تقتصر عنايتكم الملوكية على العلماء والبلغاء والنبغاء بل وسعت من كانوا في سن الحداثة وابتداء التعليم فواليتم علينا التعطفات السنية واوقفتمونا على بساط القرب منكم واكرمتم وفادتنا وانلتمونا شرفا ليس وراءه مطمع اذ تكرمتم بالاصغاء لمثلي فلا ادري اليوم هل ارتفعت الى اعلى الدرجات حتى قربت من شمس المجد التي حلت اشرف المطالع أم الذات الملوكية تنازلت مكان العاجز الضعيف منها على قاب قوسين . اني على الحالين عاجز عن اداء بعض الشكر على هذه النعمة العظمى وكذلك نعم الملوك تعجز الشاكرين فاتمم النعمة يا مولاي واقبل الاعتراف بالعجز عن اداء الشكر شكرا وابق ايها الملك المطاع لشعبك الامين كهفا امينا وحصنا حصينا واسلم على طول المدى بالغا من المنى اقصى ما تتمنى ولازلت قرير العين بساداتنا الانجال الكرام مبلغا فيهم غاية ما تحب واقصى المرام ما اردف خطب كلامه بمشعر التمام

وبعد الانتهاء اظهر مولانا من الالتفات العالي والعناية الكبرى ما كان له اعظم ابتهاج لدى الحاضرين فكانت دموع السرور تذرف من اعينهم واذاك تقدم مدير المدرسة والقى الخطاب الاتي

مليكنا الاسمى وملاذنا الاحمى وولي نعمتنا رفيع الشان

اني اشعر اليوم باشرف الاوقات وايمن الساعات تمر بي اذ كنت لدى مليك ميمون الطلعة مهاب فلي الشرف والافتخار بهذا الموقف الجليل

موقف قربت فيه من شمس الكمال النيرة التي حلت مطالع السعود مؤديا فروض الاخلاص وواجبات التهاني للذات الملوكية خلد الله بالاسعاد بقاءها لعودها الى مقر عزها ودار ملكها بعد ان حلت في السفر السعيد بروج العز والاقبال

فلله يوم اشرقت انواره علينا بعد الاحتجاب وعرفنا فيه مقدار ما اوتينا من جليل النعم اذ لولا ظلمة الليل ما عرفت مزية النهار

ولقد سنحت اجمل فرصة ليشاهد مليكنا المعظم مقدار منزلته المكينة في قلوب رعاياه الصادقين فهؤلاء الابناء الذين تغذوا بلبان المعارف بالمدرسة العرفانية المنشاة من قبل الجمعية الخيرية التي باسمكم حيث وبعنايتكم استطاعت ان تقوم بكبير الاعمال . هؤلاء الصغار قد اشربوا في قلوبهم منذ نعومة الاظفار حبكم والولاء لعرشكم السامي الرفيع وهم يعلمون مقدار ما اوليتم معهدهم العلمي من العناية والاحسان التي احييتم بها ميت الامال . فكانوا مثل كل رعاياكم يفدونكم بحبات القلوب والعيون

وعند وصول البشارة العظمى بعود سموكم على جنح السلامة والامان اخذ منهم البشر كل ماخذ وطلبوا ان يكونوا من جملة الوافدين على الجناب العالي عسى ان ينالوا جزيل الشرف بالوقوف على بساط القرب من سموكم . وان هذا الاحساس الجميل هو المنتظر منهم حيث كان غذاءهم مع التعليم الصحيح غرس محبتكم بين تلك الجوانح الصغيرة وفي تلك القلوب

ولقد اسعفتهم العناية الملوكية بمبتغاهم وحققت آمالهم فهم اليوم لكم اشد حبا واكثر تعلقا لما نالوه من شرف المثول بين ايديكم ومـا وسعهم

من التعطفات السنية التي ستنقش على قلوبهم تذكارا جميلا لا ينمحي على مر الزمان وان ما نالهم من العناية والاحسان لخلق كريم توارثه ملوك البيت الحسيني الرفيع العماد وخلص الى درة السلك وواسطة العقد سيدنا ولي النعم بلا امتنان

فالبر والشفقة والحنان والعدل والاحسان واغاثة الملهوف وتفريج الكروب خصال خصكم بها الرحمان وعرفها اجدادنا من اجدادكم وءاباؤنا من ءابائكم ورايناها راي العين با كمل المظاهر واجمل المناظر من لدن جنابكم السامي الفخيم فابق ايها الملك المطاع بقاء الدهر بالغا من المنى كل ما تتمناه واسلم لشعبك المخلص الامين ودمتم له كهفا منيعا وملاذا رفيعا وامنح رضاءك للذين تعلقوا باذيال ولائك فذلك لنا خير مرتجى

ونرفع الى المولى اكف الضراعة متوسلين بصاحب الشفاعة ان يحفظ بالحفظ المنيع هذا الملك الرفيع وان يديم بقاءه رافلا في حلل السعادة نافذ القول مطاع الارادة ويسعد به العباد والبلاد ويؤتيه من الخير الجزيل غاية المراد وان يقر عينه بسادتنا الكرام انجاله ولا اراه فيهم إلّا ما يسره ويرضيه في حاله ومآله ما تضوع من شكره طيب الرائحة وتعطرت الافواه بتلاوة الفاتحة

ولدى الفراغ من هذا الخطاب وجه مولانا التفاته السامي الى هيئة المدرسة وشكر مسعاهم وحثهم على المثابرة باجتهاد في اعمالهم اذ هي ملحوظة منه بعين الرضا فكانت تلك التصريحات على القلوب بردا وسلاما وحينئذ تقدم التلميذ النجيب جمال الدين بوسنينه وتلا على المسامع الملوكية النشيد الاتي :

بشرى فقد وافى البشير	بعود مولانا الامير
بشرى فقد نلنا المرام	والسعد وافى بابتسام
مذ جاءنا الملك الهمام	ذو المنزل العالي الخطير
اهلا بخير قادم	وجامع المكارم
ومصدر المراحم	وبدر تونس المنير
اهلا ببدر اشرقا	ونوره تالقا
وحل اعلى مرتقى	فلا يساميه نظير
اهلا وسهلا بالقمر	ومن به القطر افتخر
مليكنا السامي الاغر	ورب التاج والسرير
ذي المنزل العالي المكين	بين ملوك العالمين
ومفخر الحسينيين	الناصر المولى الامير
قد عاد والعود حميد	من سفر زاهي سعيد
لعوده اكبر عيد	لدى الصغير والكبير
واليوم يستقبلنا	عصر سرور وهنا
ونرجو ادراك المنى	في عصره الزاهي المنير
فيه انجلت كل الهموم	وازهرت روض العلوم
ونال كل ما يروم	وسهل الامر العسير
هذا السرور اليوم عاد	بعود ملك البلاد
فبرنا السامي العماد	فكلنا به قرير

لا اوحشت دياركم لا غاب عنا بدركم
ارواحنا فداؤكم من كل مكروه يضير
هذا مقام المخلصين من شعبك البر الامين
نرجو رضاك الثمين فهو لنا الخير الوفير
ولنرفع كف الابتهال الى العزيز ذي الجلال
نرجو اجابة السؤال فانه بذا جدير
يا ربنا ابق لنا اميرنا باهي السنا
مبلغا كل المنى وكن له خير نصير
واحفظ انجاله الكرام ووزراءه الفخام
واعطه كل المرام وزده ياخير قدير

وعند تمامه لهذا النشيد استدنى مولانا من حضرته التلميذين المذكورين وقبلهما ومنحهما من التعطفات السنية ما يفوق الوصف ثم انعم على صندوق الادارة بعطية سنية واراح التلامذة خمسة عشر يوما واذن لهم بالتفسح في ارجاء البستان الملوكي وباعداد طعام الغداء على مائدته الملوكية ولمزيد العناية بهم كلف بهم اكبر انجاله سمو البرنس سيدي المنصف باي فاراهم من لطف الشمائل والعناية الفائقة والاكرام الواسع ما دل على تسلسل الكرم العظيم في بيته الفخيم

وبعد تناول طعام الفطور اصطفوا بالساحة حيث هتفوا بخالص الدعاء للحضرة العلية ورجعوا فائزين بالرضا من لدن سموها على الشان لاهجين بالشكر على ما نالوه من صنوف البر والانعام

الخاتمة

هذه الخاتمة قصدت بها تزيين هذه الرحلة المباركة بعرايض المديح وقصائد التهاني التي امكنني الوقوف عليها وهي قليل من كثير بالنسبة لما جادت به قرايح الادباء والسنة البلغاء عند اياب الحضرة العلية وقد اداني التطفل وحب الانتساب لتلك الابواب ان خضت قريحتي لاستخراج زبد من البانها مع علمي باني لست الاهل لانتحال الشعر بل ولا لنظم عقود النثر فصغت وانا حليف فراش بحلق الوادي قصيدة في زهاء الثلاثين بيتا عارضت بها قصيدة ابن الجهم في بني العباس وكان في املي تقديمها على وجه التهنئة لسموه عند اوبته من سفره الميمون فاشتد بي المرض ولم تساعفني الاقدار على كتابتها « وكل علم ليس في القرطاس ضاع » سوى انه بقي منها الان بمحفوظي قولي في مطلعها

عيون الغزال السود قد ملكت امري ... واوقعن بي من حيث ادري ولا ادري

ومنها في وصف سموه

جبين المليك ابن الحسيني مشرق ... شروق شموس الحسن والانجم الزهر

ولا يستقر الفضل إلّا لمن حوى ... فضائل شتى ضمخت بشذا العطر

وهذا امير العصر والمصر قد غدا ... حليفا الى الخيرات في السر والجهر

وقد عاد للخضراء مركز ملكه ... ولا ترجع الايام إلّا الى الشهر

ومنها في سياسة سموه ومعنى الحماية

سياسته المثلى حمايتنا التي ... وقتها حمايات الفرنسيس من ضر

نعم ان ذي احمى واعصم منعة من الطارق الساري الينا ولاندري
تحاكي عقاب الجو والكوكب الذي تعـالى الى الابعـاد في فلك البدر

ومنها في الاعتذار بالتقصير

ومـا انـا بالقـاري ولست بشاعر ولكن هـذا مبلغ الجهد من امري
فان وجدت مسودتي حسن اللقـا فذلك من فضل نراه مـدا عمري
وان كانت الاخرى فحسبي عقيدتي بـاني لست الاهـل للنظم والنـثر

ومنها وهي تحية الختام

تحي مـليك الامـر مـني تحية تعـاد مع الانفـاس طيبة الذكـر

وقد اتفق ان جنابه العلي ابقاه الله تفضل على عبد طاعته في تلك الايام التي مرضت خلالها بترفيع مقامي رفع الله مقامه الى اعلى الدرجات وكتب له في صحيفة اعماله اوفر الحسنات اذ شرفني بترصيع صدري بالصنف الاول من نيشان الافتخار ثم استحصل لي في الوقت نفسه على امتياز آخر من لدن الدولة الفرنساوية وهو وسام الشهاب الاسود وتنازل ابقاه الله لتقليدي اياه في موكب مشهود بسراية المملكة في اليوم السابع من اكتوبر سنة ١٩١١ وهناني بلسانه الشريف تهنئة اخذت بمجامع قلبي وملكت مهجتي ولبي لا زال سموه مصدر الحسنات وينبوع السعادات على توالي الازمنة والاوقات

فمن القصايد التي قدمت لاعتابه السنية تهنئة ملكية لصاحبنا العلامة النقادة قاضي الجماعة الشيخ سيدي محمد الطاهر بن عاشور استاذ الدروس العالية بجامع الزيتونة قبل والعضو كان بالمجلس المختلط العقاري واليك هي بنصها وفصها

وقفت اخاطب الملك الهماما على عهد هجرت به النظاما

ثمان سنين فارقني رئيي وحقك ما سمعت له كلاما

وما قد كان هجري عن قلاه ولكني رايت له ذماما

ارى ان لست موفيه بحق ولا ارضى بما عدم التماما

فخير الشعر املؤه معاني وخير النظم احسنه انسجاما

واني لي الوفا ببليغ قول يناسب ان يساق لكم سلاما

فان تكن المسرة انطقتني فخير الشعر ما قيل ابتساما

واني لي الوفاء بمدح قرم تملك من امارتنا الزماما

احبته الضمائر باختيار وطاطات الدوات اليه هاما

لعمرك قد وسعتهم بحلم وانعام فكنت لهم اماما

ملكت مفاخرا وورثت ملكا اثيلا جاوز المائتين عاما

راى العقلاء منك ندى ورفقا لذلك رجوا لمدتك الدواما

بعودك هزت الخضراء عطفا والقت من مغيبكم اغتماما

بعدت عن البلاد وساكنيها فكان مغيبكم عنها اواما

وكان اليوم من ايام بعد لدى اهل النهى قد عد عاما

ركبت البحر مفتخرا عليه فكان سكونه يبدي احتراما

اذا فيكتور هوقو فات عصرا ولم يرصع بذكركم نظاما

فان سميه اذ ضم فخرا حكى لكم بفكرته ارتساما

وخف بك القطار لناظريه ليغنم من بشارتهم سهاما

فلما ان نزلت بدار قـوم واحلاف لنا كانوا كراما

رات باريس من علياك شهما فكنت ترى خلائقها ازدحاما

يسابق بعضهم بعضا لمراى جلالتكم لكي يبدي السلاما

واعيان بها الاجلال تبدي ترى تعظيم حضرتكم لزاما

فكنت البدر تتبعه نجـوم ولكنني احاشيك الظلاما

قضيت بها ليالي في ابتهاج وزرت بهـا معالمها تماما

رايت تقدما ورايت مجدا فسن لنا على ذاكم نظاما

فهذا العلم يصرخ مستغيثا على اركانه يخشى انهداما

فمد له يدا كرفيق موسى بحكمته جدارا قد اقاما

فان وراء جدر العلم كنزا من العمران يجدر ان يداما

ومثلك لا يبصر عن ذهول فان لكم به حظا تسامى

ودم للقطر والايام تعـلي بنصحك للورى ابدا مقاما

قرير العين تخدمك التهاني وتامل من رضاك لها اغتناما

وحسبي ان اقر بضيق باعي وخير المدح اوجزه كلاما

فصفحا ان بدا فيها قصور فقد لا تعـدم الحسناء ذاما

ومنها قصيدة بديعة لنخبة الاقران العالم الامجد الاستاذ الشيخ السيد عبد العزيز جعيط المدرس بالطبقة الاولى بجامع الزيتونة

كؤوس الهنا دارت معطرة النشر تطوف بها كف المسرة والبشر

ونـادي العلا عـادت اليه سعوده بمقدم مولانا الامـير الى القـطر

قدوم له اشتاقت نفوس ذوي النهى ... ولا شوق ارض المحل للواكف القطر
وماست به الخضراء في حلل البها ... مؤرجة الارجاء باسمة الثغر
تحيي برايات الحبور قصورها ... ولو قدرت جاءت على قدم تجري
وتعلن بالترحيب من كل معقل ... مدافع ترمي بالبشارة والظفر
رعى الله يوما فيه تم ابتهاجنا ... بطلعة رب التاج منشرح الصدر
هو الناصر المنصور قطب رحى الهدى ... وانسان عين الفضل بدر سما الفخر
وبحر الندى خدن العلا اسد الوغى ... كريم القرى اهل السيادة والشكر
تعطر اخلاقا فوافاه عاطرا ... نسيم الثنا من كل ناحية يسري
مليك غدا ينسي جمال جميله ... عيون المها بين الرصافة والجسر
من النفر الشم الغطارفة الاولى ... حموا بيضة الاسلام بالبيض والسمر
وساسوا الورى بالعدل والحلم والتقى ... فدام لهم ملك تسامى على الزهر
توارثه الاشبال عن اسد الشرى ... وكل به الايام نابهة الذكر
وسيدنا وسطى القلادة بؤبؤ السـ ... ـيادة اكسير السعادة واليسر
لذاك ترى الاقطار تخطب وده ... وتغدو بمرآه البهيج كذي سكر
فلا زال في تاج الامارة درة ... يفوق سناها مطلع الشمس والبدر
ودمت لهذا القطر تحيي ذماره ... وتقعده من مقعد العز في الصدر
يؤازرك الصدر الوزير بعلمه ... وتجريبه الايام في سالف الدهر
واسدائه النصح الصريح لبيتكم ... واخلاصه للحق في السر والجهر
ودونكها عذراء قامت تمثلا ... مدحتك بالشعرى وغيري بالشعر

174

اتت بابكم تبغي القبول وانما دعاني لهـا الاخلاص للملك الحبر
وكنت ارى للفكر وادبناته لعلمي ان الكفأ كالنعم الحمر
ولما اضاء الكون اشراق نوركم اتيت بها حسناء من غرر العصر
فمد رعاك الله كف قبولكم ودامت لك الايام غرا مدى الدهر

ومنها قصيدة غراء للخير الفاضل الشيخ السيد عبد القادر الشلاخي باش مفتي جزيرة جربة وشيخ الطريقة القادرية بها ونصها

قدومك يامولانا قد حيا بالبشرى به تونس زادت على شكرها شكرا
لقد غبت لا عدمنا جنابكم على فقدكم لم نستطع ابدا صبرا
وبارحتنا والعين تدمع بالبكا على الطائر الميمون تستسهل الوعرا
ويممت باريسا وشرفت تربها بنعليك فازدادت بلثمهما قدرا
وقلدتها فخر الوسام بجيدها يكون على مر الزمان لها فخرا
به قابلتكم بالمسرة والهنا وقد خجلت من حسن طلعتك الغرا
وقد عشقتكم بالسماع على النوى وعشق الفتى بالسمع مرتبة خرى
لهذا رئيس الجمهورية زاركم فخامته باللطف تستعبد الحرا
وقد كان ترجيع الزيارة عادة جرت لملوك الارض بين الملا طرا
ابى الله الا ان تشرف ارضها وتطلع في افق السما عند بدرا
وها هي من وافيتها قد تزينت لدولتك العلياء وابتسمت ثغرا
واجنادها في البر والبحر قد غدت تحييك بالاقبال بين الورى جهرا
رايت عجيبا ليس يمكن حصره وكنت بمرآها لها الاية الكبرى

وقد نلت من ذاك الرئيس مكانة … يخلد في تاريخها لكم ذكرا

وتحت لواء النصر وزعت بالحما … نياشين فخر الملك ما يوجب الشكرا

وقد عدت منها ظافرا بامتيازكم … وتونس قد البستها الحلة الخضرا

لقد كان مرآها عليه كآبة … سقاها من بعدكم كاسه المرا

قلائل ايام غيابك عندها … كثير وكل اليوم تحسبه شهرا

تنادي باعلى الصوت يا فالق النوى … متى يقدم الباشا برايته الحمرا

فبشرها ربي بان قدومه … يكون بها يوم الثلاثاء بالبشرى

يقابله الجم الغفير من الورى … وتبدو على وجه الجميع به السرا

هو الناصر الباشا الذي شاع صيته … علا شرفا فوق السماكين والشعرى

امولاي يا فخر الملوك لك البقا … بقيت كما تبغي ودمت لنا دهرا

ودامت لك الانجال حتى ترى لها … بشائر احفاد مسرتها تترا

ودمت الى البيت الحسيني مؤيدا … تشد بهم في كل آونة ازرا

ودام الوزيران بكم في سعادة … رفيقاك من ذا الضعن قد احرزا الفخرا

جعلت مديحي في ثنائك حلية … وكان ختام المسك في طيه نشرا

ومنها قصيدة فريدة للاديب الفاضل الشيخ السيد احمد اديب المكي رئيس الكتبة بعمل سوسة ونصها

سلمت ام معبد من عناد … يغرس الحقد في صميم الفؤاد

وحبت صبها وصالا شهيا … ما الذ الوصال اثر ارتياد

هذه الرتبة التي لم يفقها … غير اطفاء لوعة الابتعاد

175

باياب الامير من نحو ارض	شرفت منه بازديار النوادي
هي باريس تلك ذات التحلي	بمجاني معارف الانجاد
سار من ارضه اليها كبدر	ملأ الكون نوره الاعتيادي
يحمل الفلك منه رونق ملك	دونه في البهاء ذات العماد
قد احاطت به معيته الشم	اء طوبى لها بحسن المهاد
ووزيراه اسعدا باصطحاب	معه حيعلن بذا الاسعاد
ان فلكا قد امتطاه لاسمى	من سواه وان يكن من جماد
لو يصح الكلام منه لادى	شكر ايصاله لتلك البلاد
ولباهى به الجواري والار	تال رتل سرى به في الوهاد
قد اضاءت به معالم باري	ز ليال تكفلت بالمراد
وقضت واجباتها الغر منه	وطرا اكبرته شم الهوادي
وانالت تاريخ رحاته الغ	راء ذكرا منزها عن نفاد
كاد ذا القطران يطير اشتياقا	يوم توديعه لفرط الودادي
ولياليه منذ غيبة مولا	ه حكتها ايامها في السواد
كيف لا وهو مظهر الامن فيه	وابو الدين فيه والاعتقاد
حصنه الناصر المعظم شانا	وحلاه محمد ذو الايادي
المليك الحسيب اسعد مولى	ببني ملكه طويل النجاد
عاد في موكب الهنا لمقر	ملكه فيه مسفرا عن رشاد
متحفا قومه بزهو اثيل	ملأ السمع من ترنم شادي

ايها الاعظم المليك المهنى بك عاد الهنا لغاد وبادي
بعد ايحاش كل مهجة شخص مدة الظعن من هنا بانفراد
ويمن احتلال هذا التلاقي المباهي لاكبر الاعياد
حمد الله مخلصا كل عبد ضمه القطر ذا عدته العوادي
وقد انجاب غيهب البؤس عن عا صمة الملك ذا بطيب المعاد
وقدوم به نثرت علينا من صنوف السرور انفع زاد
لا عدمنا شهود نور تجليـ ـك دواما على جميع العباد
بالغا في بنيك اوفى نصيب من دواعي نجابة الاولاد
ومعاليك لن يزال سناها سالما من بواعث الانتقاد
مستطابا به التغني ببيت قلت فيه مورخا ومنادي
ءاب من مقدم لباريز نور النا صر الاوحد المهاب الجواد

٤٥	١٢٩	١٢٨	٢٥٠	٦٧٨

سنة ١٣٣٠

ومنها قصيدة خريدة للشاعر الكبير صاحبنا الفقيد الشيخ محمد الحشايشي رحمه الله

بشرى لقد عاد الامير مكرما واحتل منزله الاعز المحتما
بشرى تعم بني الزمان وخصصت اقطار تونس بهجة وتنعما
بشرى تعيد الى العليل شفاءه فكانها الماء الزلال على الظما
صدعت بما يسبي العقول ترنما قدم الامير فكن اليه ميمما
الناصر ابن محمد الملك الذي حفظ الاله له المقام الاعظما

واشعر وصغ ما شئت من حلل الهنا ‏ ايضا ولد باابن الحسين مسلما
وابسط اكفك داعيا لله ان ‏ يبقى لنا هذا الامير مكرما
مذ غاب ظلت تونس الخضراء لا ‏ يحلو لها من بعد ذاته مطعما
ركب الغراب فخفقت اذنابه ‏ وغدا به يفرى العباب الادهما
والبحر يعلم ان فوق اديمه ‏ بحرا من المجد الموثل قد نما
فلذاك ما هدرت شقاشق باسه ‏ كلا وما ان فاض يوما او هما
حتى اذا بلغت طلونا ذاته ‏ واحتل اجلالا بدياك الحما
فرحت بمقدمه السعيد وقد رات ‏ اتيانه شرفا يزين ومغنما
ثم انثنى طربا عنان ركابه ‏ لمدينة العلم المفيد ميمما
وانظر اذا ما حل دوحة ثغرها ‏ شوقا لمنظره الجميل تبسما
وتقدمت لعلاه اهل الحل مذ ‏ قد حل ارضا كاد يغبطها السما
خضراء ما قط يفارقها الحيا ‏ ابدا ولا ديجورها قد اظلما
بلد به الظل الظليل ممدد ‏ لكن به سيل المعارف افعما
وغدا يصافحه بكف مكارم ‏ ملات ضفاف السين حتى قد نما
فرءاك فيار لزورته كما ‏ قد زاركم اهلا فكنت مقدما
ورايت ابهج منظر وشربت من ‏ ماء المودة ما يزال به الظما
وربطت احكام الحماية واثقا ‏ بالله تبقى للنجاح تدعما
وحفظت من عهد الجدود روابطا ‏ قد زدتها جبرا فلن تتصرما
وغدا بك البلد النزيه ممتعا ‏ صبا بحب كمال ذاتك مغرما

ولسانه يبدي الثناء مورخا　　باريس يزها بالمليك تكرما

٥٩٢　٢٢　١٢٣　٦٦١

١١٣٠

حتى اذا تمت زيارتك التي　　نارت بها الدنيا وابت منعما

هرعت الى تقبيل كفك امة　　قد شاقها رؤياك يا قمر السما

وبقيت بالانجال تسعد سرمدا　　في بيت ملك بالجلال تعمما

ما خاطب التاريخ ملكك قائلا　　ارخ بدام الك الامير معظما

١٧　٥٠　٢٨١　٩٥٤

١٢٢٠

ومنها قصيدة غناء للفاضل الاكتب السيد عبد العزيز المسعودي الكاتب بالدولة التونسية ونصها

قدوم سعيد استعاد به القطر　　سنا رونق المولى الامير له النصر

وعمت به الافراح وافتر باسما　　واينع بعد المحل من روضه الزهر

وزخرفت الارجاء مذ عاد سيد　　ومن وجهه تبدو المهابة والبشر

وكان كبدر قد تغيب برهة　　بسير غمام ثم عاد لنا البدر

قصدتم نصير الملك باريز بعد ما　　تحلت لكم وافتر منها لك الثغر

وجئتم لها بالبحر من فوق مركب　　حكت عجبا اذ انت فيها هو البحر

وقد وجهت من اجلكم باسم شاعر　　فكانت لدى التحقيق هي لك الشعر

وسارت بكم واللطف قد حف ذاتكم　　على الطائر الميمون قائدك الظفر

وحتى اذا جئت البلاد وجدتها　　كغادة حسن قد تعالى لها قدر

حكت شبها للقطر في خير زينة　　عجبت لها بل قلت ايهما القطر

ولاقتك بالترحاب امجاد امة　　　وحياعلاك الجيش والبيض والسمر

وبانت معاني الشكر من كل حازم　　　تجامله بل كنت انت له الشكر

وجات بيهو للقبول مهابة　　　تناسب قدر الملك منك ولا فخر

وباهت بكم باريز في خير موكب　　　لحرية بل زل منها به الوقر

وانت وايم الله اكرم سيد　　　يشار كنا في مدحه البدو والحضر

مكارم اخلاق وخير فضائل　　　وحسن صنيع يستلين به الدهر

جمعت شعاع الراي ثم وسمته　　　بحزم له في كل مظلمة فجر

فدان العلا بالجود بعد افتراقه　　　اليك كما الايام يجمعها الشهر

مساع يضل الشعر في كنه وصفها　　　فما يهتدي الا لاصغرها الشعر

ولولا ابيت ان ارى الطرس خاليا　　　من المدح هذا اليوم ماطاوع الفكر

ولكن معاني المدح منك تنظمت　　　اذا نجمت ذلت لها الانجم الزهر

فدم هانئا واسعد وعش شامخ الذرى　　　تزان بك الايام والدهر والقطر

ومنها قصيدة فاخرة للاديب السيد احمد الحجام الكاتب بالادارة العدلية ونصها

هم الاكابر في اقتناء مفاخر　　　يحيي بها التاريخ ذكر مفاخر

ولعمري ذاك المجد ان رمت العلى　　　تحظى به من ناظم او ناثر

ومواهب الرحمان بين عباده　　　مقسومة في سرها والظاهر

وفوائد الاسفار اعظم مقتنى　　　فاختارها المولى لهذا الناصر

ذاك المليك الشهم محمود السرى　　　ورث الشهامة كابرا عن كابر

سرتم بقصد سياحة وزيارة — حزما لتكتسبوا اطلاع السائر
سكنت رياح الخوف عندر كوبكم — فالك النجاة بوسط بحر زاخر
قد هابكم لما امتطيتم متنه — وتذللت امواجه للعابر
صحبتكم يوم الوداع قلوبنا — شوقا الى ذاك المحيا الناضر
فحللتم باريس كالقمر الذي — يطوي المنازل بالسناء الباهر
نجلاكم كالفرقدين بافقه — وزراءكم كالشهب حول النائر
حظيت بكم ارجاءها ومعالم — تزهو باحسن صنع فكر ماهر
شاهدتم ادوار تاريخ بها — اخباره قد سطرت بدفاتر
دلت على اوج الرقي بذاتها — وتمدن تهواه عين الناظر
فاراكم (فرساي) اعجب منظر — من مائه مع حسن روض زاهر
وكذاك متحف (لوفر) ماقدحوى — من كل صنف من بديع مئاثر
وكذاك ايفل) صرحها ذاك الذي — بهر العقول بصنعه كالساحر
وحضرتم عيد المساواة الذي — سعدت به باريس دون مكابر
ثم انثنيتم راجعين بظفركم — وتركتم حسن الثناء لشاكر
فازدانت الخضراء يوم قدومكم — وتنورت منها البطاح بطاهر
يا ايها الملك الذي فاق العلى — بكمال خلق كالنسيم العاطر
ابقاكم المولى بحسن تمتع — ببنيكم والال طول الاعصر
شفيتم نفوس عند مقدمكم وقد — تعبت لغيبتكم بشوق خواطر
عظم السرور لذاك قال مؤرخ — يحى الهنا بقدوم ذاك الناصر

٢٨ ٨٧ ١٥٠ ٧٢١ ٢٤١

سنة ١٣٣٠

ومنها انشودة تشريف وتكريم قدمها للاعتاب الملكية بلسان الطائفة الاسرائيلية النابغة في اللغة العبرية السنيور يوسف بن ابراهم بجاوي وهذه ترجمتها للعربية بقلم الوجيه مسيو مردخاي شملة رئيس القلم العبري بالكتابة العامة

قدمنا اليوم باسم الامة الاسرائيلية	لحضرة سيدنا الهمام
ثم باسم جماعة الخدامة والجمعية الخيرية	لنقدم له الف شكر وسلام
عن وصوله للايالة التونسيه	من فرانسا عالي المقام
فكم فرحنا بقدوم الحضرة العلية	وزال عن بلادنا الغمام

***

نعم ركب الغمام على بلادنا	متى عنها الشمس غابت
ونبت الكدر في فؤادنا	وبالضجر قلوبنا ضاقت
كل ساعة من مغيبه ظهرت سنة	ولجهة الاوروبا انظارنا مالت
نعم غابت علينا شمسنا	ولكن في باريس شرقت وضاءت

***

باريس علمت بضيفها ما هو مقامه	وهو مقام ملك عادل
اديب فطن لبيب ما ابهى كلامه	في كل الامور منصف وكامل
رحيم على من يستحق ما اكبره	لانه لكل الفضائل شامل
فندعو ان تتنور بالسعادة ايامه	لان بذلك يرجى نجاح كل امل

***

فرحنا برجوع شمسنا من السفر	لتزول من بلادنا الظلمة

فالان فرحنا لا يقدر وذهبت عن قلوبنا الغمه
فندعو للسيادة بالنصر ويعلى نجمه كما يعلى الزيت على الماء
وتدوم حياته بجميع المقام والقدر كدوام الشمس في كبد السماء

ومنها ملزومة من نوع النظم الملحون الموسيقي جادت بها قريحة المطرب بنيني شمامة معلم النقر على الارغن وهذه عبارتها

جينا نهينو سيدنا الكليا على سلامتو لاسو لاسويا

يا مبرك هذا النهار ضوات تونس في مثل الفنار
فرحنا بيه كبار وصغار عمرت بيه العبدلية

اهل تونس كلهم فرحنين يهود ونصارى ومسلمين
بقدوم سيدنا زهوانين قد ما نفرحو بيه شويا

قدره عالي ياسر عزيز خير من ملاين لويز
النهار اللي دخل لباريز قبلوه بمعزة قويه

سيدنا عزيز عالي قدره فعله مليح وزين ووهره
من لندره لباريس شاع خبره ذات نعيمه بكابريه

سيدنا يعيش كامل الصفات عملوا وقدرا اكثر من الربات
وروولا جميع الفرجات مسيو فلير والوزارة الكليا

مسيو فلير ياسر يحب يعز من وسط قلبو
في التياترو قاعد بجنبو وعداو مع بعضهم سهرية

يعيش لبرزدان مسيو فلير وسيدي الناصر المشير
بقاو بعضهم بالخير وجانا لتونس المسميا

نهار اليوم مبروك سعيد بجية سيدنا سيد السيد
يطول في عمره ويزيد ويجعل ايامه هنيه

يعيش سيدنا ربي يبقيه الناس كلها فارحين به
زينو المرسى زينه تواتيه الشيخ محسن تكلف بيه

قاصدك يا طويل العمر تكرم علي بقدر
ربي لا يوريك ضرر راني من خدامك الشماميه

هدايا الاكرام

وشواهد الوداد والاحترام

اهدى فخامة الرئيس للحضرة العلية وللاعيان المصاحبين لها في رحلتها المباركة اوعية من الفيروز صنعت بمعمل « سيفر » كانت آية في الحسن والجمال بحيث كانها السحر الحلال

فبرسم سموه العالي وعاء شكله بيضي مموه بالزاج الاصفر موشح بطيور ذات الوان بديعة احكم رسمه وتصويره المعلم ميرقو المشهور

وبرسم جناب مسيو الانبتيت الوزير المقيم العام وعاء يعرف باسم النصون مطرز بصور الثمار استنبط شكله المعلم بكويت المشهور

وبرسم جناب امير الامراء سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر وعاء موشح للزهور لونه ارجواني صنعه المعلم المذكور

وبرسم جناب امير الامراء سيدي محمد الطيب الجلولي وزير القلم وعاء محلى بشقايق النعمان صنعه المعلم فنيول المشهور

وبرسم جناب الوزير المفوض مسيو روا الكاتب العام وعاء محلى بالزهور في لون اصفر فاقع صنعه المعلم فورنيي المشهور

وبرسم امير اللواء السيد صالح بودرباله رئيس العسة المصونة وعاء موشح بالزهور من صنع المعلم ميمار

وبرسم الامير الاي السيد مصطفى دنقزلي شيخ المدينة وعاء موشح بالزهور من صنع المعلم المذكور

وبرسم الامير الاي السيد رشيد زكريا كاهية رئيس العسة المصونة وعاء للزهور لونه اصفر من صنع المعلم فنيول

وبرسم القائمقام السيد احمد قارة معين الحضرة العلية وعاء للزهور من صنع المعلم لاغريفول

ومما يجدر بنا ذكره في هذا المقام الحاقا لهدايا الاكرام المنوه بشانها بالرحلة الفليارية البساط الملوكي الفخيم الذي اذن مولانا العلي بصنعه في معامل الزربية بالقيروان بقصد تقديمه على وجه التذكار لفخامة رئيس الجمهورية وقد قضى الصناع في نسجه وهن من الجنس اللطيف نحو العامين حيث شرعن في خدمته اواسط سنة ١٣٢٩ وكان تمامه اواسط سنة ١٣٣١ تحت مراقبة مدير قسم الصنايع بادارة المعارف فجاء بدعا في بابه ساحرا لاهل الاذواق السليمة لحسن تنسيقه وتزويقه بمهارة غريبة واساليب عجيبة تحاكي جمال النسج القيرواني في ازهر عصور شبابه بالقرون الخالية اما طول هذا البساط فانه يبلغ الى ٢٨ ذراعا وعرضه الى ١٢ ذراعا ومسطحه يتجاوز ٣٣٠ ذراعا مربعا

وقد اجاد في وصف هذا البساط النابغة الاديب السيد صالح سويسي الشريف اذ نظم ابياتا اعرب فيها بفصاحته المعهودة عن معاني صنعه واتقانه وعن علو مقام صاحبه ومكانة مكانه واليك هي بمغازيها الفائقة ومعانيها الرائقة

نقدم ذا « البساط » اليك يا من   رقي دست « الرئاسة » في الزمان

بساط قد يليق بهو قصر يطاطيء من علاه الفرقدان
اجاد في صنه « جنس لطيف » له حسن البراعة في المكان
له امل بتنشيط لديكم وحسن رعاية « بالبرلمان »
يذكركم صنائع ذوق قوم لهم اثر غدا « بالقيروان »
وشكرا « للامير » على صنيع به « للدولتين » الود دان

لا جرم ان هذا البساط الذي وصفه قلم احد الشعراء المجيدين لدليل ناطق بارتقاء هذه البلاد لاوج الحضارة من الوجهة الصناعية الفكرية التي هي ثمرة النهضة العمومية التي حصلت بالديار التونسية في بحر هذه الثلاثين سنة وشملت كافة فروع القوة الحيوية من وجهتها الحسية قبل المعنوية ناهيك من سكك ممدودة وطرق ممهدة وانوار كهربائية وشجر وظلال لم تكن تخطر حتى في عالم الخيال ذلك الامر الذي سمح قبل باستهانة بلادنا والتهجم عليها حتى رشقها بعض المتنسبين للادب باقلام التنكيت لان مدنها كانت محط الاقذار جالبة للعار والشنار وفيها يقول الشيخ احمد فارس عند ما تكرموا عليه بخطة في حلق الوادي بعد عشرة الستين من القرن الماضي

ماذا جنيت وما جنت اجدادي حتى غدا حبسي بحلق الوادي

وهو القائل ايضا ضمن ارجوزة طويلة هجا بها حاضرتنا التونسية

يا عيشة مستنكرة في بلدة مستقذره
ما ان ترى من روضة فيها ولا من شجره

الاغبارا ثائـــرا   في الصيف بئس الغبره

وفي الشتاء وحـل   تغوص فيه البقـره

وفي الطريق جثث   مبثوثة منتشـــره

وهكذا كلها جاءت على هذه النغمة الموجعة بزيادة الطعن في الاخلاق والعادات كان صاحبها لم يتلبس اثناء مقامه فيها بالاسلام ولم يرح منها بسلام ويا ليته عاش لعصرنا الحاضر ليكفر عن تلك السيئة بذكر حسنة من محاسن الحاضرة التونسية اليوم لان الحسنات يذهبن السيئات فيقول معي

يا عيشة مستبشرة   في بلدة مستحضـره

ما ان ترى إلّا الريـا   ض الباسقات النضره

وطـرقا ممـدودة   ممشاتهـا مشجـره

ذات ظـلال بالثنـا   في الصيف ياما اجدره

وفي الشتـا منتـزه   للوافدين البرره

صدى لسان حالهـا   عن السنين الغابره

يقول بئس ما مضى   ونعم حال حاضـره

ويكفي ان يقال في وصف مدينة تونس وما اصبحت عليه من النظام والعمران وحسن المناخ انها صارت الكعبة التي يعكف اليها الوف السواحين وان ميزانيتها البلدية تبلغ في التاريخ الحاضر الى ثلاثة ملايين من الفرنكات دخلا ومثلها خرجا وان في جملة الاصلاحات والانشاءات البلدية منتزه

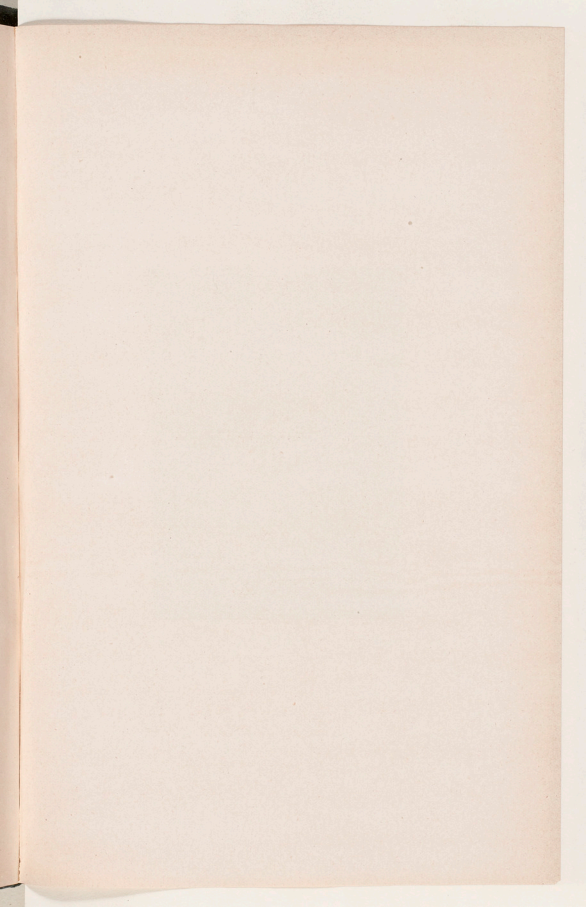
الخضراء المعروف بالبلفيدير الذي هو راموز من الجنة ولا يكاد يوجد احسن منه في بلاد المعمورة فان قلت ومن اين لك ان تحكم هذا الحكم ولم تطف بالدنيا طولا وعرضا فالجواب نعم انني لم اخترق السبع الطباق ولكنني وقفت على محاريث العقول اي اقلام الكاتبين الذين وصفوا رياضات المسكونة واتفقوا على ان باريس في مقدمة المدن الجميلة ببناءاتها البالغة حد الابداع وحدائقها الوحيدة بالاجماع ولا يخفى ان الحضارة التونسية العصرية مقتبسة من انوار تلك وفي هذا القدر كفاية لاهل الخبرة والدراية



182

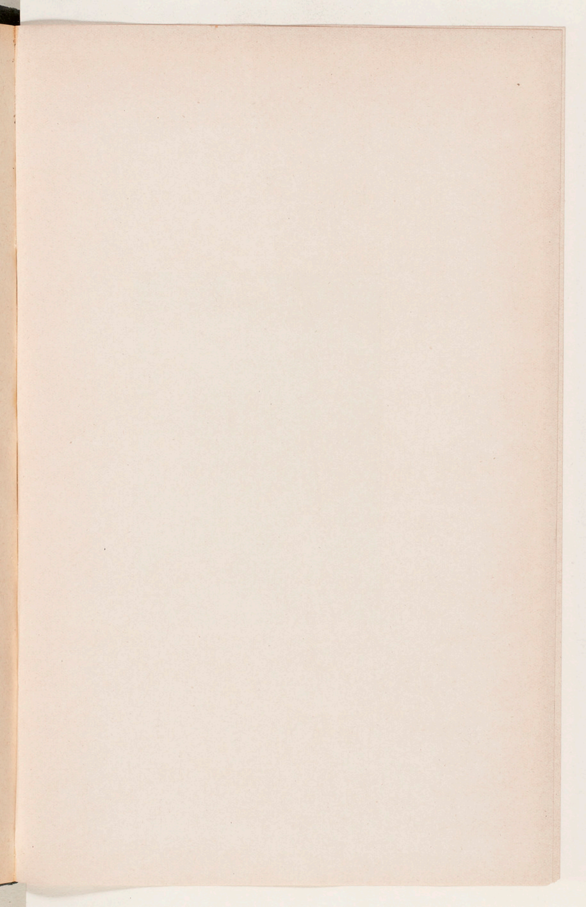


امير اللواء السيد صالح بودربالة رئيس العسة المصونه





الاميرالاي السيد مصطفى دنقزلي شيخ المدينة



ذيل

يحتوي على اسماء الذوات والاعيان من المتوظفين التونسيين الذين انعم عليهم فخامة رئيس الجمهورية بالنياشين الفرنساوية بمناسبة اقتبال جنابه للحضرة العلية بباريس وبمناسبة عيد ١٤ يوليه وعلى اسماء الذوات والاعيان من ارباب الحيثيات الفرنساويين الذين اتحفهم المقام الملوكي بنياشين الافتخار اثناء اقامة سموه في ضيافة الدولة الفرنساوية

اللجيون دونور

الصنف الثاني منه

امير الامراء سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر

امير الامراء سيدي محمد الطيب الجلولي وزير القلم

امير اللواء السيد صالح بودرباله رئيس العسة المصونة

الصنف الرابع منه

الامير الاي السيد رشيد زكريا كاهية رئيس العسة المصونة

الامير الاي السيد الشاذلي الجلولي معين الوزير الاكبر

القائمقام السيد احمد قاره معين الحضرة العلية

السيد عمر الضاوي بنباشي العسة بسراية باردو

البنباشي السيد سعيد زكريا معين الحضرة العلية

اليوزباشي السيد سليمان خزندار معين الحضرة العلية

وسام اللياقة الزراعي

الكمندور الاكبر

جناب الوزير المفوض مسيو روا كاتب الدولة العام بالامور العدلية

الصنف الثاني منه اي الافسي

البرنس سيدي الهاشمي باي نجل الحضرة العلية

الصنف الثالث منه اي شوفالي

الحكيم لوفي الطبيب الاول بالحضرة العلية

السيد الشاذلي العقبي المتفقد والمهندس بقسم الوزارة الكبرى

السيد ابراهيم بن زواري العضو بمجلس الشورى

السيد محمد التريكي المقاول بسوسة

السيد الهادي المرابط عامل القيروان

السيد الصغير نقره الفلاح بالقيروان

وسام العلوم والمعارف

الصنف الاول منه

البرنس سيدي المنصف باي اكبر انجال الحضرة العلية

الجنرال فلنسي مدير التشريفات ومترجم السرايا العامرة

الصنف الثاني منه

مسيو توليربيطار الاسطبل العامر

وسام الشهاب الاسود

الصنف الاول منه

البرنس سيدي المنصف باي اكبر انجال الحضرة العلية

البرنس سيدي الهاشمي باي ثاني انجال الحضرة العلية

الصنف الثاني منه

امير الامراء السيد عزوز بن عيسى رئيس العسة المصونة سابقا

الامير الاي السيد مصطفى دنقزلي شيخ المدينة

الصنف الثالث منه

السيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة الكبرى

السيد محمد بن الخوجه رئيس قسم المحاسبة بالكتابة العامة

الامير الاي السيد محمد بن الشاذلي	معين الحضرة العلية
الامير الاي السيد محمد بن مصطفى	معين الحضرة العلية
الامير الاي السيد صالح التركي	معين الحضرة العلية
الامير الاي السيد سليمان العياري	معين الحضرة العلية
القائمقام السيد سلومه الزمرلي	معين الحضرة العلية
السيد المختار كورده	معلم الفرنساوية بالسراية العامرة

الصنف الرابع منه

اليوزباشي السيد رشيد بن سالم	معين وزير القلم

ميدالية الامتياز في الخدمة

البينباشي السيد الطيب بن عمر	معين الوزير الاكبر
الملازم السيد الحطاب بن رابح	معين الحضرة العلية
سي توفيق بن ادريس	من اتباع السرايا الملكية
سي محمد قادري	من اتباع السرايا الملكية

تلك هي الامتيازات الرفيعة التي احسن بها فخامة الرئيس لاعيان متوظفي الدولة التونسية ورجال الحاشية الملكية بمناسبة زيارة مولانا لفخامته اما الحضرة العلية فقد احسنت من جهتها بالنياشين الاتي بيانها لوزراء الدولة الفرنساوية وقواد الجيوش والعلماء والاعيان والمتوظفين والمستخدمين بالحكومة الجمهورية

نيشان آل البيت الحسيني

فخامة مسيو بوانكاري رئيس الجمهورية الحالي ورئيس الوزراء ووزير الخارجية سابقا

نيشان الافتخار

الصنف الاكبر

الجنرال نيوس ناظر دار العجز من العساكر حيث قبر نابليون الاول

مسيو بيري	العضو بمشيخة العلوم
مسيو روسو	الكاتب العام بوزارة الحرب

186

مسيو اوتران	والي مقاطعة (سنين ايواز)
مسيو بيرار	الكاهية الوزيري بادارة الفنون المستظرفة
مسيو دولاني	والي مقاطعة السين
مسيو دوبوي	وزير الاشغال العامة
مسيو غالي	رئيس المجلس البلدي بباريس
مسيو ستيق	وزير الداخلية
مسيو هدلات	والي مقاطعة (لوفار)
الجنرال جوفر	رئيس عموم الجيش
مسيو كلوتز	وزير المال
مسيو لوبران	وزير المستعمرات
مسيو ليبين	مدير المحافظة بباريس
الجنرال مانوري	قايد قلعة باريس
الاميرال ماراند ربال	قايد البحرية بطولون
مسيو موريس	مدير السكة الحديدية بين باريس ومرسيليا
مسيو بواريي دونارسي	رئيس المجلس العام بمقاطعة السين

الصنف الاول منه

كذلك احسن سموه الملوكي لاربعة وعشرين من امراء الجيش وكبار المتوظفين بالصنف **الاول** نخص منهم بالذكر

مسيو ڤوتي	مدير الامور التونسية بالوزارة الخارجية

مسيو بروسو	مدير ملهى الاوبره
مسيو ماسجي	مثله
مسيو مارك فارين	رئيس كتابة السر بقصر الرئاسة الجمهورية
مسيو بورجوا	مدير المتاحف الجنسية
مسيو بوجاليت	مثله
الجنرال رينيو	من امراء الجيش
الجنرال بوردريات	رئيس ديوان وزير الحرب
مسيو ايفان	كاهية المجلس البلدي بباريس
مسيو بوزار	المحرر بجريدة الطان
مسيو ديكلو	رئيس ديوان الكاهية الوزيري للفنون المسظرفة
مسيو طرونشي	مهندس قصر الرئاسة الجمهورية

الصنف الثاني منه

وكما انعم ابقاه الله على ثلاثة وخمسين نفرا من الاعيان والضباط بوسام الكمندور اي الصنف الثاني

الصنف الثالث منه

وعلى مائة واربعة وعشرين من الاعيان والضباط ايضا بالصنف الثالث

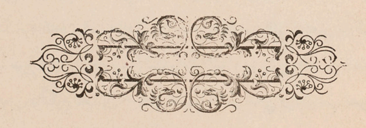
الصنف الرابع بنوعيه

وعلى ثمانين من المستخدمين بالصنف الرابع من الرتبة الاولى

وعلى تسعين من عساكر البحرية بالصنف الرابع من الرتبة الثانية

وقد كان لهذه الانعامات بعدد وافر من الامتيازات سواء ذلك من فخامة رئيس الجمهورية او من الحضرة العلية احسن وقع في كلتا العاصمتين باريس وتونس لان ذلك رءاه العالمون باسرار سياسة الدول وعلايق الملل من الالة المبرهنة عن توثيق روابط الود واحكام صلات المنفعة المتبادلة بين الدولتين الحامية والمحمية الى ما شاء الله





عبارة الختام

انما الاعمال بالنيات كما جاء في كلام سيد الكائنات وقد اخذت على نفسي تحرير هذه الرحلة المباركة باذن شرفتني به الدولة المحمية وفقا لمرغوب الحضرة العلية الناصرية التي نعد نفسي من عبيد نعمتها ومن الطائعين لنواهيها واوامرها فاستعنت بالله على جمع تالدها وطريفها بمراجعة الكتب والمحررات والاوراق الرسمية التي تقدمت الاشارة اليها عند التعريف بامهات هذا التصنيف وقضيت في تدوينها شهرين كاملين كنت اثناءهما في دور النقه من مرض شديد اصابني في صائفة عام ١٣٣٠ وكانت بفضل الله عاقبته عافية وسلامة وها انا ذا قد انجزت اليوم طبعها عملا بالاذن الشريف الصادر بذلك واني لمتشرف ومغبوط بتقديمها للاعتاب العلية الملكية والمقامات السنية الدولية راجيا من مكارمهم التي عودوني بها النظر اليها بعين الرضا والتجاوز عن انقاصها واغلاطها وفي ضمن ذلك من الصفح الجميل والكرم الجزيل ما ينطق لديهم بالشكر لساني ويستوجب نحوهم تعلقي وامتناني والحمد لله اولا وآخرا



